الألف كتاب
الثاني
٢٧٠

يانيس ريتسوس

البعيد

مختارات شعرية شاملة

ترجمة: رفعت سلام





الهيئة المصرية العامة للكتاب

البعيد

مختارات شعرية شاملة

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفنى

لمياء محرم

يانيس ريتسوس

البعيد

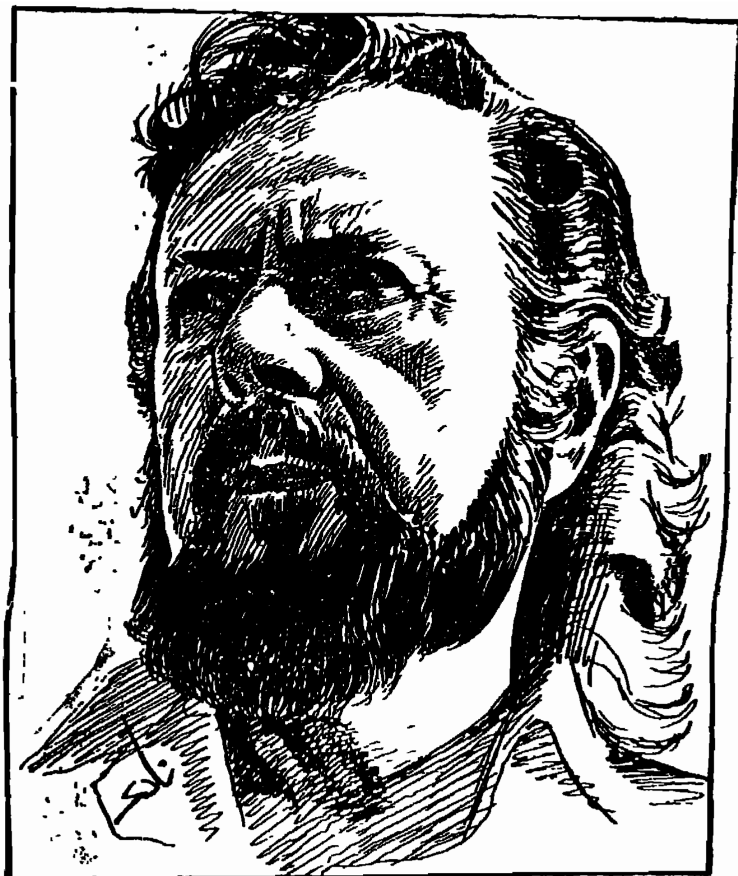
مختارات شعرية شاملة

ترجمة وتقديم

رفعت سلام



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٧



الصورة من رسم الأستاذ محمد نادى

الفهـــــرس

فـكل مـا أحببت

أخذه مني الجنون

والمـــــوت .

سيد البساطة الماكرة

في اللحظة التي كدت أن أمسك به انقطع الخيط ، وانفلت الى الناحية المستحيلة . وبدأت المطاردة . كان الخيط لم ينقطع ، أو كأنه استبدل بخيط سرى ، ان شده أرخيته ، وان أرخاه شددته ، فلا أحدنا يفلت الخيط ، أو ينسى .

كان ما يشبه النزوة أن كتبت اليه . نزوة لا تأمل في اكتمال الدائرة . حسبها الانفلات من الكبح الذاتي الى فضاء ما ، مكتفية بذاتها ، في ذاتها . انفتحت دائرة الى نصفها ، وتعلقت قوسا مضيئا في الفضاء المراوغ . واستدرت الى اليومي ، ونسيت . كأنني اكتفيت . كأنني .

هل كنت أتناسى أن الدائرة منقوصة ، معلقة في قلبي بين بين ؟ هل كنت أهرب من عجزي عن اكمال الدائرة التي فتحتها بنفسي ؟ أم كنت أراوغ الاعتراف بالهزيمة القادمة ، اذا ما تجاهل السيد البعيد دعوتي - أنا الحد المجهول لديه - فلم ير قوسا ولا دائرة ؟

لكنه - قبل أن أنسى تماما - أدركني بالرسالة التي أملاها على « كاثرين ماكرينيكولا » ، بدار « كيدروس » صاحبة حقوق نشر أعماله باليونانية : « لقد سعد بأن يعرف باهتمامك بقصائده ، وبنيتك أن تنشر مجموعة منها بالعربية . وهو يمنحك حق القيام بهذا النشر حينما تكون مستعدا » . واكتملت الدائرة . ومرة أخرى ، نسيت ، كأنني اكتفيت . كأنني .

5th April, 1987

Mr. Rifaat Sallam,
5 Rue Cheik Mahammad Rifaat,
(Station Myra)
Héliopolis

Dear Mr. Sallam,

It is through Mr. Yannis Kritikos, a friend of your father-in-law that we were informed of your interest in the poetry of Yannis Ritsos. Kedros is the exclusive publisher of Yannis Ritsos in Greece but the foreign rights for the translation of his poems are owned by him and handled by him personally.

He was pleased to hear of your interest in his poems and of your intention to publish a collection of them in arabic. He gives you the right to proceed to such a publication when you are ready. Unfortunately, he never writes introductory notes to his poems and generally avoids to speak about his poetry. On his recommendation, I enclose some material on his life and work which you will find helpful. If you want to contact him, his address is:

39 M. Koraka Street,
Athens 104 45.

With best regards,

Yours sincerely,

C. Makrinikola

Catherine Makrinikola

لم يكن « حق النشر » شاغلا لى ، أو حافز الكتابة اليه . بل كانت الكتابة فى ذاتها اليه ، نعم الكتابة فى ذاتها . لا أكثر ، ربما . وها هى دائرة الكتابة قد اكتملت ، أى انغلقت ، فماذا بعد ؟

هكذا امتد بيننا خيط . واليونان ــ آنذاك ــ بعيدة بغيدة على . وهو ــ فى تلك البعيدة البعيدة ــ بعيد بغيد . مسافة عصية ، وزمن مراوغ ، والحلم لا يخرج من أبجديته الداخلية الى الامكانية . فيا أيتها المسافة العصية ، المستعصية على اليد القصيرة ، من أين أمسك بك ؟ وكيف ؟

فهل كنت سيد الأبدية ، ليكون لى أن أنسى ما يدبره الزمن من ضربة قادمة ؟ هل كنت سيد المصير ، ليكون لى أن أستند على جدار من هواء ؟

ما كنت هذا ولا ذاك ، لكننى نسيت ، واستندت .
وفى اللحظة التى كدت أن أمسك بالخيط ، انقطع .
وانفلت ــ دون أن يقول لى ــ الى الناحية المستحيلة من الأبدية .

(١)

ظل أبى كان شاهقا ، كان يظلل المنزل كله ،
ويسد الأبواب والنوافذ من أعلى لأسفل .

هو « اليفثيريوس ريتسوس » الأب المولع بالقمار حتى تبديد الأرض ، كأحد كبار ملاك الأراضى فى مدينة « مونيمفاسيا » ، بالجنوب الشرقى من « البلوبونيز » .

وحينما ولد « يانيس » ــ فى ١ مايو ١٩٠٩ ــ كان الصوت المرعب للأب المقامر يحتل فراغات المنزل ، وظله يسد الأبواب والنوافذ المفتوحة على البحر . حالة أقرب الى الجنون الذى يعقب الخراب فالسقوط .

جنون يمارس تجلياته على طفلين وطفلتين ينطلقون — بلا وعى — الى مصائرهم المجهولة ·

كان ظل الأب ظلا للخراب الراهن والقادم · فالعام الذى أنهى فيه ريتسوس دراسته الابتدائية (١٩٢١) هو عام موت الشقيق الأكبر بالسل · وبعد شهور ، تدرك الأم ابنها الراحل ، وهى فى الثانية والأربعين ·

هى الأم التى ستأتى فى « **أغنية أختى** » (١٩٣٧) :

ملاكا أبيض فى الليالى البيضاء ·
نسمع صوتها البعيد والحفيف الناعس لجونلتها
فيما نغمض عيوننا فى نوم ملىء بالنجوم ·

ويكون رحيلها رحيلا لطفولته · تكسرت البراءة الطفولية شظايا انغرست — جارحة — فى القلب الصغير · لابهجة ، ولا حنان · لا طمأنينة ، ولا فرح · بل هو الانزواء فى الأركان المعتمة ، فى ظل الأشياء ، بعيدا عن عين الأب السامة ·

وحيدا مع أشياء المنزل ساعات من التأمل والكلام الصامت الداخلى · هى التى تؤويه ، وتتواطأ على وجوده ، وتمنحه ظلالها والسكينة : الغرفة ، والمقاعد ، والستائر ، المنضدة ، والنافذة ، والملاءة ، والسرير ، والكوب ، والجدار · هى التى تحنو عليه ، وترتضيه · هى الملجأ الحانى ، والأسرة البديلة · وسيكون له — فيما بعد — أن يبيح لها قصائده لتصبح محورا أساسيا من محاورها ومحاور العالم ، باعتبارها شهودا صامتين على الوجود ، وشارة على حضور الآخرين الغائبين · هى حضور الغياب ، الحضور الوديع المكتفى بذاته ، بلا صوت أو عنف ·

ويصبح المنزل المشرع على البحر نصبا تذكاريا للخراب واللعنة · ومع الفرصة الأولى للهرب ، يدير له ريتسوس ظهره ، الى « جيثيون » ومدرستها الاعدادية ، صبيا فى الثانية عشرة من عمره · بعد الاعدادية ،

يفر الى الأبعد : أثينا ، وهو فى السادسة عشرة · صبى قروى ضال يرمى بنفسه ــ وحيدا ــ فى متاهـات العـالم ، هربا من لعنة المنزل القديم ، وكوابيس الليل والنهار ·

لكن اللعنـة لا تفلتـه ، فتحل به على نحو آخر · انه نفس المرض الذى أودى بشـقيقه وأمه : السـل · فـلا مفر من العودة الى المنطلق « مونيمفاسـيا » · لكن رعبه الكابوسى من المنزل يدفع به بعيدا عنه ، الى فندق المدينة البائس مخفورا بأشباح الموت ونعيب البوم · وسيكون عليه أن يكبت مشاعره هذه لتنفجر ــ متأخرة ــ فى « **البيت الميت** » ، بعد أكثر من ثلاثين عاما : فانتازيا الرعب والجنون فى ذلك الحد الفاصل بين الوجود والعدم ، بين الوهم والحقيقة ·

عام واحد فى « مونيمفاسيا » ، فالعودة الى أثينا فى خريف ١٩٢٦ ، ليعمل فى نسـخ شهادات الأعضـاء الجدد بنقابة المحامين · وبعد شهور قليلة ، يدخل مستشفى « باباديميتريو » ، فمصحة « سوتيريا » ، لثلاثة أعوام تحت العلاج الذى لن ينتهى بخروجه منها · سيطارده لأعوام طويلة قادمة ، يتأرجح فيها بين النقاهة والانتكاس ·

ويكتشف الشـعر · كتابـة تأخذ شـكل الزخرفة البيزنطية ، والصفحات البيضاء تمتلىء بكتابة لن تجـد طريقها الى النشر : قصائـد تبحث عن الشـعر ، عن الشـعرى ، فتضرب ــ فى بحثها ــ فى كل الاتجاهات ، مرتبكة ، مترددة ، متهورة ، متعثرة · لكنها الكتابـة التى ترأب ــ الى حد ما ــ الصدع الذى انشق بينه وبين العالم ، تعيد اليـه ــ الى حد ما ــ التوازن والقبول والتعويض الروحى ·

فى ديوانيـه الأولين ــ « **تراكتوريات** » (١٩٣٤) و « **أهرامـات** » (١٩٣٥) ــ يمنح الفرصة للأصوات الكبرى أن تحتله بلا مقاومة · انها سطوة « بالاماس »و « فارناليز » و « كاريوتاكيس » ، التى حاصرته فى « سوتيريا » ، فى أجواء المرض والحمى والزحف الواهن نحو مسـتقبل غامض ، ضبابى · لم يكن صوته الشعرى تماما ، ولم يكن ــ بالطبع ــ

صوتهم تماما · كانت الغنائية تختلط بالخطابية ، والتحريض بالمأساة · ديوانان ينتميان ــ بصورة واضحة ــ الى الشعر السياسى · ورغم ذلك ، فعندما ظهرا لم يستقبلهما نقاد اليسار استقبالا طيبا ، اذ اتهموا الشاعر بكونه مثاليا ومشغولا ــ أكثر من اللازم ــ بالشكل الفنى · وانتقدوا ــ على وجه الخصوص ــ لغته الشعرية ، باعتبارها لغة « زخرفية » ، وأكثر تعقيدا من أن تستوعبها الجماهير ·

يبدأ « **تراكتورات** » بنداء الى الأم / الشعر كى تستقبله ، لينتهى بسيل جارف ضد المجتمع المتعفن المتدهور · وما بين البداية والنهاية قصائد أليمة عن اذلاله على يد « جماعات من البرابرة » التى تحيط به ، ووالده المحجوز فى مصحة للأمراض العقلية ، بينما يحادثه ابنه المريض من مصحة سوتيريا · ويضم الديوان ــ فى نفس الوقت ــ أناشيد الى ماركس وانجلز وروسيا ، ودعوة من أجل عالم واحد ، يكون فيه الجميع أخوة متساوين ·

ويستمر هذا التوجه المزدوج ــ الذاتى / السياسى ــ فى « **أهرامات** » : رثاء عاطفى لأخته يمتزج برثاء صباه التعيس :

آه ، لا أذكر أبدا أننى كنت ذات يوم صغيرا
مثل عجوز مشلول كنت أختبىء بالداخل
أقرأ الكتب العتيقة ·

وينتهى الديوان برؤى عن نفسه ، كجندى بسيط بين صفوف العمال ، يحارب من أجلهم بـ « قيثارة ومعرفة » ·

وفى مايو ١٩٣٦ ، يقوم عمال مصنع التبغ ــ فى مدينة سالونيك ــ بالاضراب احتجاجا على تدنى الأجور · وحينما يستدعى رجال البوليس ، يطلقون النار على المضربين العزل ، فيقتلون اثنى عشر شخصا ويجرحون المئات · وفى اليوم التالى ، نشرت الصحف صورة أم متشحة بالسواد ، تبكى ابنها القتيل فى أحد شوارع المدينة · التقط ريتسوس الصورة ، وبعد يومين من العمل الخلاق ، كانت « **ابيتافيوس** » (تراتيل الدفن التى

تؤدى فى الكنائس اليونانية الأرثوذكسية يوم الجمعة الحزينة) . انها — من جديد — مأساة صلب المسيح ، بل تتعدى الصلب الى القيامة . والعويل فاتحة القصيدة :

تركتني ذات يوم من مايو ،

وذات يوم من مايو فقدتك .

عويل أم لا تستطيع ادراك سبب موته ، كما لا تستطيع فهم أفكاره السياسية . لكنها — عبر القصيدة — تصل ، فى منتهاها الى :

لقد حملت بندقيتك ، فنم الآن ، نم ، يا بنى .

وأصبحت القصيدة النشيد الوطنى — غير الرسمى — لليسار اليونانى ، وخاصة بعد أن قام « ثيودراكيس » بتلحينها فى أواخر الخمسينيات . ففى مايو آخر — عام ١٩٦٣ — وفى مدينة سالونيك أيضا انطلقت الحشود المرابطة خارج المستشفى الذى يرقد فيه النائب البرلمانى اليسارى « لامبراكيس » — اثر الاعتداء عليه من قبل مأجورين سياسيين — فى انشاد « ابيتافيوس » وبينهم ريتسوس وثيودراكيس ، رثاء للشهيد ، لينتقل النشيد الى أثينا أثناء تشييع جنازته . وخلال حكم الجنرالات القادم — الذى سيعتقل ريتسوس — كانت القصيدة شعار كل احتجاج على الديكتاتورية .

وفى أعماله التالية مباشرة — التى تبدأ بقصيدة « **أغنية أختى** » — واصل ريتسوس استخدامه المطور للغة ، بل وذهب الى أبعد مما تحتمل متطلبات الفن « المناضل » . انها مفاهيم جمالية جديدة لا علاقة ذات بال بينها وبين مفاهيم اليسار . وبدءا من ذلك الحين ، سيكون حافز ريتسوس هو البحث عن « بعد رابع » فى الشعر ، ربما لأنه اكتشف محدودية الاطار الفنى الذى تتخذ فيه جميع الظواهر الاجتماعية دلالة اجتماعية . لا يعنى ذلك أنه لم يعد « واقعيا » ، أو أنه قد تخلى عن « اشتراكيته » ، بل يعنى أنه قد تخلى عن استهداف « الواقعية الاشتراكية » .

وقبل وفاته بحوالى أربعة أعوام ، سيكون لريتسوس أن يرى :

«ان المضمون الاجتماعي للشعر ليس ــ بالطبع ــ المقياس الأول لقيمة الشعر ، لكنه ــ بلا شك ــ المقياس الأخير ، المحدد • فعندما يخرج الشعر من أطر الاعتراف الذاتي للشــاعر ، فانه يصبح بالضرورة ــ تعبيرا عن حاجة الناس ، كل الناس ، للعدالة والحرية والبهجة ، الحاجة الى التغلب على العزلة المرهقة ، وتعفن الموت • ان الفن الأصيل والشعر الأصيل يجب أن يصل حتما الى ذلك • لكن هناك مسألة أخرى ، اذ اننا أحيانا ما نكون ــ فى الشعر ــ اجتماعيين أكثر مما يجب ، وأحيانــا ما نصــنع ــ باسم السياسة ــ سياسة رديئة فى الفن • ان الجانب الاجتماعى والجانب الجمالى فى الشعر يجب أن يكونا متجانسين ومتكاملين ومتوحدين بشكل لا يمكن ــ معه ــ فصمهما •

ولا أحد ــ بالطبع ــ يمتلك الحق فى أن يفرض على الفنان أن يجعل من فنه « فنا اجتماعيا » • فلابد أن يكون ذلك مطلبــا ينبعث من أعماق الفنان نفسه • ان متطلبات وحاجات الشــاعر الحقيقى والفنان الأصيــل تتطابق حتما ودائما مع متطلبات الشعب وحاجاته ، وهى المتطلبــات التى يكشفها الشاعر ويبلورها جماليا فى ابداعاته الفنية• وعلى هذا الأساس ، يشارك الشاعر ــ بشــكل مبــاشر ــ فى العملية العامة لتغيير العــالم • ويناضل الفنان طوال حياته ضد الظلم والاســتغلال ، وضد كل أشكال الموت الاجتماعى ، حتى وان كان هذا النضــال يبــدو ــ للوهلة الأولى ــ وكأنه نضال خاص ومنعزل ، الا أنه ــ فى الواقع ــ نضال عام وجماهيرى، اذ ان هذا النضال يستجيب لشىء مهم جدا عند الفنان ، وهو الحاجة الى التعبير عن مكنونات ذاته ، الحاجة للاعتراف بالحرية ، الحرية التى تزيل الأطر الضيقة لاغتراب الشخصية الانســانية • ان هذا النضــال تأكيد لأهمية الحياة الانسانية •

واذا ما كانت ثمة قيمة ما فى عملنا ، نحن الشعراء ، فانها تكمن فى أننــا قد تجاسرنــا بالتغلغل فى أعماق الألم الانســانى ، واســتطعنا أن نستخرج الأمل من كل الآلام الانسانية، وأن نساند الضياء وسط الظلام »

« **اغنية اختى** » هى النموذج الأول للشكل المفضل عند ريتسوس ٠ القصيدة الطويلة التى توصف بأنها « سيمفونية » أو « تركيبية » ٠ كتبت القصيدة عام ١٩٣٧ ، لكنها تعكس التجارب المريرة التى مر بها ريتسوس وأخته « لولا » عندما رحلا الى أثينا ، بعد خسارة الأسرة لثروتها ، وهما يجاهدان من أجل البقاء وسط الغليان الاقتصادى والسياسى الذى أعقب كارثـة آسـيا الصغرى ، وما واجهاه من مصاعب مروعـة ٠ هو الحزن الشخصى ملتحما بالوعى التاريخى ٠ وهى أحد أطراف الثلاثية التى تضم ــ معها ــ « **سيمفونية الربيع** » (١٩٣٨) و « **مسيرة المحيط** » (١٩٤٠) ، والتى تمثـل ــ بصورة غير مبـاشرة ــ روح المقـاومة ضد ديكتاتوريـة ميتاكساس فى اليونان ، وصعود الفاشية فى أوربا ٠ والشمس ــ التى تحتل أفق القصيدة ــ هى رمز الايمان الراسخ لدى ريتسوس بالقـدرة المخلصـة للشعر ، والمقـدرة الانســانية ــ مهما كانت الظروف ــ على الاستجابة لنداء الحياة الذى لايقـاوم ٠ ولا يتحقق انتصـاره على اليأس بسهولة ، بل بعد رحلة مريرة نحو الضوء وسط الظلام ٠

(٢)

سمعنا أغنيـــة البحر
فلم نعد قادرين على النوم

أعوام من الرعب تجىء ، مع النقاهـة ٠

فى مقابل الديكتاتورية الحاكمة ، تصعد الفاشية الى عرش أوربا ٠ وتقتحم القوات الألمانية الحدود ، فالاحتـلال ٠ وتدرك المجاعـة الشاملة الشاعر ــ مجاعة ١٩٤١/١٩٤٢ ــ فيتهدده خطر الموت ، بعد أن أصـبح أرضا خصبة بفعل المرض ٠ ويكتشف وضعيته أحد أصدقائه الصحفيين ، فيطلق صرخة تحذير فى جريدته واسعة الانتشار ٠ وتم فتح اكتتاب عام لانقاذ الشاعر ، فاذا به يرفض استلام النقود ، ويطلب توزيعها على الأدباء الشبان ٠

البقاء على قيد الحياة : كان الشعار المرفوع في وجه المجاعة ٠

وجبهة التحرير الوطني : كانت تنظيم المقــاومة الشــعبية ضــد الاحتلال• والتحق ريتسوس بالقسم الثقافي للجبهة مع الكتاب والفنانين، يلقون القصائد ، يعرضون المسرحيات الحماسية ومن بينها « أثينا تحت السلاح » لريتسوس • هو العمل الذى سيعيد صياغته ــ بعد سنوات ــ ليتحول الى « قصيدة حوارية » تحمل عنوانا آخر : «**أبعد من ظلال السرو**»•

كأنه « **القرن الأخير قبــل الانســانية** » : القصــيدة التى كتبها ريتسوس في صيف ١٩٤٢ ، أملا فى عهد جديد شبيه بالعهد الذى بدأه المسيح ، وهو الشــاعر الذى سيكون حلقة وصــل بين العهدين القديـم والجديد • وهى احتفــال بأبطال الموقعــة الألبانية الذين صــدوا جيش موسولينى ، وبكاء للمجاعة والغزو الألمانى ، وتمجيد لجبهة التحرير • وهى الأمل الكبير فى مستقبل يمشى فيه الرجال تحت الشمس بحريـة كاملة • قصيدة تستخدم رموزا مسيحية لتأكيد ايمان ريتسوس النهائى ، لا بالمســيح ولا بأية قوة ميتافيزيقية ، وانما بأسمى غرائز الانســان ، فى الوقت الذى تطفو على الســطح ــ مؤقتا ــ أسوأ تلك الغرائز وأكثرهـــا انحطاطا• وتنتهى القصيدة بلافتة على مفترق الطرق : « **من هنا الطريق الى الشمس** » • وعندما يتساءل أحدهـــم عمن رسم تلك اللافتة « **بحروفها الغليظة تلك** » ، يجيب آخر : « **انه يانيس ريتسوس ، شاعر القرن الأخير قبل الانسانية** » •

كان الجميع يأملون فى بعث وحدتهم من جديد عند انسحاب الألمان• لكن النتيجة كانت حربا أهلية جاءت مباشرة بعد التحرير ، حيث انهزمت المقاومة التى كان يقودها اليسار ، فى ديسمبر ١٩٤٤ ، بمساعدة الدبابات البريطانية • وهو ما عمق الفجوة بين الطرفــين المتقاتلين • وما ان حلت المرحلة النهائية للحرب الأهليــة ، حتى استقبلت المعتقــلات اليونانية فى الجزر ما يزيد على عشرين ألف معتقل ، حكم على ثلاثة آلاف منهم بالاعدام، الذى تم تنفيذه فى ألف معتقل بصورة عاجلة •

معهم ، تم القبض على ريتسوس عــام ١٩٤٨ ، الى معتقــل جزيرة « ليمنوس » ، وبعدها الى « مؤسسة اعــادة التثقيف الوطنى » فى جزيرة

« ماكرونيسوس » ، حيث مارس عليه حراســه كافة أشكال التعذيب الجسدي والنفسي كسياسة عـامة ، لتحويـل الشيوعيين الى « هيللينيين صالحين »· بعدها نقل الى « آى ستراتس » (أجيوس افستراتيوس)· ولم يصمت طوال السنوات الأربع التى قضاهـا فى المعتقلات · فقد واصـل الكتابة فى أحلك الظروف ، ليضع قصائده داخل زجاجة يدفنها فى أرض المعتقل الحجرية · وأولا بأول ، كان يلقى قصائده على زملائـه المعتقلين · ذلك ما يفسر استخدامه للأسلوب المبـاشر فى قصائد تلك الفترة ، ومن بينها « **رسالة الى جوليوت كورى** » (نوفمبر ١٩٥٠) :

عزيزى جوليوت ، أكتب لك من آى ستراتيس
حوالى ثلاثـة آلاف منـــا هنــــا ،
أناس بسطاء · عمال أشـــداء ، كتاب أدباء ،
تغطى ظهورنا جميعا بطانية واحدة مهترئة ،
بصلة ، وخمس زيتونات وكسرة جافة من ضوء فى
أكياســـــنا ،

أناس بسطاء كالأشجار فى ضوء الشمس ،
جريمتهم الوحيدة المدونة فى سجلاتهم :
هى ـ فقط ـ أننا ، مثلك ، نحب السلام والحرية ·

حقبة أعـاد فيها ريتسوس النظر فى رؤيته للعــــالم واليونـــان والتواريخ ، بحثا عن ذاته التاريخية الشعرية ، وعن صوته الشعرى الذى يختصر الذاكرة اليونانية، ليجد بين يديه « **روميوسيني** » : قصيدة ملحمية تستمد لغتها وايقاعها من التراث الشــفاهى الذى يرجــع الى الأناشيد البطولية للفدائيين فى حرب الاستقلال (١٨٢١ ـ ١٨٢٧) ، والقصائد الاكريتية البيزنطية **خلال الحكم التركى** ، رجوعا الى الأغانى الهومرية ، حيث الشاعر منشد الجماهير ، راوى الحكايات الذى يمجد ويحتفل بمن يعشقون التراب اليونـــانى ، الموتى منهم والأحياء · عشق يجعــل المشهد الطبيعى ـ فى القصيدة ـ يتخذ نفس نسيج الوعى الحى للعاشق ، فيما يتخذ العاشق ووعيه نفس نسيج المشهد الطبيعى الحى ·

وليست « روميوسيني » مكانا فحسب ، بل هى ـ أيضا ـ زمان • فالطبيعة اليونـانية هى محور التشكيل الشعرى للقصيدة ، لكن هنـاك ـ أيضا ، وبصورة متزامنـة ـ الوعى الحاد بالانفصـامات المرعبـة فى التاريخ اليونانى • هى تجربة الحقبة المأساوية والفاصلة بين الاحتـلال الألمانى والحرب الأهلية، والتى تعنى ـ من وجهة نظره ـ خيانة للمقاومة •

قصيدة ملحمية ، لكنها لا تتطور خطيـا وفقـا لبنيـة سرديـة أو أيديولوجية • فالشكل الزمنى ليس تعاقبيا ، يتحرك أفقيا من بدايـة ـ عبر وسط ـ الى نهاية ، ولا جدليا ، من فكرة الى نقيضها الى مركبهما • بل تتمحور القصيدة ـ على نحو مكثف ـ على موقف تاريخى معاصر ينفتح رأسيا حتى أقصى حدود الماضى اليونانى• فخيال ريتسوس الشعبى واللغة المفعمة بالحيويـة التى تعبر عنه يكتشفان ، أو ـ تحديدا ـ يفتحان زمن الذاكرة الذى يتحقق فيه حضور كل الأزمان اليونانية ، زمن تلتئم فيـه الشظايا الزمنية وأطلال التاريخ اليونانى ـ صورة مطاريد الحكم التركى والثورة اليونانية ، حراس الحدود المدنيين ، والمقاتلين الهومريين ـ تنبثق من البنية العرقية لما تحت الوعى ، لتحقق الهوية والتواصل مع الصورة المعاصرة (رجال الميليشيات الجبلية) • فالخيال العامى لريتسوس ـ بمعنى آخر ـ يحول سلسـلة من المواضى الميتة الى حاضر حى لابد من ادراكه ـ بالطبع ـ بصورة متزامنة •

بذلك ـ على سبيل المثال ـ يحتسى البحار (المعاصر) البحر المرير من كأس أوديسيوس ، ويلتقى رجال حرب العصابـات مع « ديجينيس » فى نفس تلك الطوابـق التحتية على الحدود البيزنطية حيث تصـارع مع الموت ، والمرأة العجوز تصعد الى مواقع المراقبة حين تبلى الرسوم الجصية المينوية للغروب فى البعيد ، والشـاعر يحفز الريـح كى تدفـع « دب الليل » الى رقص « التساميكو » فى الميدان ، بينما يقرع القمر الدف الى أن تهتز شرفات الجزيرة •

واستعادة الماضى ـ هنـا ـ ليست استحضارا رومانسيا ، ولا بحثا عن الزمن الضائع ، ولا هى ـ حتى ـ استعادة اليوتية (نسبة الى اليوت)

لـ « الحس التاريخي » ، حيث يبحث الشاعر ــ بوعي ــ عن تواصل الماضي مع الحاضر • فبالنسبة لريتسوس، فانه لا يتخلى أبدا عن الوضع الراهن، واحتمالاته في مستقبل حقيقي • فالراهن المفتوح يبقى في الخلفية منذ البداية حتى النهاية التي ما تزال في طور البداية • وتواصل الماضي اليوناني متحقق ــ لديه ــ كمعرفة مباشرة في ذاكرته العرقية ، أو في ايقاع دمه اليوناني ، ويحيا ضمن امكانيات لغته الدارجة الديموطيقية ، الشفاهية •

انه التزامن سمة أساسية ، والمعرفة الوجودية المباشرة محور أساسي للرؤية • وتلتحم الاحالات ــ المتعلقة بكائنات بشرية ، أو أشياء من الطبيعة ــ في شخص اليونان الأم ، التي تتخذ ــ في قفزات سيريالية خاطفة ــ تشكيلة مدهشة من الهويات الأنثوية التي تنتمي الى الماضي اليوناني المتشظي والكثيف : حورية الماء ، ربة الأرض الأم الأورفية التي تنجب ايروس وسط الهيولى ، وليدا التي تثمر تاريخ اليونان القديمة ، وأثينا الربة المقاتلة ، وأخيرا برسفون (بالاحالة الى ابنة الحداد) ، وأمها ديميتر التي توزع عليهم خصب الأرض والنشور •

استدعاء للتواصل التاريخي أو ــ بالأحرى ــ الاكتمال التاريخي ، دون أن يتحقق على حساب الحاضر • فهو يكتشف ــ من ناحية ــ التوحيد بين ابنة الحداد المعاصرة والأم النائحة ، و ــ من ناحية أخرى ــ بين الأرض الأم وحورية البحر والعذراء وديميتر وبرسفون • لكن موضوعه الدائم الملح هو الأنصار اليونانيون المعاصرون • فالاستدعاءات من الماضي اليوناني لاتستهدف ــ كما عند اليوت وييتس وجويس ــ اجتذاب البانوراما الهائلة للاجدوى والفوضى « المرادفة للتاريخ الانساني » الى علاقة متوازية من أجل ضبط وتنظيم وتشكيل ومنح المعنى لها• فهي ليست أداة لتشكيل عالم جمالي أو روحي متعال من الخيال ، يترفع على الحاضر الخشن • انها حاضرة من أجل الاحتفال بالخيال المعاصر الواقعي لليوناني، الذي يعرف أن « هذه الأرض لهم (للموتى) ولنا ، ولا يمكن لأحد أن ينتزعها منا » • ذلك هو السبب في أن ريتسوس ــ باعتباره مغني الجماعة ــ يقدم الصورة التاريخية والأسطورية والشعبية عن الماضي من

منظور الاحساس اليونـاني البيولوجي أو الطقسي (أكثر من الذهني) بالزمن والتاريخ ٠

وصورة هذا العالم الذى يكتشفه ريتسوس ـ العالم الذى تندمـج فيه كل الأزمان والفضاءات ، كل الأحداث والأشياء فى انسجام خالص ـ تصبح ، بذلك ، مقياسا حيـا للتهديد الذى يوجهه ال « هـم » الغزاة فى القصيدة ٠ وفى ذلك يكمن السبب فى قدرة ريتسوس على أن ينطق ـ فى المقطع السابع ـ بكلمات الحب فى سياق يستدعى الكراهية والمرارة ، وأن يؤكد الأمل فى سياق يستدعى اليأس ٠

هكذا ، تقدم القصيدة الزمن اليونانى ، دون أن يهم كم هو مشتت ظاهريا ، كراهن أبدى ٠ انه حضور حى فى وعى « الشعب » المعاصر :

★★★

« الشعر ظاهرة معقدة للغايـة ، لأنها تتحدد بتأثير عوامل عديدة ، اجتماعية وتاريخية وأخلاقية وبيولوجية ٠ وأنا واثق أن آلاف الصفحات من النصوص التوضيحية ، وآلاف الخطب ، لا تستطيع ـ بشكل كامل ـ أن تعبر عن الشيء الذى تتضمنه هذه القصيدة أو تلك ٠ بل أقول ما هو أكثر : ان قيمة القصيدة لا تكمن ـ فقط ـ فيما تتحـدث عنـــه ، وانما ـ بالأساس ـ فيما يجعـل القصيدة نتاجا فنيا ٠ وبعبارة أخرى ، فان القصيدة فعل جمالى متكامل ٠ ولهذا ، فان اخضـاع القصيدة للتأويـل والتفسير مسألة خطيرة للغاية ٠٠٠ فلا يمكن تفسير الشعر حتى النهاية ، وروعة الشعر وسحره المتفرد يكمن فى ذلك بالذات ٠ انه التعبير عن أدق حركات روح الشاعر وفكره ٠

ومهمة النقـد هى تقسـيم الصـورة النسـيجية التى يكمن فيها جوهر الشعر نفسه الى أفكار منفصلة وأحاسيس وصور فنية وايقاعات ، ثم يجرد ارتباطات كل هذه العناصر ، ويكتشف فيها آلية تأثيراتها ، ومن ثم الموقف الوجدانى المحدد للشاعر فى علاقته بالواقع الاجتماعى والخلفية الفكرية لتلك العلاقة ٠ لكن ذلك يجب ألا يفضى بالنقد الى وضع متطلبات

وشروط قسرية ازاء الانتاج الأدبى قد تؤدى الى ابتعاد القارىء نتيجة لتلك الآراء والادعاءات ٠

وأسوأ ما فى الأمر أن نرى الناقد يؤدى دور المراقب أو المعلم تجاه الشاعر ٠ ان هذا الموقف هو خرق للأخلاق وظلم للشعر والشعراء٠ يجب أن يتخلص النقـد من نبرة الحاكم أو الرقيب ، ويجب أن يتفـاعل مع أخلاقيـة الفن ، وهو ما سيؤدى بالنقاد (والقراء أيضـا) الى اكتشافات واستخلاصات كثيرة وجديدة ٠ يجب على النقد أن يقرب الشعر للقارىء ، وهى مهمة عظيمة ، اذ ان الشـعر هو منبـع التقنية الجماليـة للروح الانسانية ، انه يعلم الانسان أن يحس بعمق ورقة ، ويغنيه روحيا، ويعمق عالمه الوجدانى ٠ ان الشعر يربى فى الانسان الأوليات الجمالية ، والتى هى ـ فى جوهرها ـ اجتماعية بلاشك، اجتماعية بأوسع مفهوم للكلمة » ٠

(٣)

لا يستطيع أحـد أن يسكت غنـاءنا ٠

سنواصـل الغنـاء ٠

فالعـالم جميـل ـ نحن نؤكد ـ

جميل ، جميل ، جميل ـ وسنواصـل الغناء ٠

لم يكن ممكنا نشر « روميوسينى » عند كتابتها ٠ وكان لها أن تنتظر ست سنوات كى تنشر عام ١٩٥٤ للمرة الأولى ٠ وللمرة الثانيـة ، يقوم « ثيودراكيس » بتلحين احدى قصائد ريتسوس ، ليقدمها الاثنان معا الى الجماهير الحاشدة قبل فترة وجيزة من منع النظام لأعمال الاثنين ٠

لا يستطيع أحـد أن يسكت غناءنـا ٠

كأنه يكتبها وأسنانه مطبقة ، وشفتاه مزمومتان ٠ لمحة من السخرية والمرارة بدأت تظلل قصائده الأخيرة، دون أن تقمع الأمل الكامن فى قلبها٠ وبعد اطلاق سراحه ، جمع القصائـد المكتوبة فى ظلمات الحقبـة الماضية

(١٩٤١ ـ ١٩٥٣) فى مجموعة بعنوان شامل : « **سهر** » ، تحت عبارة اقتبسها من فترة حالكة أخرى فى تاريخ اليونان ، من « ديونيسيوس سولوموس » : « أعين روحى مفتوحة دائما ، لترقب دائما » . انه السهر على جثة الميت فى مواجهة انحطاط وظلم الحياة ، بلا يأس أو انكسار ، بل بالأمل والعنفوان .

تزوج عام ١٩٥٤ ، وفى العام التالى احتفل بطفلته القادمة بديوان « **نجمة الصباح** » ، الديوان الأول الذى لا تشوبه لمحة مرارة أو حزن : لكن الفرح بنجمة الصباح الوليدة لا يلغى الاحساس بضياع ما . كما أن الوضع اليونانى ـ بالرغم من تحسنه الجزئى ـ لم يكن ليرضى شاعرا بقامة وأفكار ريتسوس .

كانت الحقبة التالية ـ وحتى اعتقاله الجديد عام ١٩٦٧ ـ فترة خصوبة انتاجية هائلة : ما لا يقل عن ثمانية وعشرين ديوانا من الأعمال الجديدة ، وثلاثة مجلدات لقصائد ١٩٣٠ ـ ١٩٦٠ ، وتسعة مجلدات لترجماته الى اليونانية . ويتكشف الاهتمام بتعميق التجربة الشعرية ، والتجاوب مع المتناقضات والتعقيدات الصارخة التى مر بها . نزوع الى الحوار الذاتى الدرامى ، كشكل طيع لتقديم رؤية للعالم يمتزج فيها الأسطورى بالآنى ، والصفاء والبساطة يتعايشان مع الغموض والكوابيس، واليومى يمتزج بالفانتازى .

هكذا ، يستعيد « **أوريست** » من الذاكرة الأسطورية فى مونولوج درامى يطرح الصراع بين « الفعل » و « الفكر » . وتقود القصيدة بطلها الأسطورى فى طريق تأملى يفضى به ـ فى نهايته ـ الى الرغبة فى الفعل ، برغم ادراكه لأعمق تعقيدات الحياة . وبمعنى ما ـ اذن ـ يقدم ريتسوس مراجعته لـ « هاملت » . فهناك :

.. الوعى جعلنا جميعا جبناء .
ولهذا فالمظهر الأصيل للقرار
قد علاه شحوب الفكر .

أما بالنسبة لأوريست ، فالقرار ليس مقموعا بفعل الفكر، بل يقوى به ٠ انه مشلول ـ بصورة مؤقتة ـ بفعل تأملاته ، لكنه ـ فى النهاية ـ يذبـــح « كليتمينسترا » ، ويقدم على ذلك لا برغـم ادراكه الأعمق ، بل بســـببه ٠

انها الوحدة التناقضية للتعارضـــات ٠ فليس غريبـــا ـ اذن ـ أن يكون الأسلوب البلاغى المهيمن فى القصيدة هو « المفارقـــة » : (« حركة بلا حركة » ، « ضبابى ، لكنه محدد » ، « صرخة صامتة » ، « ما لا يعزى، ٠٠ يعزى ») ٠ ولا يمثل ذلك تلاعبـــا ماهرا بالألفاظ ، بل تحقق لغوى لمادة الموضـــوع ٠ وهو ما لابد أن يوجـــه انتباهنا الى الطبيعة الثنائيـــة والتناقضية للصور التى تنقسم ـ فى عمقها ـ الى نمطين ٠ ثنائية محددة و / أو مدمرة ، فى النمط الأول تتجلى فى تشبيه لسان الجرس والجرس ، الذى يصف اغتراب اليكترا عن صوت عويلها :

وهى تتـــدلى هنـــاك داخل صورتها
كلسان جرس ، وهو يقرع ويقرع الجرس ٠

وصوتها هو صوت الانتقام ، أو هكذا تظن ٠ لكن أوريست ـ وهو يمضى تدريجيا الى المعنى الأعمق للأشياء ـ يدرك أنها « سجينة عدالتها الضيقة » ٠ انها مفارقـــة أن الدوافـــع الطبيعية للفعـــل الانتقامى تسجن الذات ، وتحد منها ٠ ولهذا ، فاليكترا الشابة انما هى عجوز ، وحزامها « يشبه شريانا بلا دماء حول بطنها » ٠

ويرفض « أوريست » أن ينحصر فى نفس الطريق ٠ واذ يبحث عن « مخرج وأيضا مدخل » ، فانه يتوصل الى ذلك عن طريق النمط الثانى للرؤية الثنائية ، حيث الذات الفردية الراغبة فى الفعل (اللسان) تكف عن التصادم مع المحيط الضيق ، الفظ ـ (الجرس) ـ ويتم استيعابها فى لانهائية ما غامضة وحافزة ٠ وما ان يدرك أن النضال الانسانى كله ـ حتى قتل « كليتمينسترا » و « أيجيثيوس » ـ « يحفز الحياة » ، فانـــه يقوم ـ راضيا ـ بالفعل ٠

والصور — في هذا النمط الثاني — تجمع المتعارضات معا : السكينة والغليان ، الحركة والسكون ، والمتنـاهي واللانهائي ، والموت والبعث · فالليلة الساكنة — التي تكسرها صرخات « اليكترا » — تشبه نهرا مظلما :

ينساب نحو البحر بقفزات لا مرئيـة
(ربما كان أحدهم يرمي أحجارا في النهر)
وفلاح يسير على حافـة حقـل
وهو يحمل تحت ذراعه الظل الذى رمته غيمة —
ظل يرسم مشهدا طبيعيا بعيدا للانهاية)
(فأر يهوى في الآبـار ويغرق ،
لكن الآبار نفسها تعكس الكواكب
وهي تتحرك ببطء عبر السماء)

وفي جميع هذه الحالات ، يرتبط شيء ما صغير ، محدود ، ومدمر في الغـالب ، بشيء كبير ، غامض ، بـلا ايذاء : نجوم ، غيوم ، النهر ، الظلال ، مربوطين معا ضمن :

ايقـاع الحيـاة المتكرر ·

في هذا السياق من السكينة والايقاع الأبدى ، والصمت الكامن في النسـق الذى ينتظـم البـذور والنجوم ، نلتقي — لأول مرة — بالبقرة الصابرة المتحملة ، التي تساعد عيناها الكبيرتان الأرض على التآلف مع الأبديـة ·

وعندما نلتقي بالبقرة مرة ثانية ، فاننا ندرك أنها — أيضا — وأكثر حضورا من أى رمز آخر ، تتوج التعارضـات المتصارعـة · فهي لم تعد مربوطة — في كسل — كما السابق ، بالأوراق والسماء الزرقاء والتربـة الدافئة · وما ان تتحرر من النير حتى نكتشف أنها :

مجروحـة في ضلوعها وظهرهـا ···

فهي — بذلك — مشاركة في كل من الايقاعات الخلاقـة للأبديـة ، والمعاناة المدمرة للحياة الأرضية ·

أما ذلك النهر الآخر ــ النهر المظلم الذى ينساب نحو البحر مضطربا بفعل الصخور التى ربما ألقاها أحدهم فيه ــ فقد تصعدت أحجاره الى دماء ، ترتبط بالسيف الدامى الذى سيستخدمه « أوريست » فى قتل « كليتمينسترا » و « أيجيثيوس » • وفيما كان التقابل ــ فى الثنائية السابقة ــ قائما بين الأشياء الصافية وغير الصافية ، فان الايقاع المتكرر للحياة يفتقد ــ الآن ــ صفاءه ، بل انه ــ الآن ــ جرح كونى • مفارقة تتراكم فوق أخرى ، فما كان ــ فى البداية ــ متناقضا لأنه جمع التعارضات الظاهرية معا ، يصبح ــ الآن ــ مزدوج التناقض • ورغم ذلك ، فالنهر المتكرر للحياة المنسابة أبدا ما يزال يستبقى خصائصه الشفافية • والدم النازف من شفتى البقرة قد تلاشى ــ بالتدريج ــ فى ذلك الجرح العظيم ، كأنه ينساب :

متحررا ، بلا ألــم ،
خلال شريــان خفى للعــالم ••

وهذا الشريــان الخافق للحياة هو المقابــل لذلك الشريان الآخر ، الذاوى بــلا دماء حول بطن « اليكترا » • وبينما تظل « اليكترا » ــ فى عماها السجان ــ عدوا للمفارقة ، لأى شىء « غير منطقى » ، فان البقرة ــ بحكمتها ــ تبدو وقد تعلمت ، تبدو قادرة على القبول فى سكينة :

بــأن دمنا لم يهدر ، أن لا شىء قد أهــدر ،
لا شىء مطلقا قد أهدر فى هذا الهباء العظيم •

وهذه الحكمة يتبناها الآن « أوريست » ، ثمرة لتأمله الطويل أمام بوابة الأسد • يدرك أنه يحمل هذه البقرة فى ظله (نذكر ذلك الفــلاح الذى يحمل ظل غيمة تحت ذراعه) ، يدرك ــ أيضا ــ أن الظلال اللينة ، اللامحسوسة لقرنى البقرة يمكن أن تتحول الى أجنحة مسنونــة يتمكن بها من عبور الباب المغلق (فلنتذكر « اليكترا » ــ فى المقابل ــ وهى معلقة فى واجهة جرسها الفظ) •

لقد اكتشف أننا نشــارك فى الحقيقة الكونية (للاشىء العظيم) بأن نسمح لأنفســنا ــ من خلال التــأمل ــ بأن نتعلم المفارقــة أن كل

المغتصبين أبرياء ، « لأننا جميعا مغتصبون على نحو ما » . اننا نشارك فى حقيقة كونية بالعمل فى توافق معها .ذلك هو قدرنا . وقد يبدو أوريست وكأنه يفعل باسم تبريرات « اليكترا » غير المقنعة ـ العقاب ، العدالة ، الانتقام والكراهية ـ لكن تلك التبريرات لا تزيد عن أقنعة يرتديها كى تغطى ذاته الحقيقية . وحين يشارك فى الموت ، فانه يختار ـ بحريـة ـ « المعرفة وفعل الموت الذى يولد الحياة » .

ولهذا ، فالأفعال التى تشارك فى كلية تتضمن التدميرية هى ـ الى حد ما ـ ايجابية . ولا يسـتطيع « أوريست » أن يقوم بالفعل بنـاء على أسباب غير مقنعة تقترحها « اليكترا » ، لكنه ربما يستطيع الفعل من أجل هذه ال « نعم » اللامنطقية ، التى تشرق غامضة ومنيعـة فيما هو أبعد من كل فرد ، أو « ربما من أجـل انتصـار ما بلا فائـدة على أول وآخر مخاوفنـــا » .

تلك هى الكيفية التى يحـل بها ريتسوس الصراع بين « الفـكر » و « الفعل » . فهو ـ من ناحية ـ يرفض القبول بالفعل الطائش ، فيما يرفض ـ من ناحية أخرى ـ السماح للمعرفة العميقة ـ المعرفـة المتحققة بفعل التـــأمل ـ أن تشـل بطله . وعلى النقيض من « هاملت » ، يقهر « أوريست » تردده بفعل الحكمة المأساوية، ويقوم بالفعل ، بينما صرخات « كليتمنيسترا » و « أيجيثيوس » تذوب فى الايقـاع المتـكرر للحياة ، الايقـاع الذى يتضمن ـ الآن ـ لا أصوات الطيور المغردة فحسب ، بـل ـ أيضا ـ أصوات الصـيادين المدمرين . ولهذا ، ففى نهاية المونولوج ، تستقر البقرة ـ وهى الصورة الأسـاسية فى القصيـدة عن المفارقـــة المحلولة ـ فى منتصف بوابة الأسد ، وتحدق بعينين سوداوين فى ضوء الصبـاح .

(٤)

أتخفى وراء الأشياء البسيطة كى تعثروا على ،
فان لم تعثروا على ، فستعثرون على الأشياء ،
ستلمسون ما لمسته يـدى ،
فتمتزج بصمات أيدينـــا .

وكأن سدا ما قد انفتح فى هذه الحقبة من السلام النسبى ، التى تشبه هدنــة ما ، أو استراحة المحارب ، قبـــل أن يعود الى الجحيم • فيضان من الأعمال المنشورة ــ التى أجلتها المطاردات والمصادرات وظلمات الاعتقال • وفيضان آخر من الكتابة الجديدة التى أنضجتها المحن ونيران المواجهة والتصادمات •

كتابة تخترق كل الاتجاهــات بلا حدود ، وكل الأشــكال والأزمان التاريخية والأسطورية • أعمال مونولوجية درامية تستمد من الأســاطير الاغريقية شخوصها المعذبة ، الأليمة ، ومناخاتها الكابوسية ، الفانتازية ، المشحونــة بالصراخ والجنون وحكمة الزمن • وذاكرة متخمة بالتواريــخ والرموز الحية التى تتزاحم بحثا عن مخرج شعرى الى الضوء ، دون أن تســتغرق البصيرة ــ أو تســتلب ــ فى الوراء • انه الراهن ، الآنى ، والبصيرة المعاصرة ، والعين التى تدور حول محورها ــ أفقيا ورأسيا ، فى آن ــ بزاوية ٣٦٠ درجة ، فترى ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون •

ولا بحث عن أفعال بطولية خارقــة ، ولا عن أبطال يتسامون على البشرى • فالبطولة ــ فى ذاتها ــ كامنة فى البشرى ، اليومى ، الاعتيادى فى مواجهة الكارثة ، ومواجهة الحياة المأزومة• لا رومانتيكية ولا تجريد ، لا عدمية ولا ذهنيــة • احتفال دائم بالحيــاة كلها ، بشهواتها الانسانيــة العارمة ، بمكنوناتها التى تضج بالرغبات والأحلام والتشوفــات ، دون تواطؤ على شىء • اضاءة ــ فى نفس الوقت ــ للحظات الانكسار ، للعجز عن التواصل ، للأحلام المحبطة ، للبكاء الليلى فى الوحدة الباهظة •

هنا ــ بالتحديد ــ تبــدأ « **الأقواس** » ، تلك القصائــد التى كتب ريتسوس مجموعتها الأولى عام ١٩٤٦ ــ ١٩٤٧ ، ولن تعرف طريقها الى النشر ــ أول مرة ــ الا عام ١٩٦١ ، والمجموعة الثانية التى كتبت بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٦١ • أما ديوان « **البعيــد** » ، فكتب عام ١٩٧٥ ، ونشر فى مارس ١٩٧٧ •

ما يجمع المجموعات الثلاث هو وحدة الرؤية الرمزية والحساسية، سواء فى قصائد المجموعة الواحدة أو قصائد المجموعات الثلاث معا • رؤية شاسعة الفضاء داخل القوسين • هما قوسان يشبهان يدين متواجهتين عبر مسافة ما ، تجاهدان من أجل التحامهما معا والغاء المسافة، من أجل اللقاء الذى يعيد تأكيد التواصل الانسانى بين الذوات المعزولة • لكن ، بالرغم من أن هناك اشارات واضحة نحو انغلاق الفجوة بين اليدين، فان الاشارات تبدو محكومة ـ بصورة حتمية ـ بالفشل •

والقصيدة الافتتاحية فى الأقواس الأولى ـ « معنى البساطة » ـ تصلح تقديما للانشغالات الأساسية للشاعر • انه الاقرار بمسافة مفترضة بين الأنا والآخر ـ قد تكون المسافة بين القوسين ـ واحتمال الفشل فى اللقاء • لكنه الالحاح ـ فى نفس الوقت ـ على ضرورة المحاولة • وهى قصيدة يتم تأويلها ـ غالبا ـ باعتبارها عقيدة :

« مثل كافافى ، لا يمكن فهمى الا من خلال الأشياء المختبئة ، لكن الأشياء التى أختبىء وراءها بسيطة ، وهناك مدخل لها عبر الكلمات عندما تكون الكلمات صادقة : أيها القارىء، حاول أن تعثر على من خلال كلماتى، لأننى أريد اللقاء ، ولا يهم مدى الصعوبة التى تواجهنا من أجل أن يصل كل منا الى الآخر ـ فى الحقيقة ، اننى أصر على اللقاء » •

انها احدى قصائد ريتسوس القليلة التى تحمل خطابا شخصيا • ولن يظهر صوت « الأنـا » ـ مرة أخرى ، فى الأقواس الأولى ـ حتى القصيدة الأخيرة • وبين الأولى والأخيرة ، سنجد القصائد تستخدم ضمير المخاطب ، وضمير الغائب ، وضمير المتكلم الجمع ، وضمير المخاطب الجمع، وأية صيغة نحوية أخرى من أجل تفادى « أنا » الشائعة فى الخطاب الغنائى أو الذاتى ، وهو ما يمثل شاهدا اضافيا على اصرار الشاعر على التخفى فى هذا المثال وراء موقف موضوعى •

وليست القصائد بسيطة ـ بالمعنى الشائع ـ رغم تركيز بؤرتها الظاهرة على الأشياء البسيطة ، نسبيا • فالأشياء البسيطة ـ فى

« نسخة مصغرة » ، على سبيل المثال ــ تكمن فى امرأة بلا هوية ، وضابط بلا هوية ، وبعض شرائح الليمون النحيلة ، ومقعد قديم ، وكبريت وسيجارة وكوب شاى . ويكمن الفعل فى غياب الفعل : زيارة قد تفضى الى تلاق من نوع ما ، التقاء لا يحدث فى النهاية . وشرائح الليمون البسيطة تلك تصبح مجازا مركبا يمثل قلب القصيدة . وتواجه المرأة والضابط بعضهما عبر قطع الأثاث المحدودة ، مع أمل ما فى علاقتهما غير المحددة ، أمل يكفى ــ على أية حال ــ لمنع الزائر من النظر الى المرأة ، ولبث الرعشة فى يده التى تمسك بالكبريت . أهو احتمال شهوانى ، لقاء محتمل لعاشقين عند أكثر المستويات جوهرية ؟ بالكاد يبدو كذلك ، عندما تشكل شرائح الليمون ــ تلك التى أعدتها اليدان الحزينتان للمرأة من أجل الشاى ــ عربة صغيرة تستعيد عالم الطفولة بحكاياته الخرافية البعيدة ، بقدر ما تستعيد بعد المرأة / الابن فى هذا اللقاء بين امرأة غير محددة العمر وضابط محدد ــ بوجه خاص ــ كشاب « له ذقن رقيقة » . وقبل ادراك هذا التوقع بالحب ، توقف الساعة دقاتها لبرهة ، وتوقف الوقت . بعدها ، تأجل اللقاء أيا ما كان مستواه ، ولحظة التلامس المحتمل، سواء كان جسديا أم عاطفيا أم الاثنين معا ، تمر وتنقضى . وفى مرورها ، تستبدل عربة شرائح الليمون الخاصة بحكاية الطفل الخرافية بعربة لا مرئية تحمل الموت . أهو موت امكانيات تلك اللحظة ؟ موت تلك التوقعات الغامضة ؟ أم انه نذير بموت الضابط فى معركة ما ، والقضاء على أى مستقبل له ؟ (كتبت هذه القصائد فيما بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٧ ، لتعطى ــ أحيانا ــ تلميحات قوية الى السياق التاريخى الأكبر ، الحرب الأهلية القاسية) .

والأسئلة العديدة المطروحة تتخطى الأشياء البسيطة ، دون أن تقدم القصيدة اجابة محددة على أى منها ، فلا نعرف سوى أن العربة التى تحمل الموت قد جاءت ومضت فى لحظة الغموض التى توقفت فيها الساعة عن دقاتها ، وأن الأمل فيما هو أكثر من مجرد لقاء على شاى قد تأجل ، وأن الوقت الآن قد فات على اكمال هذا اللقاء المرتعش بين رجل وامرأة يؤديان أحيانا ــ دورى الأم والابن . ولا مجال الآن لتبجيل الموت العارض

أو الدائم • ويعود انتباههما الى مائـدة الشاى ، المنسية بالعربـة ذات العجلات الليمون المتوقفة فى الجانب المظلم من الشارع ـ شـارع الآمال الضائعة ، والتوقعات المستحيلة ، ربما •

والقصيدة التالية ـ« **امرأة** » ـ تمثل ما يعتبر المجرى العام لشعر ريتسوس ، ذلك الانشـغال بالفقراء وهمومهم • لكن ما تحت السـطح ينطوى على اسـتراتيجيات وتوجهات تربط هذه القصيـدة بالسـابقة وبالقصائد الأخرى ، فتضىء الايماءات التى فشلت فى تأسيس تواصـل ما بين أشخاص منعزلين، والمحاولات الفاشلة لاختراق العزلة أو الوحدة ، أو تقصير المسـافة التى تفصـل بين اليدين اللتين تتواجهان فى شكل قوسـين • وعنوان القصيدة ـ المتضمن حذف أداة التعريف ـ يؤسس مسافة ما ، وانتفاء للشخصية ، على نحو ما يفعل الضمير المقابل (نحن) فى السطر الثانى ، لندخل ـ بذلك ـ فى متاهة الايماءات ، حيث تفترض الايماءة الأولى الصادرة من العنوان ـ الدلالة على « النساء » عامة ، اللائى يعنين ب « **تصبح على خير** » ادارة الظهر• لكن ايماءة أخرى سرعان ما تتقدم كمحاولة لملء الفجوة بين « هن » و « نحن » : « **يضعن الخبز على المائدة** » كى يصبح حضورهن أقل ايلاما لنا • ونستجيب بايماءة مشابهة ، بأن نعرض اضاءة المصباح ، لأننا ندرك دورنا فى خلق هذه المسافة : « **كان ذلك خطأنا** » • وبينما نشعل الكبريت ، تصـبح النساء عامة ـ فجأة ـ مفردا ، « هى » شخصية ، لتبتعد عن ايماءتنا بعبء موت على ظهرهـا ، يشمل « موتك » •

وعند نهاية المقطع الثانى ، لا تحدث ـ فحسب ـ نقلة نحويـة من الجمع الى المفرد ، فى حالة النساء ، لكن ضمير المتكلم الجمع ـ المطابـق للأنا المذكور العام ـ يتقلص الى ضمير المخاطب المفرد ، كاشارة نحوية الى حميمية أكبر ، وهو ما يمتد الى مخاطبة القارىء أيضا ، « القارىء المنافق hypcorite lecture » ، ان صح التعبير • واذ تستدير النساء ويبتعدن الى عالمهن الحزين حيث تصرخ الأطباق فى الرفوف ، فانك ـ أنت ، وأنا ، وشخص الشاعر ـ نرى أن حزنها ربما لم يكن شخصيا كما كنا نظن •

انه نتيجة لدورنا فى حياتها ، وايماءاتنا الفـاشلة ، أو حتى بفعل موتى العائلة وموتنا نحن الذى تحمله داخلها ، مثل هؤلاء الذين يمضون الى جبهة القتـال ، وبفعل الدور الرمزى للمرأة كعاشقة وزوجة وأم تندبهم جميعا • وقد حولت الاشـارة الى الجنود الذاهبين الى المعركة من ايقـاع الدراما فى اتجاه السـياق العام الذى بدأت منه ، والذى بدا التـأشير النحوى ــ فى المقطع الثـانى ــ وكأنه ينقذنا منه • وبالرغـم من جسور الايماءات الوقتية ، تبدو المسافة الفاصلة محتومة ومنيعة ، حينما نصل الى السطر الأخير ، على نحو ما كان الشاعر قد افترض فى السطر الأول •

هكذا يؤسس ريتسوس خطابا كليا عبر تكرار جزئيات مترابطـة من قصيدة لأخرى ، وهو نمط أصبح أكثر وضوحا ودرامية ــ فى تأثيره ــ فى مجموعاته الأخيرة • وسوف تكشف لنا سطور قليلة من قصائد أخرى الملمح الكلى لاحدى الأفكار المركزية التى سبق استكشافها، فكرة الشخص الوحيد الطامح ــ والذى يفشل دائما ــ الى الالتقاء بالآخر المعزول • ومع الفشل ، فانه أحيانا ما يتوصل الى نوع من الاكتفاء الذاتى • من قصيدة « ربما ، ذات يوم » : « **لكننى أصر على الرؤية وأن أريك ، قال ، / لأنك ان لم تر انت أيضا ، فكأننى لم أر ــ / سأصر ، على الأقل ، على ألا أرى بعينيك ــ/وربما ذات يوم،من اتجاه مختلف، سوف نلتقى** »، ومن قصيدة « اكتفاء ذاتى ؟ » : « **تحت الأشجار كرسيان • لماذا هما اثنان ؟ / آه ، نعم ، واحد لتجلس عليه ، وواحد لتمدد رجليك** » ، ومن « فهم » : « **كى تسـتطيع النظر خارج نفسـك ــ دفء وسـكينة • / لا أن يكون « انت وحدك »** ، **بل « أنت أيضا »** • ومن « نفس النجمة » : « **ذلك الرجل يشك فى أن كل مرآة / بها امرأة واضحة ، أخرى ، محبوسـة فى عريها ــ / تقريبا كأنك تريد أن توقظها ، لن تستيقظ • / تستغرق فى النوم وهى تتشمم نجمة • / ويستلقى يقظانا وهو يتشمم نفس النجمة** » •

***

وفى **الأقـواس الثانيـة** (١٩٥٠ ــ ١٩٦١) ، ثمـة انشـغالات واستراتيجيات ترتبط بالسـابقة ، على نحو ما يؤكده اختيـار الشـاعر

للعنوان المشترك • فالفشل فى التواصل ، والنكوص الى اكتفاء ذاتى ، حاضران ــ مرة أخرى ــ فى احدى القصـــائد القليلة التى تستخدم ضمير المتكلم ــ « اكليل » ــ حيث يقرر الشخص المنعزل أن يتوج نفسه بالاكليل المجدول من الغـــار ، والذى ظل محتفظا به من أجل الآخر الذى يحـــاول ــ سدى ــ العثور عليه • وهناك ــ أيضا ــ فشلنا فى التآلف مع حقائق كل من الحضارة والطبيعة ، وضياعنا فى محيط لا يستوعب مقاصدنـــا الطائشة والخرقاء أحيانا •

لكن الفكرة الأكثر الحاحا فى هذه المجموعـــة تكمن فى عجزنـــا عن الفعل ، أو فى هواجسنا ازاء الأشياء التى لا تحدث ، والأماكن الخاوية والمغلقة • ففى « الوحيد » ، لا يكفى أن ما تم انتظاره زمنا لا يحدث ــ وهو ما لا يتم تحديده ــ لكن هؤلاء الذين انتظروا شيئا ما أن يحدث يجـــدون ــ وهم يخفضون الأعلام ــ أنهم متروكون وليس معهم سند وحيد،أو بديل وحيد لما كان متوقعا ، مع افتقاد الحل البربرى فى هذا العالم الكافافى الجديد ، افتقاد التبرير • واذا كانت الجدران ــ فى « الوحيد » ــ «**تفوح ــ بقوة ــ بالغربة**»، ففى « تعبير الخريف »، تفوح الأشياء المحيطة بالخواء، بالغيـــاب ، بالموســـم الخطـــأ ، لأن « **الرطوبـــة الهائـــلة بدأت • ورحـــل المصطافون** »• ونعرف من « تقويم مكتبى » أن « **الجميع ذهبوا الى الخارج** » فى منتصف الشتاء ، ليتركونا الى « **ملامح اليأس من الريـــح / فى واجهة الباب الزجاجى للفندق المغلق** » •

ولا يحدد ريتسوس مصادر أو أسبابا بعينها للاحساس بالهجران والغياب ، بالجمود والصمت الذى يسود المشهد لديه فى الأقواس الثانية، ولا يقدم اشارة واضحة لما يمكن أن يكون سببا فى تغيير الاحتمالات المرجأة والتوقعات المجهضة • والمدخل الوحيد الذى يتيح لنا التوصل الى رؤيته للمستقبل ، وللكيفية التى يمكن أن تتحول بها الأشياء ، يتحقق من خلال قصيدتين من أهم قصائده فى « الأقواس الثانية » • وكل منهما تقترح آلهة جديدة تحل محل القديمة •

فى القصيدة الأولى ــ « فى أطلال معبد قديـــم » ــ يضع ريتسوس الآلهة القديمة والجديدة فى تقابل مبـــاشر : « **حارس المتحف كان يدخن**

أمام حظيرة الغنم ٠/ كانت الغنم ترعى وسط الأطلال الرخامية » ٠ ويبدى الراعى والحارس القبول بالأطلال الرخامية القديمة كأشـياء حياتيـة ، عادية ، كأن الأطـلال قد استنزفها الزمن من أية وشائـج الهية ، لتصبح ـ الآن ـ جزءا من هذا العالم كنفس تلك الشياه التى ترعى بينها٠والواقع أنه لا يمكن الفصل بين الشياه والأطلال : « جرت الغنم اليه كأن الأطلال الرخامية كانت تجرى » ٠ وتبدو المرأة ـ مع الثياب المغسولة ـ طارئـة على الآلهة القـديمة ، وهى تعلق سراويـل زوجها الداخليـة على أكتاف « هيرا » ٠ وبدلا من موكب تمجيد الآلهة ، نجد صيادين بسـلال مليئة بأسماك وامضة ، متعددة الألوان ـ بل الأسوأ أن وشاح الربة المطرز فى أبهة قد تم تمزيقه لصـنع ستائر ومفـارش الموائد ٠ وبدلا من الاحساس بالسخرية ، يتملك المرء الاحساس بمنطقة ومناخ تم تنظيفهما من أجـل بدايات جديدة ٠ ففى التعامل مع الآلهة القديمة بهذه الصورة العارضة ، بهذه الألفة ، فى تحويلهم من أدوات غموض الى أشياء منزلية نافعة تتطلبها الضرورة ، يبدو أهل العالم الرعوى الحديث لا وكأنهم قد كيفوا ماضيهم القديم ، بل وقد فرضوا عليه الحياد ، كأنهم يهيئون لقدوم آلهة جديدة ٠

وسـيجد هذا التفسير ما يدعمه فى قصيدة تاليـة ـ « بخور » ـ وخاصة فى سطورها الأخيرة ، حيث يبدو اشعال سيجارة كنوع جديـد من طقس الهى ، من بخور جديد من أجـل اله مجهول ، لا يبلغـه أحد ، مرصود باعتباره « **الههم تماما** » (كى نميزه عن آلهة الآخرين ، عن آلهة التراث ، وآلهة الأعداء ، الخ) ، اله بلا اسم ، ولا تحديد ٠ وعلى العتبة يتذكره الرجال ، وهم فى غمار الانبثاق من الأحياء المغلقة ، الزجاجيـة ـ فى المقطع الأول ـ الى الهواء الطلق ، فى طريقهم الى عملهم ، مفترضين ـ ربما ـ أنه اله جديد ما يشير اليه دخانهم ٠

★ ★ ★

ونصل الى « **البعيد** » الذى كتبت قصائده بعد خمسة عشر عاما من آخر قصيدة من « الأقواس » ٠ ويتخـذ المشهد الذى يطرحـه ريتسوس خشونة وكآبة تتخطى تجليات أعماله السابقة ، غير أن هناك قوة جديدة

تنطوى عليها هذه المرحلة من رؤيته · فالقوة العليا المهيمنة ـ على نحو ما يفترض العنوان ـ هى المسافة، والصمت، وما يتعذر بلوغه ، والبطالة، أى كل ما تضمنته الأقواس الأخيرة، لكنه يصل ـ هنا ـ حدوده القصوى· ورغم أن قصيدة العنوان هى الأخيرة فى الديوان ، فانها تنطوى على نغمة الابتهال ، كصلاة ما الى اله يرفرف بأجنحة من أقواس ريتسوس ، وقد احتل ـ هنا ـ منصة مركزية ليتلقى التراتيل مباشرة : «أيها البعيد··»· وتبدو الفجوة الفاصلة بين اليدين المجازيتين للأقواس وقد اتسعت الى ما لا نهاية ، اذ ان الخطر الأكثر حقيقية انما يأتى من « **القريبين ، من القرب ذاته** » ، واذ ان ما يستند اليه العالم انما هو شىء ما لا يمكن التسليم به ، شىء ما بلا ضمان ، يعيش خفيا فى عالم البطالة حيث تهيمن الموسيقى ·

ومعظم العناصر التى تؤسس للمشهد الجديد فى « البعيد » مألوفة منذ القصائد المبكرة ، لكنه يقدمها ـ فى هذا الديوان ـ بأسلوب متخلص من كل زخرفة ، ليحقق قوته فى نوع جديد من البساطة والاقتصاد ، لا عاطفية مباشرة، لا استعارات واضحة ، والتركيب الأساسى للعبارات ، والألوان الأولية ، والتفاصيل مركزة ـ فى تدقيق ـ من أجل خلق صورة بلد ينتابه عنف سرى :

الصوت العميق سمع فى الليل الأعمق ·

فالفعل ـ فى قصيدة « فى اتجاه السبت » ـ قد تمت معالجته باقتصاد ، محض الحقائق العارية ، ولا تعليق · مشهد تم تصويره ـ بقوة ـ لأحلام رديئة ، لرعب تستعيده الذاكرة مع المخاطر والتهديدات التى تظل بلا حل · وربما كان الشخص المحورى ـ فى هذا المشهد الكابوسى ـ يمثل ضحية فى شرك ، يحاول أن يتخفى من قوى وأعداء غير واضحين ، ولا تحديد لهم سوى ب « هم » ·

وتهديد الاعتقال والاذلال يطارد ضحية الكابوس ، حتى فى تلك اللحظات المنذورة للبهجة ، مثلما فى « الاعداد للاحتفال » ، حيث الشخص

الذى يحتفلون به فى اجتماع عام فى قاعة كبيرة ، لا يكتشف فحسب أنه ضائع فجأة ، بل يدرك أيضا أنه اذا ما استعاد نفسه ، واستطاع أن يحرك قدميه كى يمضى ، فان الحاجب سيقبض عليه ·

وافتقاد الضحية للتواصل مع نفسه يتوازى مع افتقاد كلى للتواصل مع الآخرين فى هذه القصائد التى تلتقط فكرة اثنين يواجه كل منهما الآخر فى محاولة للتحاور · لكن الحوار الجوهرى قد مضى لما هو أبعد من اللقاء عبر الكلمات ، على نحو ما يؤكد عنوان احدى القصائد : « حوار موجز » · فحتى السرير الذى تواصل فيه الحوار ، تراه المرأة ك « **حيوان صامت ، متوحش يتاهب للرحيل** » · والبعد الفاصل بين « هو » و «هى» ــ فى هذا الديوان ــ يبدو غير قابل للعبور · انهما ميتان بالنسبة لبعضهما البعض · ذلك ما يبدو ــ حرفيا ــ فى « اكتمال تقريبا » ، حتى لو كان حوارهما يجاهد فى انكار ذلك · وفى أفضل الأحوال ، فهما يتواجهان كمشلولين ، مستريبين ، يرى كل منهما الآخر بعينه الزجاجية ·

والقصيدة التى تقدم ــ بالفعل ــ صورة للاتصال الجسدى ــ « شروق شمس الشتاء » ــ تخبرنا بأن الشخص الثالث فى المنتصف ليس سوى تمثال،ويرى الثلاثة يتمشون فى « **اللامبالاة المضيئة للموت** »· وهذه الفكرة ــ فكرة موت اللقاء حينما يبدو ممكنا وضروريا ــ تجد خلاصتها المنطقية فى « مع ما يتعذر بلوغه » ، حيث الـ « هو » يصل الى ما يبدو وعدا أقصى بالاكتفاء الذاتى ·

ان رحلة الثلاثين عاما من « **أقواس ١٩٤٦ ــ ١٩٤٧** » الى « **البعيد** » هى رحلة تطهير مريرة ، من تركيزه على ما يسمى بالأشياء البسيطة والايماءات المجهضة الى التركيز على الأساسيات العارية ــ لا الجرداء ــ والطقوس البدائية · لاخطابة أو انشائية ، لا غنائية ذاتية ، بل المجازى الذى يضىء ــ فى غموضه ــ مأساة الحضور الانسانى ·

(٥)

أيها الألـــم اللانهائي
أيها الفرح باتســاع العالم .

كأنه كان يسابق الزمن ونفسه ، دون اطمئنان الى حريته ، أو كأنه ــ بحدس الشاعر العميق ــ كان يدرك أنها حرية موقوتة كالقنبلة التى لم يحن موعد انفجارها • وقبل أن تنفجر كان قد نشر ديوانه « **شهادات** » على جزءين ، عامى ١٩٦٣ و ١٩٦٦ • تجربة جديدة من قصائده القصيرة المكثفة ، التى يعيد فيها اكتشاف أركان العالم المختبئة ، ولحظاته الهاربة ، وايماءاته السرية • وللمرة الأولى ، ينشر تقديما ل « الشهادات » كان قد كتبه بطلب من اذاعة براغ لبرنامج خاص عن الديوان :

« ان مهمة الشاعر ، فيما أعتقد ، تكمن فى أن يتحدث لا **عن** الشعر ، بل **من خــلال** الشعر ، حتى لو كان هو الأكثر ملاءمة والمرشـــح الأكثر مسئولية عن تقديم خيط « اريادنى » لنا ، الذى يمكن أن يقودنا الى السر العميق لكيفية فعاليــة الشعر • مسئول ، نعــم ، لكنه لابد أن يتحدث بطريقته ولغته الخاصتين ــ ولغة الشعر لغة للتركيب ، فيما لغــة النقد لغة للتحليل : لغتان مختلفتان كليا • ولهذا ، فعندما نطلب من الشاعر أن يحدثنا عن عمله الشعرى وليس **من خلال** عمله ، فاننا نطلب منه تغيير الوظيفة • وفضـــلا عن ذلك ، كما قلت كثيرا من قبل ، فان « الشعر ، كشعر ، يقول لنا الكثير والكثير وعلى نحو أفضل بكثير مما يمكن لنا أن نقول عنـــه •

كيف ــ اذن ــ **ولماذا** يتوجب على الكتابة عن ال « شهادات » ، طالما أنك تستطيع التواصل معها مباشرة ؟ وحتى لو أردت سحب تحفظاتى على المنهج التحليلى للنقد ، الذى يفرغ القصيدة على نحو يصعب اصلاحــه ، وقررت أن أستخدمه ، فاننى سأحتاج ــ غالبا ــ دستة صفحات للاشارة الى العناصر التى تنطوى عليها ثمانية سطور أو عشرة فى هذه القصائـــد القصيرة ــ مهمة مستحيلة بوضوح ، فضلا عن عبثيتها ، طالما أن التجربة

الجماليـة غير قابلة ـ عمليـا ـ للنقل : فهي تتطلب ـ ابتداء ـ ادراكها الخاص من قبل كل قارىء ، من خلال تجارب الحياة اللانهائية ، والمعرفة ، والممارسات ، و ـ قبل كل شيء ـ التوجهات الخصوصية ٠

. . .

بحكم الضرورة ـ اذن ـ فالسبيل الوحيد المتاح لنا هو اللجوء الى التبسيطات والتعميمات ، والتي ليست أكثر فائدة في المقاربة الحقيقية للفن ، أو يمكننا اللجوء الى تفسير تاريخي موجز لكتابة القصائد ٠ وهو ما يمكنني القيام به استجابة لطلبكم الكريم ٠

. .

لقد بدأت كتابتي لـ « شهادات » تقريبا منذ الوقت الذي بدأت فيه الكتابة ، أي عندما كنت في الثامنة من العمر ٠ أعني بذلك أن أساسها قد أرسي منذ ذلك الحين ، بل وقبـل ذلك بكثير ٠ لكن شـكلها الأكثر تحديدا بدأ في التشـكل عام ١٩٣٨ ، في سلسلة من القصائـد القصيرة التي تحمل عنوانا كاشفا « ملاحظات على هوامش الزمن » ٠ واستمرت هذه القصائد ـ فيما بعد ـ في « أقواس » وفي سلسلة كبيرة تالية «تدريبات»، الى أن تكثفت واتخذت شكلها النهائي ، وحملت عنوانها العام «شهادات»٠ وقد ظهرت ـ خلال هذه الفترة ـ مجموعـات أخرى من القصائـد تحمل عناوين مختلفة ٠

ولا أستطيع ـ بالتحديد ـ أن أقول **كيف ولماذا** حدث أنني ـ أنـا الذي انكببت في البدايـة على القصائد الطويـلة التركيبية بحكم الميـل والتوجه ـ قد ارتبطت لسنوات عديدة باصرار وحب بالـ « شهادات » ، ومازال مشغولا بها بصورة مستمرة ، جنبـا الى جنب ما أعمل فيه أيـا ما كان ـ مقدما لها اهتماما متميزا ومسـتقلا ، ولا يمكنني أن أقول لماذا أواصل كتابة هذه القصائد **المقتضبة** ، الابيجرامية ٠ ربما يكمن السبب في أنني مقتضب بحكم السـلالة (وليس ذلك مجرد تلاعب بالألفاظ) ، وربما يكمن السبب في نزوعي الى أن أثبت لنفسي وللآخرين أنني قـادر على التعبير عن ذاتي بكلمة مكثفـة ، محكمة ، وربما نتيجـة للرغبـة في الاستراحة بعد التوتر العالي المؤرق ، لفترات ابداعية طويلة ، ربما كان نتيجة لاحتياج ما لممارسة يومية في احكام شحن قدرتي الفنية الى الحد

الذى يمكننى معه أن أستخدم ـ مباشرة ، وبلا أخطاء ـ التجارب المتجددة أبدا للحياة فى الفن ، وربما يأتى من محاولة تكثيف تعبيرى ، كرد فعل على خطر الاسهاب والخطابية الذى يتوارى خلف القصائد الطويلة ، وربما كان نتيجة للاحتياج لتقديم استجابة بسرعة البرق للمشاكل الحيوية الملحة لعصرنا ، ولعله يأتى ـ حتى ـ من رغبة فى التوقف المفاجىء ورصد لحظة منفردة قد تسمح بالتأمل العميق ، الميكروسكوبى لذاتها ، والكشف عن جميع عناصر الزمن التى ربما تلاشت فى مدى محدود ـ ادراك للمخفى بمعنى آخر ، من خلال الرؤيا ، ادراك للحركة الدائبة خلال الثبات .

والقصائد ـ على أية حال ، وبرغم ما قد تمثله ، الى حد بعيد ، من مفارقة (وهى كذلك ، عن عمد) ـ انما هى **شهادات** حقيقية لتجربة عامة بقدر ما هى معينة . عامة ، حينما تتعلق بسؤال أصل الانسان ومصيره ، وموقعه فى العالم ، حتى وهو يواجه الموت ، والعلاقات الانسانية فى سياق الزمن والمكان الاجتماعيين والتاريخيين ، ومعينة حينما تتعلق بالفن وتقنيته ، كأن هناك مكانا متماثلا ، وان يكن خاصا أيضا ، للبحث والتعبير الاجتماعيين والوجوديين .

وكثيرا ما سوف نلتقى لا فحسب باتجاه للاقرار والتسامح المجرد باسم الادراك والوعى العميق بعناصر الحياة الغامضة ، المعقدة ، العصية على الفهم، المستعصية على التفسير واللامسئولة، ولا فحسب باتجاه للكشف المكتفى بذاته لعمق قد ينطوى على تبريره الذاتى ضمن جذوره الغامضة (والذى قد لا يحتاج ـ أصلا ـ لأى تبرير من أى نوع) ، بل سنلتقى ـ أيضا ـ باتجاه للموازنة الاجتماعية والأخلاقية ، للنقد والنقد الذاتى ، وباتجاه للمسئولية الجزئية والكلية عن اللحظة التاريخية الراهنة ، عن تاريخ الجنس البشرى كله ، وخصوصا ـ بالطبع ـ تاريخ اليونان .

ولا تتردد القصائد فى التعالى على الملاحظة والوعى الحيادى ، والسحر المريح للصمت والضبابية ، وأيضا الدائرة السحرية (أو اللولب السحرى) لتقديمهم من خلال « روابط ذاتية الحركة » . ولا تتردد فى

الميل الى تحديد وتعيين الحديث ، والمحادثة ، وحتى ــ أحيانا ــ الى التحقق من الأسباب ، والشرح بل والاقتراح المحدد ، الحافز ، والتحذير ، والحل ، والاستنتاج، أو النصيحة ، وبالطبع ــ ليس دائما، وانما كثيرا ــ فوضوح الفن يمكن أن يسمح بالاسراف فى البوح ، أو بالحذلقة فى التعليم ، والحيادى ــ الذى مارس واكتسب تواضع الشعر ــ يمنح الشاعر الحق فى اتخاذ موقف ومزاج المعترف والكاهن ، والأخلاقى وحتى المعلم ٠

أما بالنسبة لنغمة « شهادات » ، فانها (عن عمد ، وبالغريزة) لا شخصية ، لا مبالية غالبا ، وليست ــ فى الحد الأدنى ــ عاطفية ٠ ليست ــ فى الحد الأدنى ــ خطابية ، فيما تخفى أى عنصر مأساوى خلف تعبير حيادى لاأعرف ــ على وجه التحديد ــ ما اذا كان على أن أسميه تواضعا أم عجرفة ، أدبا أم وقاحة ، حنوا أم ازدراء (حيث الحنو ــ كما الازدراء ــ جبن فى الأغلب) ، جرأة أم خوفا من سوء الفهم ونهجا فى الفهم ، اخلاصا مطلقا ومتواضعا أم قناعا مطلقا للامبالاة مدهشة وقولبة يتعذر مقاربتها ، وراءها يمزق الهدوء الداخلى الانسانى نفسه بين وجهى الحياة والموت ، دون أن يتخلى أبدا عن نضاله من أجل الوجود ، واكتشاف ذاته ، والتعبير عنها واستدامتها ، ومشاركتها وتبريرها (حتى ولو كان ذلك من خلال كلمة مساوية للفعل) فى العالم ٠

لا أدرى ٠ ربما كانت كل هذه الأشياء تحدث بالتبادل أو ــ حتى ــ على التوالى ، جنبا الى جنب معاونة الأشياء البسيطة ، الواقعية ، المستعصية على الادراك والمهدئة (تلك المولدات الصغيرة للطاقة الانسانية النافعة ، تلك الأساطير اليومية البسيطة) ، التى تساهم وتشارك ــ لا اراديا ــ فى الأدوار الرئيسية فى دراما لا تخصها ٠ لقد استدعيت لتؤدى دور « لا شىء يحدث » بالتحديد عندما يحدث كل شىء ، ويصاب المشاهدون بالذعر من كل ما يجرى ، ليرحلوا دون أن يروها ، دون معرفتها ، ليتركوا الشاعر متهما فى عزلة مطبقة ، فيما يغرقون ــ هم أنفسهم ــ فى عزلة أكثر سوءا ، عزلة بلا ومضة حل ممكن لها ٠

هكذا ، فالأشياء البريئة قد استدعيت كما لو كانت غير منحازة ، ومتسامحة ، أو كوسائط نزيهة (برغم أن حضورها يظل مؤثرا الى حد

بعيد ، على نحو غامض فى النهاية ، ورسالتها الخفية هى — على أية حال — رســالة قبول وتسامــح) • وفى مواجهة الأشياء ، لا انحيازات لنــا ، ولا اهتمام ذاتيا أو معارضات ، ولا نكن لها عداء أو احتراما (كما نفعل تجاه المبادىء والمشاعر) • فى ذلك ، يكمن سبب قدرتنــا على احترامها ، والاعتراف بها ، والثقة فيها •

ذلك ما يتحقق — اذن — حينما يهبط الفن من التجارب العظيمة الى مستوى المكر والحيلة (كعنصر ضرورى فى تقنيته) ، والتى لا تزيد — فى النهاية — عن « ابتسامة بعيدة » ، عن طيبة ما ، وفهم ، واحتياج انسانى وعنيد الى المشاركة ومحاولتها ، والصداقة المشتركة ، والاخوة •

وبودى أن أنتهز هذه الفرصــة لألاحظ (رغـــم يقينى من أنكم قد لاحظتم) كم أننى كثيرا ما أستخدم — فى ال « شهادات » (وفى هذه المقالة أيضا) — بل وأغالى فى استخدام كلمة « ربما » وحرف العطف « أو » • وأنا متأكد — أيضــا — من أنكم تعرفون الآن — سواء ما اذا أحببتم ذلك أم لا — أن ذلك لا يحدث بالمصادفــة : انه أمر مدروس على نحو مطلق ، والزامى غالبا • لا أعنى — هنا — افتراض أن الضرورة الشخصية تتجاوب، بأية حال ، مع التبرير الموضوعى الجمالى (اذا ما كان مثل ذلك التبرير موجــودا) • ولا أنا طامع فى تبريرات : لا حاجــة اليها ، وهى ليست بذات أهمية • فالموضوعية الشخصية تكفى ، وهى الموضوعية الوحيدة — فيما أعتقد • اننى أفسر — فحسب — بقدر ما أستطيع ، بعض ايماءات الشعر التى لا تتصل — كلية — بالقصيدة (وبالتالى،فهى ليست — كلها — تافهة) ، مدركا — مع ذلك — أنها تظل عصية على التفسير (هل ذلك الذى يظل — فى النهاية — عصيا على التفسير ، حتى بالنسبة للمبدع ذاته ، هو — تحديدا — ما ينتمى الى الشعر ، ويحفز القارىء تجاه الابداع ، أى تجاه اكتشافه الخاص ، أو — فى الحد الأدنى — بحثه الخاص ؟) •

ان الاستخدام المتكرر ل « ربما » — اذن — فى كتاباتى ، وخاصــة خلال هذه الأعوام الأخيرة ، ليس حيلة أو مجرد صنعة • انه أيضا تشككى الخاص ، تساؤلى ، واحتياجى الى اجابة • هو نوع من أداة حفر متاحــة

من أجل بحثنا المشترك (بقدر ما هو ممكن) ، حتى عندما تنبع هذه ال « ربما » من يقين أو ترفع شخصي ، أو من ذم يتخفى في شكل تجاهل ، أو سذاجة ، أو تواضع ، أو كرم ·

وعلى نفس النحو ، فالاستخدام المتكرر لحرف العطف « أو » ليس ـ ببساطة ـ تأكيدا على تعددية أبعاد الحياة والفن ، ولا مجرد نصيحة بالاختيار بين بدائل مختلفة · فالأكثر أهمية أنها كشف لنظرات قابلة للادراك ، ومقبولة على نحو عام، وأنها تحذف وعيا أساسيا (أسيء تشكيله على نحو متسق ، أو تم تجاهله كليـة) · وهذا الحذف الصامت ـ على وجه التحديد، فيما أعتقد ـ هو الذى يجعل مثل هذا الوعى قابلا للادراك، حاضرا ، ومرئيا حتى بعده الأول والأخير اللامرئى ، اللامحدد ، اللانهائى · وهو ما ينطبق ـ بلا فشل ـ على أولئك الذين أهلوا أنفسهم إلى حد ما ، والأكثر على أولئك الذين تأهلوا تماما ·

مع الجميع قلت اننى أخشى أن أكون قد جعلت « شهادات » الغامضة بالفعل ، كما يقولون ، أكثر غموضا ـ هي غامضـة ، بالتأكيد ، نتيجـة للوضوح الزائد ، والتحديد ، والحميمية ·

والطعم الأخير الذى يتبقى فى أفواهنا من ال « شهادات » ربما هو العرفان الصامت تجاه الفن والفكر والفعل والحياة الانسانية ، رغم أنف كل المحن ، ورغم الموت ـ وربما بسببهم حقا · وربما كان ذلك ـ أيضا ـ عكسا أو تحويـلا جديـدا للأشـياء ، يجلب العزاء (أود القول : تغييرا أو تحريفا) ، على نحو ما يحدث دائما فى كل كشف ، أى فى كل ابداع ، حيث كل لحظاته المجيدة العارضة بالاحساس بالعنفوان، وبهجته الساحرة اللحظية (من قبيل الاحساس المباشر بالأبدية والمسئولية المشتركة عن الكون) لا تخفى ـ بشكل كامل ـ شعورا ما باللاجدوى والجهد الضائع ، مهما كانت رغبته (أو عدم رغبته) كبيرة فى تحييده أو ـ على الأقـل ـ عكسه ، لتحويل خصائصـه السلبية الى خصائص ايجابية ، ولتحويـل النفى المطلق الى تأكيد غير نهائى ، كلى · وهو ـ فيما أعتقد ـ ما تشهد عليـه « شهادات » فيما يتخطى مزاج أو سيماء السخريـة والسخريـة

الذاتية . وربما سيكون ذلك ــ أخيرا ــ شهادة كل انسان ، في كل زمان ومكان ، يحس بالشعر ويعمل في مجاله » .

(٦)

أيتها الرحلة بلا متاع
نار بلا فحم
جوع بلا خبز
عطش ونشوة بلا نبيذ .
فات الآن أوان الرجوع .

وفي ليلة ٢١ أبريل ١٩٦٧ ، ينقض الكولونيلات على الحكم . ومع آلاف المعتقلين من السياسيين والنقابيين والمثقفين ، يعتقل ريتسوس . ثلاثة أيام محتجزا لدى البوليس ، ثم الى ستاد « هيبودروم » ، أحد مراكز تجميع المعتقلين قبل نقلهم الى الجزر التي تلعب دورا مزدوجا في التاريخ القمعي في اليونان : دور المعتقل السياسي ودور المنفى .

أما ريتسوس ، فالى « ياروس : جزيرة الشيطان » . جزيرة جرداء صخرية ، وبضعة أبنية متناثرة ، مهجورة ، لن يأوى اليها المعتقلون المنفيون، بل الى خيام تنتظر أكثر من ستة آلاف وخمسمائة معتقل منفى .

ومن « ياروس » الى « ليروس » في سبتمبر من نفس العام ، حيث رفع عنه تحريم الكتابة . مفكرة يدون فيها مسوداته الشعرية التي ستؤسس قصائده القادمة . مسودات مكثفة وخاطفة لايماءات الرعب والهذيان ، والكلمات المتقاطعة ، أفعال بلا وعي ، ووعي كابوسي ، لكنه ما يزال قادرا على تحويل المأساوي الى كاريكاتيري ، ليمكن احتماله .

ومع اعتقاله ، نظم « لوى أراجون » حملة واسعة للمطالبة بالافراج عنه ، ضمت « موروا » و « ناتالي ساروت » و « مورياك » و « جينو » و« سوبو » و « سولير » ، الى ايطاليا وألمانيا وسكنديناڤيا والبلاد الأنجلوسكسونية .

ويعاوده التدهور الصحى ، فينتاب الكولونيلات الرعب : « لسنا بحاجة الى لوركا يونانى » • وفى أحد أيام ديسمبر ١٩٦٨ ، يسمح له بالعودة الى منزله فى « ساموس » ، دون أن يكون من حقه لقاء أحد ، أو الاتصال بأثينا أو الخارج ، لا خطابات ، ولا مغادرة • نوع آخر من الاعتقال يحتفظ بجوهره الأساسى ، فى شكل نقيض • ولن يتمكن من الذهاب الى أثينا قبل مرور عام من الافراج الشكلى عنه •

كانت الرقابة سيدة الثقافة فى تلك السنوات • وقائمة الممنوعات لا تفلت شيئا • وقرر الجميع الصمت الثقافى وعدم النشر ، ومن بينهم « سيفيريس » و « ايليتيس » • وفى أوائل ١٩٧٠، رفعت الرقابة السابقة على النشر الى رقابة لاحقة عليه ، ليتحمل الكتاب تبعات النشر بعد صدور المطبوع • واتفق الكتاب على كسر الصمت بالمواجهة الجماعية : انه كتاب « ثمانية عشر نصا » للأدباء والمثقفين الذين رفضوا أن يخضعوا كتاباتهم للرقابة ، فى صيف ١٩٧٠، عن دار نشر « كيدروس » • وفى شتاء ١٩٧١، صدر « **نصوص جديدة** » عن نفس الدار اليسارية ، صاحبة حقوق نشر أعمال ريتسوس فى اليونان • وقد اعتبر استكمالا ل « ثمانية عشر نصا » : ٢٦٣ صفحة من المقالات والقصائد والأعمال الدرامية القصيرة التى كتبها معتقلون سياسيون وضحايا لنظام الكولونيلات • وفى موقع افتتاحية « نصوص جديدة » ، نشر ريتسوس ــ لأول مرة ــ « **دمار ميلوس** » •

عمل شعرى حوارى عن تدمير « ميلوس » على أيدى الأثينيين عام ٤١٦ ق•م ، فيما يمثل مجازا رمزيا عن نتائج الديكتاتورية العسكرية فى اليونان • ففى زمن العنف والارهاب الذى أشاعه النظام ، كان اليونانيون كأنهم أسرى فى وطنهم ، كنسوة ميلوس • ورغم أن المساحة الغالبة من العمل تستعيد الذكريات الأليمة للضحايا ، الا أنه ليس عملا عن اليأس ، اذ تدرك نساء ميلوس ــ فى نهاية العمل ــ أن « وطنهن » انما يكمن داخلهن ، وأن « حريتهن » انما تتحقق داخلهن • وبالرغم من السبعين والثمانين عاما ، فان النسوة يشعرن بالحمل ، يشعرن باستعادة الشباب ، وأنهن على استعداد للانجاب مرة أخرى • ولسوف تعود هذه الفكرة ــ فكرة

العجائز القابلات للحمل والولادة ــ فى « الجسد والدم » التى كتبت عن انتفاضة طلاب جامعة العلوم التطبيقية فى أثينا فى نوفمبر ١٩٧٣ ، ضد النظام العسكرى ·

وربما كان مشهد السفن التى تنقل المعتقلين السياسيين من أثينا الى الجزر ــ عبر بحر ايجه ، هو ما أيقظ فى ذهن الشاعر نهب ميلوس على أيدى الأثينيين فى حرب البلوبونيز · فوفقا لثيوسيديديس ، أرسل الأثينيون وفدا الى جزيرة ميلوس المحايدة سياسيا عام ٤١٦ ق·م، ودخلوا فى حوار مع سكانها ، فى محاولة لاقناعهم بأن يصبحوا عضوا فى الامبراطورية الأثينية يدفعون الجزية، فيكون من حقهم ــ بذلك ــ الاحتفاظ بحريتهم فى التمتع بثرواتهم · وأوضح الأثينيون ــ لأهل الجزيرة ــ حماقتهم فى الظن أن باستطاعتهم مقاومة أثينا القوية ، وأن الآلهة سوف تحميهم ، طالما أنهم يدافعون عن الصواب ضد الخطأ · وقرر الأثينيون ــ فى غطرسة ــ أن السلوك الحصيف يكمن فى التخلى عن الشعور الزائف بـ « الشرف الذى يجلب على الناس الدمار » ، وطالبوهم باللجوء الى الجانب الأقوى · ورد أهل ميلوس بـ « لا » متحدية : « لسنا مستعدين للتخلى لحظة واحدة عن الحرية التى تمتعت بها مدينتنا منذ تأسيسها وطوال ٧٠٠ سنة · ان ثقتنا فى القدر الذى سترسله لنا الآلهة ، والذى حفظنا حتى الآن » · ويقيم ريتسوس « حوارا ميلوسيا » بين ثلاث نسوة عجائز، قتل أزواجهن وأبناؤهن فى الحملة الأثينية ، وهن ــ الآن ــ مسبيات فى أرض أجنبية ·

وبرغم استلهام أحداث تاريخية، فان « **دمار ميلوس** » ــ شأن الكثير من قصائد ريتسوس ــ لا تطرح السياسى بصورة مباشرة · فبدلا من الحديث ــ بصورة محددة ــ عن الاعتقال والاقتلاع الجزافيين اللذين عاناهما ريتسوس ــ مع غيره ــ على أيدى النظام ، فانه يطرح فكرتين شموليتين لا تنفصلان : الوجود والاندماج · فاذ تستيقظ نسوة القصيدة فى بطء ، يتساءلن عما اذا كانت جزيرتهن موجودة ، وعما اذا كن ــ هن أنفسهن ــ موجودات ، أم أنهن قد متن ، ويشهدن الآن مرحلة البعث ؟ لكن هل يتذكر الموتى ويتكلمون ، أم كن نائمات لسنوات ، ويتذكرن الآن

الحلم الفارغ للحياة ؟ وفي مجرى الحوار ، ينتهي الى أنهن الآن موجودات ، وأن ميلوس لم تكن حلما بل مكانا واقعيا • واذ ينظرن الى البحر ، يلمحن جزرا صغيرة تنبثق وهي تومض مثل الجواهر ، وتذوب الى رماد • ويعلقن على المشهد : « لكننا رأيناها بأنفسنا وعرفنا بوجودها ، / وعرفنا أن العالم كبير ، أكبر مما استطعنا رؤيته ، / وأننا لم نكن وحدنا » •

انها الحقيقة البسيطة – أنهن لم يكن وحدهن – هي التي تدفع النسوة الى الايمان بوجودهن • وخلال مناقشة حياتهن – فيما قبل الغزو – يتذكرن القحط القاسي ، والعمل الذي يقصم الظهر في جمع الزيتون ، وقطف الكروم ، وصنع النبيذ • لكن هذه الحياة – بعملها الشاق – كان لها مباهجها • تتذكر النسوة الاحساس العميق بالرضاء والأمان الذي كان يلفهن بعد تسديد الحساب الأسبوعي للبقال ، وهن مازلن يجدن زيتا يكفي لأسبوع آخر في الجرة • يتذكرن الفخر السري بالانتهاء من الغسيل ، اذ تضوع رائحة الثياب المعطرة بالشمس والصابون والجهد • وما يستقر في الذاكرة – بشكل خاص – انما هي أعمال المنزل الروتينية ، والاحساس بالنظام والانتماء الذي يتحقق من القيام بها : في تلك الأوقات يتصالح كل شيء بالمنزل ويصبح واحدا : « المكنسة ، والقمر ، والكلب ، والعندليب – الكل واحد » • يتمتعن باحساس واحد بالانتماء الى بعضهن البعض ، يتمشين الى ما وراء الحدائق ، يدركن الروائح المتمايزة لكل عشبة وزهرة • هذا الاندماج في العالم المحيط بهن يقدم شيئا ما أكثر عمقا من بهجة عابرة : انه يجعلهن واثقات من وجودهن ذاته • ادراك العادي والمألوف هو ما يؤكد لهن أنهن وجدن ، ومازلن موجودات • فالوجود والاندماج شيء واحد ، وهما نفس الشيء •

لكن الغازي يقتلع ضحيته ، لينتزع الانسان المندمج من العالم المألوف ، ليصبح الجوهر العميق لوجود الضحية مهددا بالزوال • فالآن ، وهن في أرض أجنبية ، تعجز نسوة ميلوس عن تمييز الروائح القادمة من الحدائق ، حتى البحر بلا رائحة • وأيديهن لا تتعرف على يد المكنسة ، أو مقبض الباب : كل شيء غريب ، أجنبي • لذلك ، فلسن بحاجة الى مرآة ، ذلك أنهن لن يبصرن ولن يتعرفن على أنفسهن • وحده الوجه القبيح للموت

سوف يعاود التحديق · في ميلوس ، لم يستخدمن المرايا أيضـا ، لكنها كانت ـ هنـاك ـ مسألة بسيطة من مسائل الخيـلاء · كن يأكلن نفس الحبوب التي يطعمن بها دواجنهن ، فلم يكن لديهن أى دافع لتمرير مشط في شـعرهن : « لم نهتم ـ هـل ينظر الحمام والدجاج فى المرآة ؟ » · وعبودية الحياة ـ هنا ـ مشابهة ، بصورة فادحة ، لعبوديـة الحياة فى ميلوس ، عمل شـاق فى الحالتـين · لكن فى ميلوس ، كان البيت ، والاحساس بالانتماء الذى أنقذهن من السقوط فى بئر النسيان ·

ومع تقدم القصيدة ، تأخذ نسوة ميلوس فى التحول · فبعد العويل على المنـاخ القـاسى وسنوات القحط فى الجزيرة ، يهدأن تدريجيـا ، ويستدعين عذوبة الحياة التى عرفنها · وعند نهاية القصيدة ، يستعدن خصوبتهن من جديد ، ويلقين تحية الصباح على المارة · بذلك ، ينتهى العمل بشارة أمل ورؤية لمستقبل أفضل ·

« **دمـار ميلوس** » : أول صـوت لريتسوس بعد ظلمـات « جزيرة الشيطان » ، فى مواجهة ظلمات الكولونيلات · لكنها لم تكن أول كتابة شـعرية وسط الاعتقـال · فعقب تلقيه لرسالـة من « ثيودراكيس » ـ يطلب منه فيها احدى قصائده غير المنشورة ليقوم بتلحينها ـ قام بكتابة ست عشرة قصيدة فى يوم واحد (١٦ سبتمبر١٩٦٨) فى معتقله بجزيرة « ليروس » ستكون صلب ديوانه « ثمانى عشرة أغنية قصيرة عن الوطن المرير » · لكنه لن يسمح بنشره وترجمته الا فيما بعد (١٩٧٣) · وما ان قام « ثيودراكيس » بتلحينها ، حتى أصبحت عملا شعبيا جماهيريـا فى اليونان ، ثم عبر العالم الخارجى ·

لا هتاف ولا عويل · لا شـعارات ولا خطب رنـانة · انها « وردة بخور مريم » الصغيرة التى تشق الصخر ، والفجر الرهيف للربيع ، وتل منسوج من أجراس الماشية وثغائها ، وشراع أبيض ، والفتاة تنسج أشياء المهر ، والشاب يجدل السلال ·

تتألف كل أغنية من أربعة أبيات طويلة ، حسب التقليد الشعرى للأغانى الدارجة ذات الخمسة عشر مقطعا وزنيا فى السطر · وهناك الكثير

من الملامح المشتركة مع تلك الأغاني، لا في الشكل فحسب، بل ـ أيضا ـ في الروح . وأقرب مثيل غنائي لها هي ال « كلفتيكا Kleftica » ، تلك الأغاني الشعبية التي تحكي بطولة المقاتلين من أجل الحرية في حرب الاستقلال الوطنية اليونانية . تشترك أيضا في الروح ـ بالرغم من الاختلاف في الشكل ـ مع « روميوسيني » الملحمية . وليس من قبيل المصادفة أن الأغنية الأخيرة من الثماني عشر تتضمن « روميوسيني » في عنوانها « من أجل روميوسيني ، لا تبكوا » .

(٧)

رحلت السفن وتركتنا
بلا خبز أو نبيذ أو فحم
في منتصف البحر .

وفي ربيع ١٩٧١ ، يكتب « حجرة البواب » . وللعنوان دلالته على موقع ومنظور الرؤية والملاحظة ، بما يسمح باستقلال ما عن المشهد ذاته . فكل قصيدة ـ من قصائد الديوان القصيرة ـ مشهد مكتمل . وكل مشهد استعارة أو رمز أو مجاز . لا مجانية في الألفاظ ، ولا تسجيلية في رصد التفاصيل اليومية . كثافة مثقلة بالدلالات . وبين كل سطر وآخر فضاء تتقاطع فيه التأويلات . يختلط التفصيلي اليومي بالفانتازي بالسيريالي ، بذلك العصي على التفسير . وغموض ضبابي شفيف يتخلل سماء القصيدة، لعله غموض السماء اليونانية في ظل الديكتاتورية .

فما الذي رآه ذلك « البواب » الذي يحرس النوم واليقظة ، الحلم والكابوس ، والايماءة والاشارة ؟ وكيف رأى ما رأى ؟

بلد يشبه البقالة الفارغة ، التي مات صاحبها في مؤخرة الدكان . والهبوط يتم في الظلام ، في مكان بلا جدران ، بلا سقف ، بلا سلالم ، بلا أثاث ، كأنه انحدار مدرك في هاوية من هيولى ، حيث « هناك تكمن النقطة الوحيدة الثابتة » ، أو هروب مما هو أفدح من الهاوية . وفي الخارج : لا أحد ، « لا شيء آخر ، لا شيء آخر » .

ذرائع ، والتواءات ، وأقنعة · والموت خلاص من نوع ما ، حل ما فى مواجهة الغثيان والقرف · ولا اجابة للسؤال الجارح : « كيف كبرنا بين أيدى غرباء ؟ » · نوم ينقسم نصفين ، وحياة توزع أوقاتها ـ كالشظايا ـ بين الأماكن الغريبة · والوقت يتهشم الى فتات بفعل الصراخ والرنين ، ويرقة خضراء ، لزجة تأتى الآن « لتـأكل المنزل ، والصور المعلقة على الجدران والحبل المتدلى من السقف » · والوهم بالقفز من شرفة الى أخرى دون تحريك سوى يد واحدة · فهل يكون متأخرا اكتشاف الفرق بين الورق والحديد ؟ وهل ينقسم العالم ـ بالفعل ـ الى اثنين لن يتوحدا ؟

والتعامل ـ برفق ـ مع الدب الأسود سينتهى بالسلاسل التى تتدلى من الجدران ، والسلاسل حول الرقبة · فهل يشبه المنديل الأبيض الذى تنساه العجوز ورقة بيضاء نسيها الشاعر بلا قصيدة ؟ وهل يساوى العثور على « شىء ما بلا أهمية » اللامبالاة باعلان الحرب ؟ هروب الى أعمق أعماق الذات ، وبحث ـ فى النفايات المهجورة ـ لا يمنح سوى قشرة برتقال جافة وكسرة مرآة · انها الأشياء التافهة مدار البحث ، كأنها السبيل الى مخرج ما أو مهرب ، « أشياء كنا نعرفها تماما ، فأصبحت مجهولة وبعيدة » ، لن يفضى العثور عليها الى شىء ، انه البحث فى ذاته · أما النباح ، فلا يحمى أحداً « من القمر ، والزمن ، واللصوص » ·

انهم يترددون برهة ، ثم ينحنون لالتقاط ما يرمى اليهم من أعلى · أما الوحيد الذى لا يمد يده ، فيخفيها فى قميصه ، ليدارى أنها مبتورة · والمشروع المبرمج المعقد (هل هو النظام الديكتاتورى) محكوم عليه بالفشل · ويظل ممكنا ـ فى « البرودة المظلمة للأعماق » ـ تحديد موقف وموقع « داخل العالم المعلق » ·

« كل شىء قد استنفد » · لكن ـ وسط البقايا القديمة ـ يمكن العثور على « الجمجمة المقدسة لأحد حصانى أخيل » و« صولجان البطريرك » · بهما معا ، كمجازين ، تتحقق المعجزة : أن يسمع الناس المحتشدون الأخرس الواقف على منصة الخطابة ·

ومن بعد ، سيضيء ريتسوس بعض أبعاد هذه التجربة :

« بمرور الزمن ، أتكشف ـ بوضوح أكبر فأكبر ـ أن عملى ، فى تطوره ووظيفته ، يميل الى التحول (بلا قصدية، بلا تخطيط) الى سخرية وحط من قدر كل كابوس واستغلاله (سواء كان ليليا أم نهاريا) ومن الموت على نحو أعم • واذا ما كان ثمة عامل تحريرى هنا ، فهو الراحة من كثافة الألم والخوف (الجسدى ، والأخلاقى ، والاجتماعى) ، الناجمة عن النزعة التهكمية المحكومة تجاه هلوساتنا « التاريخية » ضمن وحدة الشعور بمشاركة أو تورط حقيقى أو خيالى ـ ضمن وحدة المصير المشترك •

ويبدو أن الشخص المغلوب يستمد القوة ـ مهما كانت موضع سؤال ـ من غالب ما ، خلال هذا الميدان الغامض غير المضبوط ، قوة « التثبيت البصرى » للكابوس ، أو تحديده فى مفهوم ، أو حتى تحويله ـ شيء ما يشبه خلاصا أو تحريرا • بذلك ، يتحول « المأساوى » الحتمى الى كاريكاتير (أو الى شيء ما مفارق ـ أى بعيد موضوعيا) ـ أعمق مأساوية ربما، الا أنه ينطوى على حل المأساوى فى تكشيرة باسمة، أخيرة، ارادية ، تتحول أحيانا (خلال الشعر) الى ابتسامة حقيقية ، الى مزاح ،

الى قرار أو حتى الى قوة لبداية جديدة ، ولفعل جديد• وليس ذلك فحسب نتيجة لتأثير الفعل الجمالى على القارئ أو المستمع ، بل ومن خلال واقع الفعل ذاته •

ويتحقق ذلك ـ بوضوح فى قصائد عديدة مبكرة من « شهادات » ، و « تدريبات » ، و « الحائط فى المرآة » ، و « ايماءات » ، و « الممر والسلالم » ، والأكثر فى « حجرة البواب » •

ففيها ، تذوب ـ بسلاسة ـ « الفردية » التى لا تطاق لما هو شخصى فى الكونى الخلاصى الذى يشمل كل شخص وكل شيء • فالافتقار الى التواصل والفهم ينتهى الى حنو وغفران ، ان لم يكن الى قبول وتوافق

بما يسمح بمزحة أو حتى سخرية الأصدقاء ـ كشيء ما يشبه أخوة سامية تمتد فيما وراء الاختلافات والاتهامات المتبادلة (انها كأننا نتكلم عن أخلاقيات للجماليات) • فأمام أناس حميمين لنا ، فقط (أم ربما أيضا أمام غرباء عنا تماما ؟) يمكننا أن نفصل أنفسنا عن أى ادعاء دفاعى أو تهجمى بالجدية أو الأهمية ، وأن « نمزح » معهم • أمامهم ـ وحدهم ـ يمكننا أن نقنع أنفسنا (كممثلين فى نفس المأساة أو الملهاة)، أو ـ حتى ـ أن نتعرى ، فنخلع ثيابنا واحدا واحدا ، والشعر المستعار ، واللحى ، وقبعات الريش ، وحذاء التراجيديات ، والأقنعة ، وسيوف المقنعين الخشبية ـ ممثلين فى دراما حقيقية لم تكتب ، ممثلين يتظاهرون بازالة ماكياجهم وخلع ثيابهم بعد العرض ، لينتهوا بنا الى الفكرة المعزية بأن « الدراما الحياتية » السابقة كانت ـ ببساطة ـ « دراما مسرحية » انتهت ، ولا يمكن تكرارها على الخشبة ، بل لا يمكننا اعادتها على نحو أفضل •

ف « الواقعى » (و « واقع » الخيال والحلم) قد تحول الى «التخيلى»، والاستبدادى الى محاكاة تهكمية ، « مسلية » • ليس دائما بالطبع • ومع ذلك ، فلدى المرء انطباع بأن اعادة التمثيل البسيطة لصور الكابوس المحرفة والمحرفة ، وصور الوجود الانسانى المستعصى على التفسير (وتحولها ومسخها وتحريفها) يمنح (لا الفنان وحده) اشباعا فاتنا معينا ، قد يعنى القدرة وامكانية التحكم والتحكم الذاتى ، بل والشعور الخالص بما لا يستنفد ، بالقدرة على الاحتمال ، بل وبالنجاح » •

★ ★ ★

ويعود التدفق الشعرى الى مجراه المنشور • فللقصائد القصيرة دواوين « أحجار وتكرارات وقضبان » و « ايماءات » و « الممر والسلالم »، فقصائده التراجيدية الطويلة ، ذات الطابع الأسطورى : « هيلين » و « اسمين » و « عودة ايفيجينى » و « كريسوثيميس » و « أجاممنون »•

وفى يوليو ١٩٧٤ ، تنقشع الظلمات ، مع سقوط النظام العسكرى ، بعد أن تكون قد انغرست فى الذاكرة أبدا • وسيكون له أن

يعود ـ عام ١٩٧٨ ـ اليها ، ليكتب قصيدته « الجسد والدم » ، مهداة الى الانتفاضة الطلابية ضد الديكتاتورية العسكرية. ففى ١٧ نوفمبر ١٩٧٣، احتل الطلبة حرم جامعة العلوم التطبيقية بوسط أثينا ، ودعوا أهل العاصمة ـ من خلال محطة اذاعة أنشأوها بأنفسهم ـ الى الثورة ضد الطغيان ، والقتال من أجل الحرية . وأصبح ذلك الفعل الأول ـ واسع النطاق ـ فى التحدى العلنى للنظام نقطة البداية فى المقاومة . وأرسل الكولونيلات دباباتهم الى الطلبة العزل . وبعد أن كانت الديكتاتورية تنكر كل الممارسات الوحشية التى ارتكبتها فى السر ، فان الطريقة المروعة التى سفك بها دم الأولاد والبنات ـ فى تلك الليلة ـ قد عرت الوجه الحقيقى للنظام .

ومنذ طبعتها الأولى عام ١٩٧٨ ، أعيد نشر « الجسد والدم » فى أكثر من خمس عشرة طبعة . انه نفس العام الذى شهد صدور سبعة دواوين أخرى : « عسكرى المرور » و « البوابة » و « امرأة مونيمفاسيا » و « الرائعة الرهيبة » و « فيدرا » و « اذن ؟ » و « مطرقة الباب ».

وحتى عام ١٩٨٠ ، سيكون قد صدر له ثمانون عملا شعريا ، وسيكون قد ترجم الى اليونانية أعمالا لألكسندر بلوك وأتيلا جوزيف وماياكوفسكى وناظم حكمت واهرنبورج ونيقولا جيين وغيرهم .

وحينما يطرق الموت بابه فى ١١ نوفمبر ١٩٩٠ ـ عن ٨١ عاما ـ سيجده مثقلا بالزمن والنياشين : « كم من الآباد أحمل فوق أكتافى وفى جسدى وروحى . لقد عبرت ميتات كثيرة ، وهاأنذا أموت أخيرا وأنا أحمل بعض الأبدية » .

القـــاهرة

الثلاثـاء ١٦ يوليو ١٩٩٦

أغنيـــة أختى

الى أختى لولا

فى المرايا المشوهــة للدموع
تهشم وجــه الأبديــة الســاكن
لكننا ما نزال نسمع بداخلنــا
همهمة الســكينة ٠

أخـــتى ،

على أن أقف منتصبا فى مواجهة الشمس
وأرفع أعمدة شعرى نحو الفضاء الأزرق
فلعلك تتمشين فى الأمسيات
مبتسمة بجوار « ايوريديس »
تحت سماوات مترعة بالنجوم
فى أصـــياف لا تنتهى ٠
لكننى ، يا أختى ، لا أستطيع فعل المزيد ٠
فاللانهاية حطمت قوسها الساطع على حاجبى
وأنا أدور حول نفسى فى اللحظة الأبدية
مبعثرا وحســـيا ٠
صوتى انهار ٠
وفكرى قطف زهوره الأخيرة ٠

بالنشيج وحده أنطق أغنيتك ·
فلا الألم ولا النشوة يجرؤان بشفاه دامية
على التفوه باسمك ·

على نضارة السماء تركع الرحمة
للتوسـل على قدميـك ·
وحمام أحلام الطفولة الأبيض
يحلق خفيضا فى سهول ابتسامتك ·
وتأملات الحكماء ما بلغت أبدا
حواف عظمتـك الجليـلة ·
والشعراء الذين ذابوا فى الضوء
يعترفون ــ فى ضياء وجهك ــ بخواء القصائد ·
وحده الصمت العظيم ، بزنبقة فى يده ،
يلمس فى رفق ظهرك المحنى
الذى رفع الى سدة الرب صرخات الرجال
فيما الليالى الزرقاء القاتمة ، بنجومها المنتحبة ،
كفت ــ من الندم ــ عن الحركة ·

أخـــتى ،
هـا أنـا أنشر جنـاحى
أنحنى وأقبل أطراف قدميك الحافيتين ·
لعـل عقـلى أن يعرف السـكينة
لعلى أغنى الترنيمة المناسبة لك ، يا أختى ،
يا أخت كل العالـم ·

يداك البيضاوان اللتان غطتا جراحنا بالمر
تلتويان الآن مربوطتين خلف ظهرك
فى تقاطع مع جسدك كأنهما ، يا أختى ، يدا لص ·

وجسدك النحيل مجدول فى العباءة الرمادية للسعار ،
وعيناك قلعتان من زجاج خاويتان
حيث تهيم ـ ضائعة ـ أشباح الماضى .
أختى ، كيف تتخلى عنى فى منتصف الليـل
لتبحثى دون مصبـاح
وتعثرى على آثار خطواتك الضائعة ؟
فلتغمرينى أيضا فى نفس الظلام
لعلى لا أسمع بوق صرخاتك
التى لا تحصى المقابر التى لا تحصى .
فجرى فى اللانهايـة عينى
لعلى لا أرى يديك المربوطتين .
فأينما أستدير لا أرى سواك .
أستجدى رحمة الجمال أن تهبنى قطرة ندى .
لكن ما من مجيب لتوسلات المقهورين .
غبار أصفر من ورود ميتـة
تساقط ثلجيا على الحدائـق .
والشاطىء الصامت انسحب فى الغسق
والربيع نام ووجهه المضىء مخفى فى يديه .
أين الصمت الآن بنومه الصافى
بنشوته الثلجية وورود الذاوية ؟

أخـتى ،

لم أعـد شـاعرا
لا أتنازل بأن أصبح شـاعرا .
أنا نملة شوهاء ضلت طريقها فى ليل لا ينتهى .
أنفخ فى جمرات أبريل الخامد
فلا أجد شرارة تشعل النـار القديمة .
لقد وزنت كنوز القرون فى راحة يدك النحيلة .

وجرت الجبال الى حيث استرخى الشعراء .
وأنا لم أعد شاعرا .
أعرف أن الشعراء
لا يلوثون الأبراج العاجية للمدن بدموعهم .
انهم يمعنون النظر ،
ونظرتهم المحدقة موجهة بلاشبيهة ،
حتى ليمكن أن يحصوا ومضات الضوء ونبضات الكون .
لكنني ، يا أختي ،
أمعن النظر وأنا أعد دقات قلبك وأنفاسك .
أقف ، كبرج معتم ، وسط القذائف المدمرة الوامضة
وألمس - بلا تردد - حد السيف .
أقواس الضوء خبت تحت رموشك .
وما من شيء آخر يحيا خارج الدائرة الجنائزية
التى ترسمها عيناك على العالم .
لا أريد طبول الانتصار
لاعلان مجدى فى غابات الربيع .
فابتسامتك تكفينى .
ونبع عينيك يستطيع أن يطفيء عطشى
ويدفع حياتى الى الازهار .

كانت لدى سترة جميلة تدفيء ساعاتى .
كانت لدى صحبة من قصائد تكلمنى
فى ليالى الحملات الظافرة .
وأنا أجلس صامتا ووحيدا فى هذه الصباحات الضائعة ،
مهيبا أنصب خيمتى
على حلم بالترحيب اللازوردى
الذى يعده لى أصدقائى المجهولون
وسوف أحدق فى سهول الفجر
من السطح الطحلبى لبرج الجرس المغطى بالقلاقل البيضاء .

أطفال شقر في عيونهم ذهول رائـــع
سوف يفتحون العهود المخطوطة لأغنياتي •
(كم من ابتسامات استدعيتها في وحدتي المزيرة
من أجـل بهجة الآخرين !)
آه ، للحاشية التي انتظرت دخولي الى القدس •
كمسيح صامت أسمع أبواق السماوات
التي تنبأت للشوارع المغطاة بالسعف
والصبر الذي لم يخذلني في عذابي الحارق •
لكنني ، يا أختي ، لم أعـد أعرف
كيف أنتظر وأتوسل
أنصتي ، فهذا المســاء
الذي ينسج غلالة وردية فوق الحدائق
يعيد الى روحي القديمة •
تغريد الطيور ينتهك حدادي اللائــق •
أختي ، فلتطمئني ،
فشلالات الصداح لا تسعد حزني •
وأنا مقيم على الوفــاء في ذراعي حبك
لم أعد شاعرا ، وأنا موجـــوع •
فلتغفري لي ، يـا أختي ،
حزني هذا الذي يحيا خارج حزنك •

أخـــتي ،

دائما ما كانت غيمة تظلل رموشك •
وأنت تنحنين على الشرفـــة
ـ حتى وأنت طفـــلة ـ
كنت تحدقــين في البحر
فتنشرين الحلم بعزلة لا نهائيـــة •
وكنت تطعمين قلبك بأوراق الخريف •

لغز ظـل الأم انعكس فى عينيـك .
والضوء الشاحب لوجهك
ظـل باقيـا على الأرض فى بيتنـا .
لم نرك أبـدا تبـكين .
على صفحتى وجهك وخـدهما
ألمحت الشرايين الرهيفـة
ـ خطوط من ضوء لازوردى ـ
الى حمى شفتيك الموصدتين .
(كم من مرة ـ وأنت نائمـة ـ
انحنيت عليهما لأقرأ سرك) .
مفعمة بالحب والحنـو
كنت تضمدين جراحنـا فى صمت .
صمتك قال كل شىء .
وفى أمسيات الشـتاء
كنت تتمشين وحيدة فى الغابـات
لترعى العصافير العاريـة ،
لتدفئى الحشرات المثلجـة .
قطرة قطرة ، لملمت داخلك
دموع الفقراء والمقهورين .
وعندما انهار بيتنا ظللت منتصبة ساكنة
ـ كظـل للسيدة العـذراء ـ
لترينى النجوم عبر ثقوب السقف .
الآن ، انكسر صمتك
وفى الرعشة الصغيرة التى أخفيتها
سمعت صراخ المحيط .
أختى ، ما من حجر ظـل لى لأنحنى عليـه .

مازلت أمشي في قفر الزحـــام
في شوارع بلا شبهات .
لا أحـــد .
الأطفال يلعبون دون حدس بالأجراس
التي تدق بعيدا فتوقف دمهم .
والناس يمكن أن يواصلوا الضحك
ويمكن لي أن أسمع حديثا يدور عن أشياء أخرى
ـ مراكب التجارة تمر بالقرب من الفنار الوحيد في البحر .
ومن واجهات القصور ترن الساعات :

لا شيء ، لا شيء ، لا شيء .
البعض يقعون في الحب بالمصادفـة ،
البعض يفسرون الأحـــداث ،
والبعض يحتفظ بالكتب ، يحكون عن النساك المهزولين .
القطارات تحمل ضبابا وأشباحا من محطات مهجورة .
الزنابق تنفض بقايا داكنة الزرقـــة
لحلم غارب عن جبهات حجريـــة .
لاشــــيء .
وهذا الأريج الواهي لذكرى الطفولـة
ذوى ســـدى ـ بلا صـــدى .
لا أحـــد يـــرى .
غشاوات من رماد تغطي الأرض .
يارب ، فلتغلق عيني ،
فلتعقـــد ذراعي
ولتطرحني في رحى الريـــاح .
متعب حتى النخاع وأنا أهوى في الهاويـــة ،
وسرعة السقوط تصفر في أذني أغنيـة الارتيـاح .
أغلقوا النوافـــذ .

فوقاحة الضوء تعشى عيونى .
كفى حديثا ورديا لا يفيــد .
صمت الأم يأتى بيدك الى صفحتى وجهى .
وعلى رأسى العارية تلقى غابات الخريف بظلالها .
أختى ، أنا نعسان . فأين يمكن أن أستريـح ؟
أين يمكن أن أنام ، وأنا بلا سرير ؟
الفجر المريض يعثر على مصباح سهرى
مشــتعلا مرة أخـرى .

وساعة المساء فاجأتنى مبتعدا عنك ، يا أختى .
جمال جليل نقر على كتفي بيده حانيـة .
وعلى فجر الأفـق شعلة وردة منسية .
والذرى الناعمة تحمل سلال البنفسـج
الى الأقدام الشفافـة للراحـــة .
وأنا أمسك فى مريلتى بمصباح وليــد
وأغمر روحى فى عينيــه الواهنتين .
أحـــدق فى السهول
مستشفا ــ فى هدوء ــ سكون المســاء
وأحيى أرواح الأشـــياء .
وخلف أشـجار الكمثرى المزهرة
يرقبنى ظلك الأســيان .

لم أنسك ، يــاأختى .
أعى الطيبـــة من رحمتك .
أوزع الابتسامات على الخطوط والأشـكال
المنيرة بضوئك القــدسى .

لكن ، وأنا أجمع لك باقة من زهر الربيع ، فانك يا أختى ،
بعينين مسعورتين كسيف يومض
تنيرين القبـة الزرقـاء ،
لكنك لا تدرين أن الأشياء الحية التى ترينها منعكسة هناك
تسـتعيد صورتك اليـك
خلال طبقات من الصمت والذكرى ٠

أختى ، وعدتك بأن أجيء لك بالماء الأبـدى ٠
وعدت بأن أرمى بالشمس عند قدميك ٠
الآن تصرخين : « أخى ، عطشانـة ٠
فأين الماء الأبدى الذى أطفيء به عطشى ؟
أخى ، بردانـة ،
فأين الشمس التى أدفيء بها يـدى ؟ »
وأبقى بـلا حراك ، بـلا حيـلة ٠
أنا الذى طفت بالسماوات
لا أستطيع تغطية شبر واحـد من الأرض ٠
وتحت الثلوج أسمع جذور حديقتنـا العجوز
توثقنى الى الأرض ٠
نسيت كيف أمشى ٠
أنحنى على هيولى روحك ، مفعما بالرهـبـة ٠
تتصادم النجوم فى أعماق عينيـك
وتدمى قلبك معارك الأربـاب ٠
فكيف يمكن تشـكيل احتراقـك
فى سـكون منحوت بـارد ؟
لقد آمنت ذات مرة بالسـماء
لكنك كشفت لى أعماق البحر ، بمدائنها الميتـة
بغاباتها المنسية ، وأصواتها الغريقـة ٠
والآن ، غاصت السماء ـ كنورس جريح فى البحر ٠

ويدى ـ التى ابتنت لك جسرا على الهاوية ـ تداعت ·
انظرى الى
بأى عرى وبراءة أستلقى أمامك ·
بردان ، يـــا أختى ·

فمن سيأتى لنا الآن بالشمس لتدفىء أيدينا ؟
أنصت ، صامتـــا ·
لا أحـد يعبر طريـق الليــل ·
والنجوم غرقت فى العينين الصدئتين
للنسر المتحول الذى يتأرجح على حافة معارك الظلام ·
يداك المقيدتـان تســدان طريقى ·
وصوتك يتمشى وحيـدا فى ممرات الليــل
وسيفه الطويل يرتطم بالقرميـــد ·
فـــات الأوان ·
لا الحياة تتقبلنى ولا الموت ·
فالى أين أمضى ؟

مخطىء يا أختى · فلست ربــا ·
لا أحـــدد أى شىء ·
ونارك بخرت قوتى حتى الخمود ·
ومثلما تنفضين الغبار الذهبى للضوء عن رموش الكون
حدقت فى صلبان الانسان العظيمة
التى تنتصب فى أفقك المســائى
وأحـببت الحـزانى
الذين يعبرون صامتين ـ كقطعان بيضاء مختومة على الجبين ·
مختومة على الجبين بخاتـم أحمر ·

قرأت تاريخ العالم فى قطرة من دمك .
آه ، يا شعبى ، آه ، يا أخوتى وأخواتى ،
يا أخوة وأخوات أختى ،

فى البحر اللانهائى لقلبكم
تغرق الأحلام بكل أشرعتها ،
مع جرأة الأفكار والتأملات اللامبالية للأرباب .
كم من رحلة قمتم بها !
ولم تحضروا معكم صورة واحدة للازدهار
لتزينوا بها بيوتكم ،
صدفة بحرية واحدة
من تلك التى تطيح بها العواصف على الأرض
تذكارا لامعا ومفتاحا موثوقا
ليوصد أبوابكم عندما تهب الرياح فى الليل .

تظل عيونكم أبدا محبوسة وبريئة ـ
كقطرات مطر ملونة بالصمت والشك .
لا ملجأ لكم .
تموتون بلا بعث
بلا شفاه وردية لطفل تنطق باسمكم من جديد
تحت السماء الوديعة لمايو الجديد .
لكننى رأيت ذكراكم ترفرف كحمامة مهيبة
على كتف أختى .
أخوتى وأخواتى .
فلتستقبلوا الآبق فى صدركم الواسع .
فبالدموع أغسل أقدامكم الجريحة .
بالدموع أنظف يدى من تراب التعالى
لعلى أكون جديرا بتقبيل شعركم .

أختى ، تعالى لنتكىء كطفلين عليلين
على الحديقــة الروحيــة التى غرقت داخلنـــا ،
لنلتفت الى الشذى المتلاشى
الذى ظــل منسيا فى ركن معتم من قلوبنـا ٠
٠٠٠ وفى ليـــالى الصيف
سوف نرى ـ مفعمين بالبهجـــة ـ
البدر يشرق على شاطىء مســقط رأســنا ٠
والطريــق الفضى سوف يحملنـا
الى الحفيف اللازوردى للكون ٠
وستكون أمنـــا بجانبنـــا
ملاكا أبيض فى الليـــالى البيضـــاء ٠
نسمع صوتها البعيـــد
والحفيف النـــاعس لجونلتها
ونحن نغمض عيوننـــا فى نوم ملىء بالنجوم ٠
آه ، أيتها الحماية العذبـة التى سهرت بجانبنـــا
وهى تدفىء طيور أحلامنا العاريــة ٠
لفنـــا ازدهـــاز الضوء
وهربنـــا ، يـــا أختى ، بين السماء والبحر ٠
٠٠٠ وبعد ذلك ، الأبواب المغلقة والنوافذ الجامدة
كل ســـابق تغير ٠
صــوت الأم ميــــت ٠
وحيدان ، اليد فى اليد ، فى مدائن مجهولة ـ

متسولين صغيرين ، مع حلمنا الدافىء تحت سماء متكسرة ٠
لم يعــد لدينـــا مأوى ولا عكاز ٠
لكننا ما نزال نعرف كيف نكون محبوبين ، وكيف نحب ٠
عنــدما أتعب أستنيد عليــك ٠

وتثبتين نظرك في نظرى
تأتين لى بشقائق نعمان ذهبية
من شقائك الى حلمى .
أختى ، تعالى مرة أخرى
وقبلى جبينى المشتعل .
انظرى ، ها أنا أفتح لك كوة ضوء صغيرة وشعاع مائل
يرسم الخط الخارجى لظل وجهك .
فلتدفعى عنك الليل ، ولتأتى الى
وسيأخذ كل منا الآخر - كآنذاك - يدا بيد
ونطوف خلال مدائن باردة
- متسولين صغيرين بحلمنا القديم ،
- أميرين عظيمين للحب .

. . .

هل تذكرين ؟
ذات مرة أعطتك أمنا ثوبا قرنفليا
ومظلة قرنفلية صغيرة .
وكنت تتسلقين منحدر التل المزهر
فى صباح ربيعى ، أثيرية شفافة -
غيمة قرنفلية من ضوء .
وكنت تحدقين فى السماء
كأن شيئا ما من أعلى كان ينادى عليك .
الضفائر الحزينة لشعرك الفاحم
تنسدل وحيدة ثقيلة على ظهرك النحيل .
كنت خائفا من أنك - فى وقت ما - ستتلاشين
مع الضوء الوردى فى الغروب .
آنئذ ، كنت أجمع أصدافا لامعة
وحصى ملونا على شاطىء جزيرتنا

كى أرى عينيـك تبتســمان
وأفتن قلبك الذى كان يذوب ـ صمتا ـ فى حزن العالم ٠
لكنك لم تعرفى كيف تضحكين ٠
وكنت أصنع أجنحـة من دموعـك
لأمضى بعيدا كى أجىء لك بلقــاح سماوى
لأحـــرر صمتـــك ٠

لكنك لم تعرفى كيف تأخـذين ٠
كنت تعطين ٠ فقط تعطين ٠
كل مواهبـك ٠٠ كنت توزعينها
لتبـقى يــداك خاويتـين ٠
أحنيت رأسك ـ طائرا أسيانـا ، فى جناحـك المعتم
وغنيت الغنوة المدهشـة لكل العـالم الجريـح ٠

أختى ، فلترفعى رأســك ٠
أنحنى بجوارك وأجىء لك بفجر طفولتنــا
لعلك تستنشقين ملوحـة جزيرتنـا ، ورفيف المسـاء
وترســين بجانبى ،
عابرة سديـم الاشتياق الى البيت ٠

عودى ، يـا أختى ، الى بتليهيم الصغير
الذى حملنا جميـلا ومتواضعــا
ولسوف ترين أننى سأريق أحلام القديس
التى أخـذتنى بعيـدا عنـك
وسأظـل بجوارك الى الأبد ـ زيزا بسيطا
لأغنى لك فى أمسـيات الربيــع ٠
ألا تســمعينى ؟

رفضنى الجميع ، ورفضت كل شىء ٠
ولا عزاء لى حتى فى الفـكر ٠
فـكل مـا أحببت

أخـــذه الموت مني والجنـــون ٠
وبقيت وحدى ، تحت أنقاض سمائى ، أحصى الموتى
جرفت الريح من طريقى آثار خطى الرب الطاهرة ٠
لا يمكننى العثور على الموت من جـديد
فأحبائى الموتى أعادونى الى الحياة لأبكيهم ٠
والآن ، ما تزال الطاحونة المكسورة تدير أجنحتها
فوق السهول المحصودة ، فى سكون سماوات المساء ٠
آه ، هذه الأجنحة التى تمس رموشى بالحركة الواهنة لـ
الصفحـات ٠
وأتبع أمرها الغريب ، بلا ارادة ولا نسيان ٠
فلتنم ـ فى النهاية ـ تلك الأجنحـة
التى تشكل الملامح المتعبـة لطيور جريحـة
فى غيوم الخريف الأبـــدى الكابيـة ٠

يا لها من برودة تستقبلنى بها
الأصـوات والألوان هذا المســاء ٠
يجرجر الغروب تحيتـه الذهبيـة على أكتاف الأشياء
فما الذى يريــده هذا الضـوء الوردى ؟
لم هذا التبرج فى الاحتفال اللامبـــالى ؟
لم هذا الاســتفزاز لى ؟
الأشـجار والصمت اتخذوا سـمتا مغرورا
لخطباء يتحدثون أمام تماثيــل عميـــاء ٠
آه ، كم أكره الغيوم النـاعمة
التى تتعلق ساكنة مخادعة فى الضوء الراضى ٠
ألا يعرفنى أصدقـائى القدامى ؟
لا ، لاحاجــة بى لشىء ٠
لا تليـق الشـفقة على بى ٠
أقضـم شـفتي وأشرب دمي ٠

اننى أحتقر جمـالهم الميت ٠
ــ أيتها السماء ، ما الذى تتباهين به ؟
أنا الذى انسحقت تحت أقدامك
سأتخطى جمالك البارد بأغنيتى الدافئــة ٠
أختى ، لقد تركتنى لتستندى على قلبـك
وتنصتى الى نبض النـــاس ٠
وحياتى تواصلت تحت سماء عينيـــك ٠
وكنت تجيئين ــ محبـة رقيقـة ــ
فى الأمسيات التى كتبت فيها ــ وأنا أنحنى صامتا ــ
قصائدى الغاضبة عن حروب الضوء والدم التى لا تنتهى ٠
أحسست بحضورك خلف الليـــل ٠
وغطت سطحى البارد شجرة الساعـات الحانيـة
عنـدما سمعت وقـــع أقدامك ٠
كنت تبتســمين
فتـأتى كل السماوات الى غرفتى ٠
وانعكاسات لازوردية ترتعش على الجدران
وذكرى بيتنـا تستثير قلبى
عندما أعود مثقـلا بتجوالات الليــل
والمرارة الأبدية للوحــدة ،

كنت أجد عشاء الحب ينفث البخار على المائدة
وذكرى الطفولة ــ فراشة واهية تلعب حول مصباحك ٠
وتظلين واقفـــة فى انتظار عودتى ٠
وعندما أغرق ــ أنـــا عاشـق اللانهايـــة ــ
فى ظـــلال شـكوك غامضـة ،
فـانك ــ باصبعـك الدافىء ــ
تريننى آثــار الأقــدام على الأرض ،
وتعيدين تشــكيل رمادى من جديـد فى شــكل انسانى ٠

تقاسمت معك مقعدك
فاحتفظت بمكان لى على الأرض ٠
قست الزمن بنبضك ٠
أصغيت الى قطرات البرودة عن قرب
وهى تسقط من نبع خفى ٠
وجف النبع ٠
رحلت ٠
فجرجرت السماء ــ غبارا أزرق وراء خطواتك ٠
انها تهطل الثلوج ٠
أيتها الحياة ، الحياة ،
أخذت منى الكسرة الدنيوية الأخيرة ٠
ما من دموع أخرى لدى ٠
ولا خوف عندى ٠
فما من شىء آخر لدى كى يسلبوه منى ٠
فقيرا ، عاريا ، مهجورا ــ
انها ثرواتى التى لا يستطيع أحد أن يسلبها منى ٠
لن أطرق أى باب ٠
لن أنطق بأى رجاء ٠
بلا خبز ، بلا جربندية ، بلا رباط
أتخذ الطريق الى الغرب بخطوات ثابتة طويلة ،
عاريا ومطلقا ، جديرا بأن ألمس الرب ٠

غيمة بيضاء من قمر سهران
تذوب وئيدا فى زرقة الفجر ٠
وزجاج النوافذ على جبهة البحر
ــ كسلسلة من عيون باكية ــ
يعيد فى تصوير شبحى
الأفول الشاحب للقمر ٠

آه ، هذا الشحوب الذى يرمى بظلال الشك
على الليـل والنهار ، ويرفرف بلا وزن ٠
وفى الأسـفل ، البحر الرمـادى
يعكس الرعشـة ذات اللون السماوى
التى تتوانى على ظهور النوارس الهشـة ٠
والصوارى الظليلة تخط الأفـق فى سـكون
متـأهبة للحركـة ٠
لرحلـة جديـدة ؟
لعودة جديـدة ؟
والضبـاب يؤخر برهـان الشمس ٠
لا شىء يتكرر دائمـا ٠
الربـح والخسارة يتركان آثـارهما على القمر الأبيض
الذى يتـلاشى تدريجيا فى الفجر ٠
النوارس تجىء من بعيد ، تحيى القوارب الراسية ،
تحيط ــ كعنقود من الزنابق ــ بالمراسى الصدئـة ٠
أختى ، شاطئك يتقهقر ٠
ورحلة الاكتشاف تبـدأ ٠
ومضة ضوء منقوشة على الجفن الناعس للسماء والبحر ٠

أختى ، هناك خط مضىء يرتسم حول بابنا المغلق ٠
صحوة تغمر الهواء البالى مع صخب البحر ٠
احدى خنافس مايو تزعج زجاج النوافذ الموصـد ٠
والشمس تنسكب فى فوضى الغرفـة
ورجفتها المرفوضـة تتملكنـا ٠
أى يـد للرحمة تسحب ظلها
على الجـدران البـاردة ؟
هـا هو تذكار الحيـاة فوق الركوع ٠
هـا هى رايـة الربيـع فوق المقـابر ٠

الأشرعة البالية تنهض ــ تبحر فوق المراكب ٠
السرير يتحرك ٠
نسمة ٠
براح يسلب العقل ٠
أطيع الأمر
أفتح ذراعي وأتقبل ما لا يقاوم ٠
الوجوه الفاتنة فى متنزه النساء
وموكبهم الوضىء فى جسدى ٠
يتراجع الصباح ، مؤجلا
يزيح أيدى الضباب بعيدا عن جبينى ٠
لا مزيد عندى من البكاء ٠
هزمنى الغناء ٠
منحنى الغناء الانتصار ٠
الشمس ، الشمس تذيب المشهد الثلجى فى عينى ٠
والأغنية القوية صعدت سقالات السماء
لتبنى بذراعين عاريتين بيتى ٠
والضوء يتماوج فى عضلات صوتى ٠
أسمع حلقات القيود تساقط وتنكسر
أسمع الفرسان البيض يمرون بالخارج
منشدين أناشيد الحرب ٠
انفتحت النوافذ على مصاريعها فوق بحر الصباح ٠
وعتبة بابى تلتمع كعين مفتوحة ٠
أختى ، لم تعد لى طاقة على البقاء ٠
فغيابى سيجىء لك بالماء الأبدى ٠
وأنا ــ الذى عجزت عن انقاذك من الحياة ــ
سوف أنقذك من الموت ٠
هناك الطرقات مشرقة واضحة فى ضوء الشمس ٠
فلتتنحى ، يا أختى جانبا ، كى أمر بيديك المقيدتين ٠

علقت على صـدرى التعويذة التى صنعتها لى
ذات مساء ربيعى ـ أتذكرين ؟ ـ عندما كنـا صغارا ٠
فيها قطعـة طين حمراء صغيرة
لتذكرنى ببيتنا الأخير ،
وورقـة ورد جافـة من حديقة منزلنـا
وقليل من غبار الجدار الذى حفرناه ذات ليلة بأظافرنا
الى المنفى الطويـل الأخير ٠
وداعـا ، يـا أختى ٠
فقبلى لى العصافير فى باحتنا والأطفال الأبرياء
والأمهات الحزانى اللائى يطرزن بجوار المصباح
والشبان الذين يؤسسون مكانا لهم ـ فى عناد ودون تردد ـ
على حـدود الحيـاة والموت ٠

الآن ، أرد نفسى الى العـالم ٠
فالطبيعة الفاتنة ـ بمروحة شاسعة من جريد النخيل ـ
تنعش أعضـائى وتـذيب دموعى ٠
والمذاق المعـافى للصحـة الأبـدية
يغنى فى فمى ويلذع لثتى كفاكهة نيئـة ٠
أحـدق فى السـماء
وأرمى ـ بمحبة ـ فى الأرض حفنة من بذور ٠
أختى ، فيما وراءك وورائى ، فيما وراء نظرتنا الكابية ،
فيما وراء الخط الكابى للأرض ،
هنـاك عنـد جذر الأشـياء
أنصتى الى موجـة النبض العلويـة
ـ الخارجـة على السيطرة والتفسير ـ
التى خلقتنـا وتحكمنـا ٠
ماذا يمكن أن تقول ؟
أفتح البوابات ـ باندهاش مذعور ـ فى مواجهة الخالق

وأحـول الألم الى نشـوة
والصرخـة الى صـلاة ·
الضفائر البهيجة للآفاق تجفف قدمى الداميتين
وأقفز ـ خفيفا ، سعيدا ـ الى ذروة الابتسام :
أيتها الشمس ، الشمس ،
أبى ، أيها الحامى لى ، تلقفنى الآن ·
لا قيـد يربط أجنحتى بالأرض ·
والضوء يشرق متوهجا ، أعلى من حبك ، يا أختى ،
أعلى من حبى ،

الوجـه الساكن للأبديـة
يهشم المرايا المشوهة للدموع
وما نزال نسـمع بداخلنـا
عاصفة حقيقية من دمـوع ·

★★★

مينـاء ليـلى
الأضـواء غريقـة في الماء
وجوه بـلا ذاكرة أو ترابـط
تضيئها الأنوار العابرة لسفن بعيـدة
ثم تغرق في ظـلال الرحلـة
أشرعـة مائلة مزينـة بمصابيح الحلم
كأجنحـة مكسورة لملائكة آثمين
جنود بخوذات بين الليـل ونيران الفحم
أيـد جريحة كالاعتذار الذي جاء بعد الأوان .

سجناء مربوطون الى المرسى
سلسلة حول عنـق الأفـق
وسلاسل أخرى في أقـدام الأطفـال
وفي أيدي الفجر التي تحمل باقـة زهور

والصواري مثـابرة على عـد النجوم
بمساعـدة ذاكرة مطمئنـة .
ـ باقة من نوارس في الفجر السـاكن

اللون يرحل عن وجه النهار
والضوء لا يستطيع العثور على تمثال
ليدخل ، فينال المجد والسكينة .

فهل سنظل – اذن –
نحمى جرح الشمس المفتوح
الذى يفيض ببذور الزهور
على نفس المسيرة
على نفس الهدف
فى شرايين الربيع الخصبة
عندما يستأنف السنونو دورانه
بحثا عن عدم عاشق
على القبة الزرقاء المنيعة ؟

أى جرح
لم يضمن لنا – حتى الآن –
أن نصل بجنة الرب الى الكمال ؟

كانت لدينا حديقة على حافة البحر .
وكانت السماء تنزلق اليها من خلال النوافذ
فيما الأم جالسة على المقعد الخفيض
تطرز حقول الربيع مع أبواب مفتوحة فى منازل بيضاء
مع أحلام بجذوع الأشجار على السطح القش
مرسومة على زرقة فاتحة ناصعة .

لم تأت بعد .
سأتطلع الى الغرب وأراك

ـ في شـعرك بريـق وردى

ـ فى عمق البحر طيف ابتسامة ٠

أمي تمسـك بيـدى ٠
لكننى وراء كتفها الحـانى
وراء شـعرها الشـاحب
الذى يلتمع بأريج الصبر والنبـل
أتطلع ـ فى وقـار ـ إلى البحر ٠

هنـاك فى منحنى الجبـال الأزرق

ينادينى أحـد النوارس فى أعماق المنـاء

تهشمت المرآة التى رسمت حدود الفجر والحديقة ٠
وبالنايـات الحزينـة للزهور
دفنـا السنونو الأول ، أول أمس ٠
ثم جلس الأطفال وحيدين عند نافذة المساء
ليشهدوا الشمس المحتضرة ٠

ووراء جدار الباحـة الأبيض كان الطريق يصحو
وحالما تلاشى الضوء الذهبى في البعيـد
صعـد الظـل الهائـل للجبـال
مع خطوة الموت الصامتـة الى أيدينـا البيضـاء
الى قلوبنـا
الى جبهاتنـا المحنيـة ٠

أمي ، من الذى يـدق

الجرس اللازوردي على الأفـق ؟

غيمة فضية بجوار القمر .
صيادون عجائز
لم يعد لديهم قوارب ، لم يعد لديهم شباك
يجلسون على الصخرة ويدخنون غلايينهم
يتأملون أحزان الترحال والظل .
لكننا لا نعرف شيئا
عن الرماد فى مذاق الرحلة .
نعرف الرحلة ونصف دائرة الأفق
الأزرق الفاتح مثل الحاجب المخيف لاله البحر .

نقفز فى القوارب
نرخى الحبال
ونغنى البحر
محدقين فى الغيمة الفضية
بجوار قمر ربيعى .
أية مدينة مرصعة بالجواهر
تنام وراء الجبال ؟
أية أضواء ترتجف فى أغوار الليل
تنادى علينا ؟

هناك قبور صغيرة بيضاء
لنوارس بريئة
بعيدا فى جزر مهجورة مجهولة
لم تعرف سوى الضوء القادم من المحيط الليلى .
هناك وضعنا أزهارنا الأولى .
شهقتنا الأولى والفكرة الأولى .

سمعنا أغنية البحر
فلم نعد بقادرين على النوم .

أمـــى
لا تمســكى بيـــدى .

البحـــر البحـــر
فى عقولنا وأرواحنـــا وشرايينـنـا البحـــر .

رأينـــا سـفنا تحمل بلدانـــا أسطوريـة
هنـــا على الرمال الذهبيـــة
حيث يتمشى عابرو المســاء .
البسـنا محبـات طفولتنـــا طحالب مبلولـة .
قدمنـــا الى آلهة الشـــاطىء حصى وأصـــدافا لامعـة .

ألوان الصـــباح تـذوب فى الماء
ونيران الغروب على أكتـــاف النوارس
الصوارى التى تشير الى اللانهايـــة
تفتـــح أبوابـا عنـــد حلول الليـــل
مرفرفـة فوق نومنـــا الحجرى
متـــألقة ، أبديـــة .
وأغنيـــة البحر
تأتى عبر النوافـــذ الصغيره
فترسم حدائـــق وأحلاما مضيئـــة
على الجوانب الرطبـــة والجبـــاه النائمـــة .

ايقـــاع مؤرق أليـــم .
على الصخور القاحلة فى الخارج تبصر الجمال
نحن الأطفـــال المشردين الحفـــاة
وفيما نمشى بأقدام عاريـــة فى البحر
نسمع صوتـــه الذي يرتجف بأصـــداء هادئـــة

مع الوميض الفوسفورى للنجوم
التى تزرع حكايات ذهبية فى الأعماق الخضراء ٠

قلب مهيب
قلب طفل بلا شبهة
لا تتبرأ منه أبدا ٠

مددنا أيدينا لنقطف زهورا من النجوم
لنقطف نجوما من دقات قلوبنا
التى ردت على نداء البحر لنا
بأن نعتصم بحبل الجمال
ونحن نسافر الى اللانهاية
على طريق قمر الصيف الهائل
المرسوم على البحر المباح ٠

عرايا ، تصارعنا على الرمال فى الظهيرة
بأجساد مبلولة لأطفال الثانية عشرة من العمر
من أجل العناق لا الصراع
من أجل الصراع لا الانتصار
الانتصار وحده ٠

شعر ملحى
أفخاذ أحرقتها الشمس
الموجة الملهوفة فى القبلة
البحر فيما وراء الفوران ٠

الظهيرة تنحدر صاخبة فى زوبعات من نار
تطوى بيوت الصيادين بلهيب أبيض
فتحرق القلوب التى لا تقاوم ٠

خارج النوافذ نسيم البحر الرهيف
الوجه المضيء للسكون
فى ذاكرة الصيف البيضاء
مع بصيص طيفى ، داكن الزرقة
منحرف على وجنته الملساء ·

نفس ذهبى لماء لانهائى
شباك تتشمس على الصخور
قوارب مملوءة بفاكهة وزهور
وهناك بيوتنا
بيوتنا مكتوبة على البحر ·

ايماء من الشاطىء
من الصخور الحمراء
من زهور الزنبق الصغيرة
والبنات ·

من ينادى علينا
من شرفة بيتنا ؟
بنينا بيتنا فى البحر ·
هناك لآلىء فى الأصداف
وغابات مرجان هائلة فى الأعماق المعزولة ·

صنعنا نابنا من العظام التى أخرجها مساء امس
فى باحتنا غناء العاصفة ·

أنصتى إلى أغنيتنا ، يا أمى ،
أغنية الرحلة الجديدة ·

أنت يـا من تنوحين على الموت
لا تعرفيننـــا ٠

البحر لا ينـــوح ٠
بـــل يغنى ٠

متحررة من طقوس الأحـــد
باحـة مطلية بالأبيض
فى مواجهة البحر برج الكنيسة الصامت
الذى دق « يوم كل الأرواح » للبحارة
والآن يقهقه فى ضـوء الشمس ٠

فى أفواهنـا غليون أبينـــا
تحت قبعـــة المدرســـة ٠
وعلى صدورنـا مطرز الصليب الجنوبى
والعـــذراء العجـوز ٠

بدلة بحار قاتمة مزررة حتى العنـق
وعندمـا ترانـا الفتيـات
نتخذ المشية المائلة لقباطنة جابوا العـالم ٠
ويرتعش فى نظرات الفتيـــات
صوت غابة صباحيـة شاسـعة
موســيقى حقيقيـة واضحـــة ٠

لكن فيما المنازل السـاكنة تحيينا فى حنـان
بنبـــات المسك المتدلى على الجدار الأبيض
فسوف يدخلنـا من جديد ، ليقهرنـا من جديد
الضوء البـاهر من المحيط العظيم ٠

هـاأنت هناك أيها القبطان
تأكل خبزك الجاف على عجــل
والزيتون الأسود المنقوع فى الملح والشمس
على قمة صخرة منحدرة .

انه وقت الابحــار
ونحن نلتقط أنفاســنا
يرتفــع شراع الزفير الأزرق الفاتــح
وطياتــه المضيئة تتماوج
وهى تتلاشى خلف الصـدور الساكنة للجبال النائية .

قلوبنـــا التى عرفت البحر
لا تعرف الحـــدود .

علم الصحة الراسخ مغروس فى الصخر
يحيى السماء ، يرفرف فوق الرجـال
وظلال باردة كبرى من بحر الصبـاح
مع جزر وأشرعـة بيضـاء
فى الازدهار الكامل لمنتصف مايــو .

القمر الفضى يعكس
جموعـا زاحفة فى عزلتها خلف الصخور
على وسائـد الطفولة أصـــداف صقيلة
وفى المحيط الأزرق للنوم
أصوات السيرينات مع قياثرهن من عظام الأسماك .

آه ياربـــة الجزيرة النائيـــة
الرواسب الكلسية تتـــدلى فى كهفك البحرى

كأنها ترتل نوم السكون الشاحب
كأن صدرك الناصع يتنافس مع دائرة البحر الزرقاء
المضاءة بالنجوم
وهناك باقة ذهبية من نحل
حول النبع حيث يمرق الضوء في وهن
وهو يعطر ظل الأشجار الضخمة ـ
فأنت تعرف أن الماكر سوف يرحل .

« لا يرتيس » مع كلبه
سوف ينتظر فوق الصخرة سدى .

حين خرج عاريا من البحر
ذهبيا من ماء الفجر
فارتسمت عظام عانته في اطار الشمس
هربت « ناوسيكا » مع العذارى الفاتنات المرعوبات
خلف الأشجار
وأقدامهن الحافية ترفرف في الهواء كسرب حمام
وضوء أبيض ينعكس على العشب الأخضر .

...في الخارج على الشرفة بجوار البحر
مائدتنا المسائية المتقشفة .
غمس الربيع الخبز القمحي في النبيذ .
ورسم القمر في السر
على أباريق خزفية يونانية
مشاهد من طروادة .
كنت تعرفين أننا سنمضي ، يا أمي
وملحت عشاءنا بدمعة
وأنت محنية وحزينة تحت النجوم

والفتيات ـ اللائي كن خطيبيات أوديسيوس ـ
تنهدن على عتبات نافذة الجزيرة

سفحنا اللم والغلال مع الأشرعة العالية والغيوم
فوق المياه الناصعـة .
مع زوارق خشبية صغيرة في خلجان زرقاء
تفوح ـ في رقة ـ بالوداعات
مع القبلات بجوار القوارب عند حاجز الأمواج القديم
وراء طاحونة الهواء الصيفية المهدومة
متأهبين للرحلة الكبرى الى المجهول .

وعندما عدنا في المساء
بأيد دامية وركبنا مكسورة
حاملين غنائم التعب :
أيقونات مائية تتنكر للشكل
أجراس مساء وردية اللون
ندم الفوران
خواء الصراع ـ
هناك تحت ظل المقبرة عند البحر
أدركت عيون طفولتنا الصمت
سمعنا مجيء الليل
سمعنا ناي الجمال
الذي يمنح العزاء للجبين الحزين ،
ويبرر المصير .

من الذي يهشم روح الرب وفرحتنا
من الذي يقسم الصمت الى آلاف الأسماء والنجوم
التي تضيء في حركتها أيدينا

وترسم دوائر من العزلة على نفس البحر ،
التى تستبقى نار الخلق
دون أن تبقى ؟

طيور البحر ترفرف عند كهوف الصخر الصامتة
رسوم للملائكة مطرزة بنجوم عند الحافة المتآكلة للماء
بالقرب من الحصى المقاوم
فى الظل الأخضر لحاجز الأمواج
تحت العيون المدهوشة لأولاد حالمين ٠

جرح يوم الفراق
الذى يخط فى الدم آفاقا وذكرى
يرسم تقيصة الرب
الايماءة الحلم الخلق ٠

معرفة صامتة
فى عيون الأطفال الواسعة
على الشفاه الحازمة للمراهقين
الذين لم يحصوا حطام السفن
معرفة تمجد النجوم المنفرطة من جرح الرب المفتوح
لتداوى جرح الانسان ٠

أغمضنا عيوننا
فى سريرنا الموروث الأبيض ٠

المصباح انطفأ ٠
وفى اطار النافذة يومض البحر فى السر ٠

خلف الأسيجة والأشجار
سمعنا صوته العالي ينادي علينا
فيملأ نومنا بمشاهد لازوردية
مزهرة بأشرعة في بياض الثلج
بحدائق من نوارس مستغرقة في التفكير بلا صوت
جاثمة على الحافة الصخرية للمجهول
فوق الهوة المظلمة الآسرة .

من هناك أسمتنا صيحة الريب
غدا سنسبح من جديد
غدا سنرتحل من جديد
غدا سيطالبنا الفجر بالصبر .
وسوف نرد على البحر

كتبنا السطر الأول على الرمال
والصواري الصابرة ترقبنا في عبوس
والموج يهمس حنينا لا ينتهي .

أقمنا على الصخر كأننا منحوتون في سرب طائر
وحدقنا في أقمار تخط دوائر
تسألنا سر سفن تحمل أشباحا بيضاء
سر الرحلة التي لا تنتهي
والمرسى الذي لا يحتمل الماء
لمسنا جرحنا ووقتنا
وهربنا .

الرحلة دائما لنا
والهدير الدائم للبحر .

وصلت السفن عند الفجر
محملة بالقمح والفحم والنبيذ
من أجل القباطنة الحالمين
من أجل وقود النيران ٠

طوحت بالخبز والنبيذ والفحم
وبقيت عاريا فى البحر
بلا رداء يغطى ضلوعك
أو حب يخبىء عينيك ٠

كانت الساعة ملونة كلؤلؤة سرية
للتأمل العميق للفجر
وصوتها البعيد مترع بالخطر والاغراء ٠

نظرت الى جسدك في الماء
فأحببت الماء ونسيت جسدك ٠

أيتها الرحلة بلا متاع
نار بلا فحم
جوع بلا خبز
عطش ونشوة بلا نبيذ ٠

فات الآن أوان الرجوع ٠

لو كانت الموجة أكثر دفئا من الحب
والسفينة أكثر دفئا من الميناء
أنت ــ نفسك ــ تعرف
أن الطيران يغنى فى شعرك

وأنت تواجـه الأفـق بنفير البحر
صاخبـا بارتحـــال أبـــدى ٠

رحلت الســفن وتركتنـــا
بلا خبز أو نبيذ أو فحـــم
في منتصف البحر ٠

بكينـــا طـوال الليـــل
انحنينــــا على نعش أبيض لنورس ٠
مصباح أمى يشرق من بيتنـــا
غصن نحيـــل من ضـــوء
فى الكف الرهيفـة للعـــــذراء ٠

نوم ثقيل عنــد الفجـــر
فى حكايـــة الأصـــــداف
والشـــموع ذابت
فى الكنيســة المجاورة للبحر ٠

وكانت السـفينة تنتظر
بمقدمــة منحوتـــة فى ضوء الفجر
كســـيف للريـــح ٠

النوم فى هذا المســاء بقلب ممرور
يشبه خبز صيادين فى العــاصفة ٠

غدا سنقتلع الصلبان من المقبرة المجاورة للبحر
ونصـــنع قوارب الأطفـــال

وننحت فى شواهد القبور
تماثيل صغيرة للجمال والبحر
لنملأ البيت المهجور
لنغوى الحياة وأنفسنا
رغم رب النكران
دون رب الرحمة ٠

ضاعت الصوارى
غاص الدخان
وراء المنحنى الصامت للماء
مثل ركبة أم تنام
والرحلة الساهرة فى صدورنا
ساهرة كالريح والبحر فى المساء الشتائى ٠

تلال ناعمة تسافر فى الضباب
والشمس المريضة ناعسة
على صخور المساء البليلة ٠

الكراكى فى الأعالى
مثلث للندم ٠

قداس صغير للعزلة فى مطر المساء
حامل أيقونات « سان ـ نيقولا » على الشاطىء
حيث يتوقف الخريف
ليلقى بعملة من الأسى المرير وورقة شجر صفراء
فيما هدير العاصفة يتلاشى على الرمال المظلمة
تحت ضوء النجوم الباكى فى سبتمبر صامت ٠

فلتلملم مرمرا أزرق من أيـام اللعب والبكاء الطفوليـة
فقـد تنحت تمثال المحيط
ملطخا يديك بالدم فى أصيل غائـم
حينما يرسـم الانعكاس الشـاحب للبحر
دائـرة من نـسـلم مضىء
عاليـــا فى الهواء الخـــاوى ٠

فى البيت الأخضر الصغير على الشـاطىء
فاجأنـا الشـتاء وحيـــدا ٠

الشرفـــات هجرت
وعلى الشـاطىء الشاحب
يخطو الضباب بـلا صـــوت ٠

أوراق صفـراء فانيـــة
موت صـامت للبرقـــات
طحالب تسد الأبواب والطرقـــات
ذاكرة مشجرة بـأشجار السرو ٠

عند منحنى الطريـق ظـل الصمت ٠

من النافذة رأينـــا آخر زوار الصيف يرحلون
والزورق الصغير سـلاله فارغـــة ٠

السـفن تنـــام فى المينـــاء
وأعـــلام الريـــح الرماديـــة
ترفرف على الصوارى العـــارية ٠

عما قليــــل ســيأتى المطر المحزن
ليزيـل الأسماء الغنائيـــة
ووسوم الطفولـــة
ووميض البحر
من قوارب الصيف ٠

فى ومضــة ضــــوء
ستقرأ المصير فى كفوفنـــا المفتوحـــة
ولن نملك كلمة واحـدة نطعم بها العزلة
أو كسرتين من خبز لنطعم العصافير القليـــلة
التى تموت على الطريـق المعزول ٠

الأشجار على جانب الرصيف محنية ومهجورة
ــ قشرة خشبية للصيف
فى الغسق المنهوب ٠

أين ذهب أوركسترا الفتيات الصغيرات فى الحديقة البحرية
هناك حيث سكر البحارة فى المساء وسط الأشـجار
وتقافزوا ــ راقصين فى الهواء
لأن عملة القمر الذهبية انعكست
فى شعر الفتـاة خلف نباتات الريحان ٠

فى الليـــالى
يتمشى الانعكاس الأخضر الهائـل للبحر
وحيدا ، مهجورا ، على الصخور المنحدرة ٠

صــامتين نمر خلال غرف مظلمة
أمام مرايـا معتمة لم تعد تعرفنـــا

ونسمع خطى الصمت
والريـــح والبحر
على حواسنــا الناعســـة ٠

شيء ما من أمان الفراغ ـ
بــاب موصـــد في المســاء
أو موكب من أشـــجار السرو
مرسوم في الضباب الفضي لضوء النجوم الخريفي -

وعندما يهطل البــدر المعزول بالصبر والسلوى
نفتــح النافـــذة ونبتهـــل ٠

نحمدك يــا رب
على أن تركتنا وحيدين هكذا محزونين هكذا
كي نستطيع التحديق بلا رهبة في السماء
ونكون أنقياء وبلا حدود مثـــل اللانهايـــة
منسيين ومجهولين مثـل المجهول ٠

ليــل ٠ أقف في البــاب المظلم
الجبـــل المخفي يمتد بعيدا
يتلو اسم الرب في العاصفة الثلجية للنجوم
في الظل الشفيف حيث ينام الرجال ويموتون
في العزلة التي تعيد صوتي ألف صوت -

أين ذهبوا جميعـــا
ليتركوني أحــدق في كفي الخاويتين
لأصـادق الصمت والمطر ؟

حزين حتى الموت .
أرى السماء الخاوية
وأحتفي بغيمة كبيرة
وأنا مثل حمل حزين ، مهجور ووحيد
في منتصف واد مظلم

آه ، يارب ، لماذا رحلوا عني جميعا ؟

تحت ثيابي الممزقة
أمتلك قلب الطيور والأزهار الحاني ..
(كم من ليلة بكيت فيها سرا
على جرح فراشة) .

فليذهب كله . فليذهب كل شيء .
فسوف أبقى مرة أخرى في مواجهة السماء الفسيحة
في مواجهة البحر الشاسع
لأغني بلا مرارة أو شكوى
فليذهب كل شيء .
فحينما أبقى وحيدا أقترب أكثر من الناس
فأقترب أكثر من الرب .

أسمع صوتي
مهجورا في الريح
وأدفيء أيامي .
جوقة طفولية تتبع المساء
وهي تعري الصمت

وهي تحيي الربيـــع ٠
لكنني ، يا أمي ، ما أزال بردانـــا ٠

حـــل المســـاء ٠
جداجد الخريف الأخير تتمازح في الظلام عند الأسيجة
بأصوات صغيرة واثقـــة ٠
فلتفتش قلبـــك
عن الشمس التي رحلت ٠

واذ يمتـــد الشفق الى أرواحنـــا
سيقطر أريج وردة قطرة ندى على الرموش ، ..
والضوء الأخير للمســاء
على يدين عاريتين معقودتين
على وجـه تحول الى رخـــام
بفعـــل القوس الفضي للبحر ٠

أخذوا منـــا أغنيـــة البحر
قيـــدوا أقـــدام بحرنـــا ٠

أطفـــال مدهوشون وصـــامتون بأهداب ملحية
بعيون زرقـــاء واسعـــة
نمر ــ خائفين ــ عبر مدن كبيرة
تحت مستشفيات تفوح بالنوم والعرق
تحت بيوت بمصابيـح حمراء
تحت أبنيـــة كبيرة
نبتعث ليـــل الدم والغنيمـــة ٠

أمي يـــا أمي
تتكرنــا لحكمة دموعك الحانيـــة
فأين يدك الغفورة باحتمالها الصبور
أين يــــــدك
فلعلنـــا نســمع الفجر والبحر
وندفيء عزلتنـــا ؟

أمي
السماء ماتت فى دموع البرىء ·

نحن الذين سرنــا فى الليـــالى
فى غابـــات ناصعـــة كاللآلى
نحن الذين نحتنـــا فى الصخر
الشـــكل الصـــافى للحلـم
لا نعرف كيف نسير على طرقـــات
تتلطخ كل يوم بـدم المسيح العـــادل

خلف الجدران يتمددون فى انتظارنـا
ومن الأركان ، تنطلق ــ مرتاعـــة ــ
أسراب من حمام خشبى ·

أبواب تتثاءب فى الليـــل ·
ومضـــة ســيف ·
قمر مقطوع الرأس ·

بعظام آدميـــة يصنعون ســلالم
ليصعـــدوا ·

سيدى المسيح ، سيدى
ونحن هنا ، فى منتصف الطرقات الكبيرة
مرتبكون ومحزونون
بحقائب خاوية فى أيدينا
بقفص عندليب على ظهرنا
بذكرى البحر الشاسع على جبيننا
بأيد بريئة مندهشة ، لا تستجدى .

لم يبق لنا شىء ، يا أمى :
أين سنأوى ؟
أين سننام ؟

هناك حيث الأيدى والبيوت خاويه
يحتل البحر مكانه الرئيسى فى غرف الليل السوداء .
ثياب من ظلام
أقنعة من جبس
ابتسامة حب معسولة
صور لأطفال يكبرون
لم تعد تعلق على الجدران .

هناك ، منفردا يتماوج
شامخا باردا ـ بلا كلل ـ وحرا
المحيط الوامض .

طفل بنى البشرة بعينين زرقاوين
وشعر كثيف مشطه البحر
طفل لم تتشكك خطوته المبتهجة بالأرض أبدا
طفل أبى رقص طقوس الأحد

لقد صنعت مراكب وطائرات ورق من كتب التدريبات
هل تذكر القبطان العجوز
الذى نسى الميناء وهو يحدق فى النجوم
مغنيا للبحر كى يستعيد شبابه ؟

هكذا ، فى الساعة المقررة
رحلت عنا بسمة الليل الأخيرة
وما كان لدينا سفينة أخرى نبحر بها
وأرصفة الميناء بلا أضواء أو مسافرين
قابلنا ظلنا آه ياطفل البحر
قابلناك وقمر ربيعى فى يديك
تتمشى وحيدا على الشاطىء وسط الصخور
حيث الفقمات والسراطين تحلم فى سكينة ٠

شبعت العيون من صور الماء
لكنها تهفو ــ ما تزال ــ الى الماء
النجوم تتنزه فى ذكريات النوارس النائمة
انقضاض مفاجىء للدلافين المذعورة من كائنات البحر
وعلى مرايا الماء المكسورة
طيران المجرة الدائرى ٠

صمت مرعوب يرحل من جديد
الى الشاطىء النائم البعيد
ــ الابنة الجميلة للقباطنة الغرقى
تعيش فى أنقاض حاجز الأمواج
وكل ليلة حين يكتمل القمر
يطاردها البحارة السكارى ٠

رب السماء والأرض والبحر
الى متى سنظل نرقب وننتظر
الى متى سنـــظل عطاشى
الى متى ســـنظل لا نموت ؟

أن نصــل الى حيث توقف الضــوء
مهشما الى جراح وورود
ذلك ما سيوقف دوران السنونو المتعب
لابد أنك قد كدحت حتى السلمة الأخيرة من الغسق
وتقطعت أنفاسك حتى الموت ٠
فى أمســيات مكسورة
حين بكت المصابيــح فى البيوت
حين صلى الأطفال عند سرير العذراء المريضة
فى الثلوج حيث كان قمر كبير وحيد يموت
فى الريــح التى صلبت ريش الطيور العاشق
للمنـــا الدفء والضــوء
لنجعل من الزهــر ترنيمــة للربيـــع ٠

لكن الانتصار لم يجىء ، لم ينتـــه ٠

ونحن منعزلــون
الى حــد أن الموت لم يقــع فى غرامنــا
وظلنــا يتمشى على الشــاطىء الأبيض
مثــل طائر مســالم للمحيط
مترع بالبهاء والســكينة
منهك من الليــــل والعشــق ٠

لكن الساعــة التى تسبق الفجر لم تجىء ٠
فمن الآن ســيأتى لنـــا

برجوع السفن المنفية
المحملة بالصباحات والحمام
بابتسامات الطفولة ودموعها ؟
من سيعيد لنا الصحبة العظيمة للنجوم
التى انهارت فى عيوننا المشرقة ؟

رب ، يا رب
أعد لى من جديد عباءة المصلى الألهية
هات لى القلب الذى يجهل المطر
والازدهار مع الستونو
امنحنى ارتحالات وعودات
لعلى أستطيع البكاء من أجل جرح فراشة
لعلى أستطيع الخطيئة
والندم
عندما يدوى جرس جزيرتنا فوق البحر
ببراءة يوم الأحد الطاهرة
ببراءتنا الضائعة
وصحتنا المفقودة .

فى العيون الرهيفة للطيور
سوف يبقى طيف السهول بخشخاشها القرمزى
والفيض الذهبى للشعير .

وفى نوافذ صغيرة على الشاطىء
سيزهر الحب والجيرانيوم من جديد
وسيأتى مسيح طفل ليأخذ بيدنا

ونلعب حتى المساء تحت الزنابـق
مع اللقالـق ونسيم البحر والشمس ·

وعندما يحـل الليـل سنقفز الى زوارق بيضـاء
وبشباك صيادين توارتيين محزونين
سوف نصيـد القمر المائى
ونستلقى معـه فى هـدوء
فنبهج نومنـا بملائكة صـامتين
لم يتعلموا بعد الضحك والبكاء
بل الابتسام ــ وحـده ــ فى حلم خلق لم يولد ·

جزر ذات أشـجار صـامتة فى مسـاء الصلوات
حمامات السـلام هنـاك سـاكتة
ونحن صامتون أثنـاء جمع ورود النهار
فيما يسقط ظـل المساء على الصفحة البيضاء
حيث نقتفى أثـر الحياة بجوار الشـاطىء ·

لن نقرأ ما كتبنـاه
سنرفـع عيوننـا فى انتظار المجرة السـاقطة
خلف شـجرة لوز من غيـم أبيض
يتمشى فـوق البحر ·

يأتى ــ من جديـده ــ الموسـم
الذى لا يعرف الزمن ولا النـدم ·
صوت صـاف لماء سـاكن
ضوء خطى الصيادين على الرمال
الأطفـال نائمون فى القوارب
والملائكة يسـتحمون فى أحلامهم ·

رائحة عشب ونكهة نجوم
سلاسل الجبال تذوب بعيدا فى السماء المتلألئة ٠

أيدينا المتعبة تنضح ندى عذبا
وشعرنا معطر بظل حزن الأمس ٠

العالم بلا حدود ، يا أمى

القيثار العظيم للشفق
رحل فى الغابة الكثيفة الظلال
غيمة وردية تشتعل فى حريق الغروب ٠

يقبض الرب هذا اللون
لعلنا نعرف عقلنا
ذلك الذى انهزم لكنه لا يعرف الخضوع ٠

سنحتاج الى ذلك التعاطف البعيد
الذى يقاسى من أجل ما فسد
محافظا على الحلم بالاستقامة ٠

يمر المساء على الشاطىء المهجور
وجرة الرماد على كتفه العارى ٠

على وجهها المتأمل أشرقت بسمة
تغذى ضالتنا المنشودة ، تغذى سهرنا
وهى توجه الوحى المجيد لمصيرنا ٠

فى هذا المساء يستنشق الكون
أريج بذرة الرب اليقظان ٠

نروى الجذور من النبـع الأبـــدى
الذى يتفجر من أعمـاق الليـــل
ويملأ جماجـم الموتى بالورود ٠

أضىء الأنوار على الأرصفـة البعيدة
وطرز البحر النائـم بالنجوم
ولترفـــع الأيـــدى السليبة ٠

صمتها يتخـــذ صوتـــا ٠
حيواتها دائما كل ما مضى ٠
هنـــا لا طيران ولا فنـــاء ٠

أغنيـــة المســاء فوق البحـار
مصحوبة بغيـاب الأشـياء
التى تزهر فى الدائـرة الأبديـــة
للصمت والحب ٠

البحر يحـــدق فى وجهه
فى البحر ٠

فلتأخذ المثـل المقهورة
خذ المعرفة التى غضنت حواسنا الشابـة ٠

خـــذ الهدوء العقيم
الذى يبقى متعبـا على الصخر
فيبنى معبده ومقبرتـــه
بأخشـاب سـفننا القديمـة

ولتدع لنا غبطة الليل وحدها
عندما تنتظر الأمهات على الباب المزهر
أطفالهن الغريبين الخارجين على الترويض

الذين أضاعوا وجبتهم المسائية
الذين يسبحون عرايا طوال اليوم
الذين يبحثون عن أعشاش النوارس
وينطقون طوال الليل بكلمات لا نعرفها
عن السفن والغيوم والملائكة
عن ملائكة مجانين يعيشون فى سلاسل مرجان قرمزى
عن ملائكة جميلات مخطوبات للبحر
والرب المتكر لذاته يعزف على أبواق مسحورة
مصنوعة من عظام شعراء محطومين ٠

دع لنا غبطة الليل وحدها
حينما يصيد الأطفال من أجل النجوم
فى زوارق بيضاء كالثلج
حينما يواجه المراهقون العرايا الجميلون
الجمال فى العيون بلا شكوك أو خوف ٠

أعد لنا قوارب الورق
لعلنا نرسو فى الميناء المعهود لبيتنا الأول ٠

وسوف نركع ـ برهة ـ على الرمال
وسوف نصلى أمام ظلنا الذى لا يركع
فيما عذراء البحر الحزينة
ستفتح ـ فى هدوء ـ باب الكنيسة
وتأتى لتقبل شعرنا المبلول بندى النجوم العذب
بندى الصمت والليل ٠

لكننـا سنرفض من جديـد
قبلـة الحب التى تسترضى وتأسر ٠

مجهولـين فى المجهـول
فاتنين لا نعرف الخضوع
سوف نرتحل ـ أبدا ـ فى غابـات القمر الفضيـة
فى الجزر الوحيـدة للنجوم
دون أن نعرف ربـا
دون أن نعثر على رب
مثل نبض الألوهية الذى ـ فى خلقه ـ يدمر ذاتـه ٠

مينـاء ليـلى
أضـواء غريقـة فى الماء
وجوه بلا ذاكرة أو ترابـط تضاء بالتعاقب
من الأضـواء العابرة لسـفن بعيـدة
ثم تغوص فى ظـلال الرحلة الأبـدية
أشرعـة مزينـة بمصابيح الحلـم
مائلة مثـل أجنحـة مكسورة لملائـكة آثمين
جنود بخوذات بين الليـل ونيران الفحـم
أيد جريحـة كالاعتذار الذى جاء بعد الأوان ٠

نـار كبيرة على القمـة
تحرق قلب الظـلال ٠

سـجناء مربوطون الى المراسى
فى الوهـج الأحمر
سلسلة محكمة حول عنق الأفـق
وحول أيدى الفجر التى تجمل زهرة الربيـع ٠

اللون يرحل عن وجه النهار
والضوء لا يستطيع العثور على تمثال
ليدخل ، فينال المجد والسكينة ٠

أخوتى وأخواتى
كيف يمكن أن أبقى بعيدا عنكم ؟

البحر ، البحر
الكتب لا تجيب عن السؤال
والسؤال لا يداوى الجرح ٠
من جرحنا يبدأ البحر ٠

أحلام الرحلة
عند منحنى الدموع الأخير

من يطرد الشمس عن شعر الأطفال
عن قلبنا العظيم ؟

ارفعوا الأشرعة
ارفعوا المرساة ٠
هيا والموانىء القديمة تنزلق بعيدا
هيا والفجر يشرق بكل دموع أسلافنا ٠

سلسلة لا تليق بكاحل البحر
سلسلة لا تليق بقلب بحرنا ٠

وداعـا للحب والبـلاد ·
طيور البحر فى الضـوء والملوحـة
نحلم بالارتحالات فى شراع كامـل
آذاننـا ليست صماء عن أصـوات السيرينـات
وعيوننـا يقظانـة ·
ما من دخـان ولا ايثـاكا ·
ما من أفـق آخر وراء الآفـاق ·

أغنيـة البحر الأبديـة تجيب على الفراغ
وتملأ خـواءه بقلب وشمس ·

آه ، ليـال عاصفـة
ريـاح قويـة مندفعـة فى عنف
زبـد على زجـاج النافـذة
مصابيـح داخنـة فى بيوت الصيادين
مخاوف الفتيـات الحزانى
رتـق الجوارب للمنفى
منـارة سهرانة مع عيون الأمهات
والبحر لا يرحـم ولا نهائى كعقـل الرب.
يمتلك الرقـة ولم يروض مثـل قلوب الشـعراء ·

أشباح القباطنـة الغرقى
غلايينهم ما تزال فى أفواههم
يطفون على ومضـات البرق
سـفن غريقـة راجعة الى موانىء الليـل
والطاقـم الضائـع واقف خارج الأبواب الموصـدة
ينتظرون
يبحثون ــ صـامتين ــ عن حيواتهم

يحملون صورا استوائيـــة
سهولا لازوردية وزنـابق هائـلة
وتمســاء عرايـــا من أبنوس ٠
يولولن بـــلا بصر

لكننا ، نحن الذين تكلمنا ساعات مع البحر
نحن الذين نحمل في شفاهنا دائما
مذاق الرحلة العذب القوى الجديـد
نتقبـل هبات الموت الأبـــدية ٠

وعندمــا تلعن الأمهات البحر
ويتمشى القباطنـــة العجائز قلقين فى غرف موصـــدة

نفتـــح نحن الأبـــواب
نركض الى الصخور العاليـــة
وتطلق صيحتنـــا فى الليـــل
تاركين العاصـــفة وراءنـــا
ناسين الخبز والمدفـــأة
لنبرد جبيننـــا المحموم
بغضبـــة البحر الواســـع ٠

أيها البحر ، البحر
مثلما نحن معك ، فلتكن معنـــا
لن نستسـلم لليـــل
وللنـــوم ٠

لـــن نتباهى بالصراخ :
لقـد كسبنـا النصر الى الأبـــد ٠

فـرح العاصــفة
الســكينة
الرحيــل
فرح الارتحـال الأبــدى
فلتنطفىء الأضــواء على الشــاطىء
لعلنــا ندخـل قلب المحيط
ترنيمة أمواج الليــل التى لا تنفــد
بينما الرب من عليــاء عزلتــه الشامسة
يقـذف اجتراءنا بالصخور مع الأحـلام المترقـة .

أيها الألم اللانهائى أيها الفرح باتســاع العالم
نــار كونيــة
تلك التى تحرق شـعر الليــل الأسود
تضىء الفجر عاليــا فوق أشرعــة بيضـاء
فوق صــوار عاليــة
حيث يصعد الشـعراء ليمجدوا الوجـه الجديد للرب
المنعكس ـ وهو يبتسم ـ في الماء
في اطار من نورسين منتشيين .

أيتها الشمس ، الشمس
التى تصــبغ البحر بالدمــاء
عاريــا أقــدم نفسى للهيبك
لتضىء عيـون النــاس .

أمهاتى ، أخـواتى
أنصتوا الى صوتكم ، صـوتى
أنصتوا الى أغنيــة الشمس والبحر .

★★★

(١)

هذه الأشجار لم تخلق لسماء أقل ،
هذه الأحجار لم تخلق لخطى الغرباء ،
هذه الوجوه لم تخلق الا من أجل الشمس ،
هذه القلوب لم تخلق الا من أجل العدالة ٠

مكان قاس كالصمت ،
يضم الى صدره أحجاره الحارقة ،
يعانق في الضوء أشجار الزيتون والكروم اليتيمة ،
وينشب فيها أسنانه ٠
لا ماء ــ ضوء وحده ٠
تلاشى الطريق في الضوء
وظل الحائط من حديد ٠
الأشجار والأنهار والأصوات تحولت الى رخام في كلس
الشمس ٠
الجذور تطفر على الرخام ٠
وحقل العدس يغطيه الغبار ٠
بغال وأحجار ٠ يلهثون ٠ لا ماء ٠
الكل ظامىء ٠ منذ أعوام ٠
الكل يمضغ كسرة سماء ليكبحوا مرارتهم ٠

عيونهم محتقنـة بالدم من السهر
وبين حواجبهم خط عميق محفـور
كشجرة سرو بين جبلين عنـد الغروب ·

أياديهم ملتحمـة ببنـادقهم
وبنـادقهم امتـداد لأذرعتهم
وأذرعتـهم امتـداد لأرواحـهم ـ
على شـفاههم يرقـد الغضب
والألم ـ فى أعماق عيونهم ـ يشبه نجمة فى حفرة ملح،

عندما يشدون قبضتهم ، تصبح الشمس واثقة من العالم
عندما يبتسمون ، يطير سنونو صغير من لحاهم الوحشية
عندما ينامون تتساقط اثنتا عشرة نجمة من جيوبهم الخاوية
وعندما يقتلون ، تندفع الحياة الى أعلا بالطبول والرايات ·

لسنوات طويلة جاع الجميع ، عطش الجميع ، قتل الجميع
حوصروا بالأرض والبحر ،
أهلك القيظ الحارق حقولهم ، والملوحة غمرت بيوتهم
خلعت الريح أبوابهم وأشجار الزنبق القليلة فى الميدان
يجيء الموت ويمضى خلال ثقوب معاطفهم
وألسنتهم لاذعـة مثـل مخروط السرو
نفقت كلابهم والتحفت بظلالها
والمطر يـدق على العظام ·

متسمرين فى مواقع الحراسة ، يدخنون روث البقر والليـل
ويراقبون البحر الثلجى
حيث غاص صارى القمر المكسور ·

نفـد الخبز ، نفـدت الذخيرة
والآن يحشون مدافعهم بقلوبهم .

طوال سنوات حوصروا بالأرض والبحر
جاع الجميع ، قتل الجميع ، وما مات أحد ــ
في مواقع الحراسة تتوهـج عيونهم رايـة شاسعة ،
حريقا هائلا يشتعل بالاحمرار .

وفى كل فجر تنطلق ألف حمامة من أياديهم
نحو البوابـــات الأربــع للمـــدى .

(٢)

وكل مرة يهبط الليل فيها بالزعتر المحروق على صدر الحجر
تسقط قطرة ماء ، تحفر منذ عصور فى جوهر الصمت
والجرس المدلى من شجرة الدلب العتيقة ينوح على السنين .
تنام الشرارات فى رماد الخراب
والأسطح تتأمل الزغب الملون على الشفة العليا لشهر يوليو ــ
زغب أصفر كشعيرات كوز الذرة التى دخنها حزن الغروب .

السيدة العذراء مرمية وسط الآس بثوبها الفضفاض المبقـع
بالعنب .
وفى الطريق طفـل يبكى والسهل يرد عليـه بشاة فقـدت
صغارهـــا .

ظل على النبع . والماء فى البرميل بارد ثلجى .
ابنة البيطار بقدمين مبلولتين .
خبز وزيتون على المائـــدة ،
ومنارة المساء تتوهـج فى تعريشة الكروم

وعاليا هناك ، تبث المجرة ـ وهى تدور على سفودها ـ
نكهة الدهن والثوم والفلفـــل الحـار ٠

آه ، كم من حرير بلمعان النجوم سنحتاج اليـــه
لنطرز بابر الصنوبر « هذا ، أيضا ، سوف ينقضى » على جدار
الصيف المحروق
ما أطول ما ستغتصر الأم قلبها على مذبحة أبنـائها السـبعة
الشجعان
قبل أن يجد منفذا الى طريق روحها الشاهق ؟

هذه العظمة التى تبزغ من الأرض
تقيس الأرض باردة وأوتار العود
والعود والكمان من المساء الى شروق الصباح
يرويان حزنهما الى النعناع وأشجار الصنوبر
والحبال ترتعش على السفن كالأوتـــار
والملاح يشرب البحر المرير من كأس أوديسيوس ٠

آه ، فمن الذى سيسد المدخـل اذن ، وأى سـيف سـيقطع
الشجاعة
أى مفتاح سيوصد القلب ، ونوافذه مفتوحة على اتساعها
كأنها تشاهد حدائق الله المبذورة بالنجوم ؟

رائعة هذه الساعة ، كليالى السبت فى مايو، فى حانة البحارة
رائعة هذه الليلة ، كالمقلاة على حائط السمكرى
رائعة هذه الأغنية ، مثل الخبز فى عشاء صياد الاسفنج ٠
وهناك ، يندفع القمر الكريتى على الحصى وسط التلال
دقة دقة ، بعشرين صفا من قطع الحديد فى نعل الحذاء

وهناك يكونون ، هؤلاء الذين يصعدون ويهبطون سلالم « نافبليون »
وهم يحشون غلايينهم بأوراق الظلام الخشنة ،
شواربهم زعتر من روميلى مبذور بالنجوم
وأسنانهم مثل جذور الصنوبر فى الصخر وملح البحر الايجى .
فى الأغلال ذهبوا وفى النار ، تحدثوا مع الأحجار
واستضافوا الموت الى « الراكى » فى جمجمة أجدادهم ،
فى نفس باحة الدراس ، قابلوا « ديجينيس » على العشاء
ليقطعوا حزنهم اثنين ، تماما كما يكسرون على ركبهم أرغفتهم الجاف .

تعالى ، ياسيدة الأهداب الملحية ، والأيدى الملطخة بالدخان
من رعاية الفقراء ، ومن السنوات الطويلة —
فالحب ينتظرك وسط الأسل
وفى كهفه تعلق النوارس أيقونتك المسودة .
وقنفذ البحر المرير يقبل أظافر قدميك .

وسط الأعناب السوداء للكرمة يفور العصير أحمر زاهيا
يفور التوت فى العشب الشوكى المحترق
فى الأرض ، يطلب جذر الشجرة الميتة الماء ليثمر شجرة تنوب
وأم تحتفظ بسكين عميقا تحت تجاعيدها .
تعالى ، أيتها السيدة التى ترقد على البيض الذهبى للرعد ،
ففى يوم بزرقة البحر ، ستزيحين وشاحك وترفعين السلاح من جديد
من أجل أن يضرب برد مايو جبينك
من أجل أن توزعيها حبة حبة على أيتامك الاثنى عشر
من أجل أن يتوهج البحر في كل مكان كحد السيف وثلج أبريل

من أجل أن يظهر السرطان على الحصى ليشمس نفسه ويعقـد
مخالبـــه ٠

(٣)

عاليا هنا، لا تستنزف الشمس زيت عيوننا ولو لبرهة واحدة
عاليا هنا ، تحمل الشمس عنا نصف ثقل الصخرة
التى كنا ترفعها دائما على ظهورنا ٠
قرميد السقف ينكسر بلا نفس تحت ركبة القمر
والناس يسيرون أمام ظلالهم كالدلافين أمام قارب «سكياثوس»
وظلهم يصبح ــ بعدئذ ــ نسرا يصبغ جناحيه فى الغروب
لنجثم ــ بعدئذ ــ على طرفيه ويتأمل النجوم
حينما تستلقى على الحجرة الشمسية وسط الأعناب السوداء٠

عاليا هنا لكل باب اسم محفور عليـــه ،
اسم عمره حوالى ثلاثة آلاف عـــام
كل صخرة مرسوم عليها قديس بعينين وحشـيتين وشـعر
يشبه الحبـــال
كل رجل له حورية موشومة على ذراعه الأيسر ، غرزة غرزة
كل فتاة لها قبضة من ضوء ملحى تحت جونلتها
وللأطفال خمسة أو ستة صلبان صغيرة موجعة على قلوبهم
كآثــار النوارس على رمل الأصيـــل ٠

لا ضرورة لأن تتذكروا ٠ فنحن نعرف ٠
كل الآثــار تفضى الى طوابق الدراس العليــا ٠
والهواء ــ عاليا هناك ــ قارص ٠

عندما يبلى الرسم الجصى المينوى للغروب فى البعيد
وتذوي النار في مخازن التبن على الشاطىء

تتسلق النسوة العجائز هذا البعيد على درجات منحوتة فى الصخر
يجلسن على الصخرة العظيمة ويغزلن البحر كخيط بعيونهن
يجلسن ويحصين النجوم كأنهن يحصين ميراثهن من الفضيات
ويهبطن آخر النهار ليطعمن أحفادهن بارود « ميسولونجى »٠

نعم ، حقا ، فالمكبل له مثل هذى الأيدى الحزينة فى الأغلال
لكن حاجبه يضطرب فوق عينه المريرة كصخرة توشك دائما على الانفلات ٠
ترتفع الموجة من الأعماق فلا تبالى بالتوسلات
ومن الأعالى ، يهب الهواء منحدرا بالراتينج فى شريانه والمريمية فى رئته ٠

آه ، سيهب ذات مرة ليجرف أشجار البرتقال من الذاكرة
آه ، سيهب مرتين كى تطلق صخرة الحديد شرارة مثل كبسولة التفجير
آه ، سيهب ثلاث مرات ليدفع بغابات التنوب فى « لياكورا » الى الجنون
ويوجه ضربة بقبضته فيطيح بالطغيان
ويهز دب الليل من حلقة أنفه فيرقص لنا « التساميكو » فى المتاريس
ويعزف القمر لنا على الدف الى أن تمتلىء شرفات الجزر
بحشود الأطفال الناعسين وأمهات « سوليوت » ٠

يجىء كل صباح رسول من الوهد العظيم ،
على وجهه تشرق الشمس الجميلة
يتقدم تحت سلاحه — فى تصميم — الى « روميوسينى »
كما يتقدم العامل الى ذروته فى كنيسة ٠
آن الأوان ، يقول ٠ فلتستعدوا ٠
فكل ساعة لنا ٠

(٤)

بكبرياء الجائع زحفوا ـ أماما ـ الى الفجر ،
ونجمة تكشفت فى عيونهم الســاكنة
وعلى أكتافهم حملوا الصيف الجريـــح ٠

مر الجيش من هنا ، والرايات ملتصقة بالأجساد
والعناد مغروس فى أسنانهم مثل كمثرى برية نيئـة
برمل القمر فى أحذيتهم العسكرية
وغبار فحم الليل ملتصق بآذانهم وأنوفهم ٠
شجرة شجرة ، صخرة صخرة ، مروا خلال العالم
مروا ـ حاملين الشوك وسائد ـ خلال النوم
وبين أيديهم الظامئة جاءوا بالحياة مثل نهر ٠

مع كل خطوة كانوا يكسبون فرسخا من سماء ـ كى يتخلوا عنـــه ٠
فى مواقــع الحراسة كانوا يتحولون الى سكون الحجر مثـــل أشجار محترقـة
وعندما رقصوا فى الميدان
ارتجت أسطح البيوت وقعقعت الأوانى الزجاجية فى الرفوف٠

آه ، أية أغنية هزت ذرى الجبال ـ
وضعوا بين ركبهم طبق القمر وأكلوا
سحقوا آهـة فى أعماق قلوبهم
كما يسحقون قملة بين ظفريهم السميكين ٠

فمن سيجيء لكم الآن برغيف خبز دافيء فى الليل كى تطعموا أحلامكم ؟
من سيحرس زيز الحصاد ـ فى ظل شجرة زيتون ـ
لئلا يهوى الى الصمت

وقت أن يدهن طلاء الظهيرة جدار الأفـق المحيط
فيطمس أسماءهم الرجولية العظيمـــة ؟

هذه الأرض التي كانت تفوح بالأريج في الفجر
هذه الأرض التي كانت لنـــا ولهم ــ دمهم ــ أي عبير كانت تمنحــه ! ــ
كيف أوصدت الآن دوننا أبواب كرومنا
كيف ذوى الضوء على السطوح والأشجار
من يحتمل أن يقول أن النصف يرقد ــ الآن ــ تحت التراب،
والنصف الآخر في الأغـــلال ؟

بكل هذه الأوراق تقول الشمس لكم « صباح الخير »
بكل هذه الرايات تشرق السماء ،
غير أن هؤلاء الرجال في الأغلال وأولئك تحت التراب ٠

فلتصمتوا ــ ففي أية لحظة سوف تدق الأجراس ٠
هذه الأرض لهم ولنـــا ٠
وتحت التراب ، يمسكون بحبل الجرس
بأياديهم المعقودة ، في انتظار الساعة ،
لا ينامون ، أبدا لا يموتون في انتظار دق جرس النشور ٠
هذه الأرض أرضهم وأرضنـــا ــ
ما من أحد يستطيع أن يأخذها منـــا ٠

(٥)

في الأصيل جلسوا تحت أشجار الزيتون
ينخلون الضوء الرمادي بأصابعهم القاسـية

فكوا أحزمة الخرطوش وحسبوا كم من الغناء يمكن أن يتسع له
ممــر الليــــل
كم من المرارة فى عقــد الخبازى البريــة
كم من الشجاعة فى عيون الولد الحافى الذى كان يحمل الراية
عاليـــا ٠

فى السهل ، مكث السنونو الأخير طويــلا ،
كان يتأرجح فى الهواء مثل شريط أسود على كم الخريف ٠
لم يبق شىء آخر ٠ البيوت الخربة ـ وحدها ـ تحترق ٠
وأولئك الراقدون تحت الأحجار رحلوا عنا منذ زمان ،
قمصانهم ممزقة وقسمهم مكتوب على الباب المتهاوى ٠
ما بكى أحد ٠ لم يكن لدينــا وقت ٠ لكن الصمت سرعــان
ما اتســع
والضوء الساقط على الشاطىء كان ناعما وأنيقــا
مثل التدبير المنزلى للمرأة المقتولة ٠

ما الذى سيحدث لهم الآن عندما ينسرب المطر الى الأرض
مع الأوراق العطنة لشجر الدلب
ما الذى سيحدث عندما تجف الشمس على بطانية الغيمة
مثــل بقــة مسحوقة على سرير أحد الفلاحين
حينما يقف لقلق الثلوج محنطا على المدخنة فى المساء ؟
الأمهات العجائز ينثرن الملــح على النــار ، يهلن التراب على
شــعرهن
يقتلعن كروم « مونيمفاسيا » لئلا تسكر حبة عنب واحدة فم
عـــدو
يضعن عظام أجدادهن فى كيس مع الفضـــيات
ويهمن خارج جدران وطنهن
بحثا عن مكان يغرسن فيه جذورهن فى الليــل ٠

سيكون من الصعب علينا الآن أن نجد كلمات أقل قوة
أقل صخرية من كلمات شجرة الكرز ــ .
تلك الأيدى التى بقيت فى الحقول أو على الجبال أو تحت البحر
لا تنسى ــ
سيكون من الصعب علينا أن ننسى أيديهم
من الصعب على الأيدى التى تصلبت على الزناد أن تبحث عن
زهرة اللؤلؤيـــة
أن تقدم الشكر على الركبتين ، على كتاب ، على صَـــدر نجمة ٠
سوف يستغرق وقتا ٠ وعلينا أن نرفــع صوتنـــا ٠
الى أن يجدوا خبزهـــم وعـــدلهم ٠
مجدافان تسمرا فى الرمل ، عند الفجر ، فى العاصفة ٠
أين القـــارب ؟
محراث مغروس فى الأرض والريح تهب ٠ الأرض احترقت ٠
أين الفـــلاح ؟
شجرة الزيتون والكروم والبيت ــ رمـــاد ٠
ليـــلة قارصة فى حــذاء مزارع ٠
أوراق غار جافة فى دولاب الحائط ــ لم تلمسها النيران ٠
براد شـــاى مسود فى الموقد ــ والماء يغلى وحـــده فى البيت
المغلـــق ٠
لم يكن لديهم أى وقت للأكل ٠

على مصراع الباب شرايين الغابة ــ الدم ينساب فى الشرايين ٠
وهناك الخطوة المألوفــة ٠ من يكون ؟
الخطوة المألوفة بمسامير الحذاء ، تصعد ٠
زحف الجذر فى الصخر ٠ شخص ما قادم ٠
كلمة السر، التوقيع الموثق ٠ شقيق ٠ مساء الخير ٠
بذلك ــ اذن ــ سيجد الضوء أشجاره
والشجرة ستجد ــ ذات يوم ــ ثمرهـــا ٠
دورق الرجل الميت ما يزال به ماء وضوء ٠

مساء الخير ، يا أخي • أنت تعرف • مساء الخير •
وفي كوخها الخشبي تبيـــع السيدة العجوز « غروب » خيطا وتوابـــل •
لا أحد يشترى • فهم تحولوا الى الأرض العليا •
ومن الصعب عليهم الآن الهبوط •
بل من الصعب أن يبوحوا بارتفاعهم •

وفي طابق الدراس ، حيث تناول الشبان الشجعان عشاءهـم ذات ليـــلة ،
تبقى هناك نوى الزيتون والدم الجاف للقمر
مع المقياس الشعبى للبنادق :
فى اليوم التالى ، أكلت العصافير فتات خبز العسكر ،
ومن الكبريت الذى أشعل سجائرهـم ومن أشـجار زعرور النجوم صنع الأطفال اللعب •

والحجر الذى جلسوا عليه تحت أشجار الزيتون
فى الأصيل ، فى مواجهة البحر ،
سوف يتحول غدا الى طلاء فى الأتـــون ،
وبعد غد سنطلى بيوتنا وعتبة « سانت سافيور »
واليوم التالى ، سنبذر البذور حيث ناموا
وسوف تنبثق براعم الرمان مثل الضحكة الأولى للطفل على صـــدر الشروق •
وسنجلس ــ فيما بعد ــ على الحجر لنقرأ قلوبهم جميعا
كأننا نقرأ ــ للمرة الأولى ــ تاريخ العالم •

(٦)

هكذا ، مع الشمس فى صـدر البحر ، وهي تصـبغ الثوب المقابـل للنهار ،
فان صاعقة وعذاب العطش احتسبا ضعفين وثلاثة أضعاف
والجرح القديم احتسب من البداية
والقلب احترق في القيظ مثل بصل « ارجيف » أمام الدور .

أكثر فأكثر تشابهت أيديهم والأرض
أكثر فأكثر تماثلت عيونهم والسماء .

جرار الزيت الطينية خاوية . بعض الثفل فى القاع . والفأر الميت .
شجاعة الأم تزفت مع الجرة الطينية والصنهريـج .
ولبـان الخراب لاذع بالبـارود .

فأين ستجد الآن الزيت لقنديل « سانت باربرا »
والنعناع لتبخير أيقونة المساء الذهبيـة
كسرة الخبز لليلة المتسولة لتعزف لنا غنوة النجم على كوكبة القيثـارة .
فى حضن مرتفعـات الجزيرة ، تحولت الكمثري والبرقـوق الشوكى الى أشباح .

حرثت الأرض بطلقات المدافع والقبور .
المواقع الرئيسية المدمرة ترقعت بالسماء . لاغرفة أبدا لموتى آخرين .
لا غرفة للأحزان كى تتوقف وتجدل شعرها .
وخـلال محجر العين الخاوى ، تبصر البيوت المحترقـة البحر الرخامى فى البعيـد
والرصاصات مغروسة فى الجـدران
كسكاكين فى ضلوع القديس المربوط فى شجرة السرو .

طـوال النهار ، والموتى يشمسون أنفسـهم ، ممددين على ظهورهـم .
وعنـدما يحل المسـاء يجرجرهم الجنود على بطونهم فوق الصخور المسودة ،
فيبحثون بأنوفهم عن الهواء خارج الموت
يبحثون ـ وهم يمضغون قطعة من نعال ـ عن حذاء القمر ،
يضربون الصخور لتفرج عن قطرة ماء
لكن الجدار ـ في الجانب الآخر ـ أجوف
يسمعون من جديد قذيفة المدفعية المنطلقة تسقط في البحر
ويسمعون مرة ثانية صراخ الجرحى أمام البوابـة .
فالى أين تمضى ؟ فأخوك ينـادي عليـك .

الليل ـ في كل مكان ـ مشيد من ظلال سفن أجنبية .
الطرق مسدودة بالجدران المهدومة .

في اتجاه المرتفعات وحدها ما يزال الطريق مفتوحا .
يلعنون القوارب ويعضون ألسنتهم
ليحسوا بالألم الذى لم يتحول بعد الى عظام

على المتاريس يقف القادة المذبوحون يحرسون الحصن .
وتحت ثيابهم تبلى أجسادهم . هيه ، يا أخى ، ألم تتعب ؟
الرصاصة في قلبك تبرعمت ،
خمس زنابق نبتت تحت ابط الصخرة الجافة ،
نفسا نفسا يروى الأريج العذب الحكاية الخرافية ـ ألا تتذكر ؟
لدغة لدغة ، يحكى لك الجرح عن الحياة ،
وزهرة الكاميليا التى تبرعمت من أقذار اظفر قدميك
تحكى لك عن جمال العـالم .

تتعلق باليد • انها يدك ، ملحية رطبـــة •
والبحر يحرك • عندما تنتزع شعرة من رأس الصمت
يقطر لبن شجرة التين مرارة • أينما تكون تراك السماء •

ونجم المساء يلف روحك كسيجارة بين أصابعه
فيمكنك تدخين روحك ، وأنت تستلقى على ظهرك
مبللا يدك اليسرى فى الليل الواضح ، ذى النجوم
واذ تلصق يدك اليمنى ببندقيتك ، خطيبتك ،
تذكر أن السماء ما نسيتك أبـــدا
عندما تأخذ رسالته القديمة من جيبك الداخلى
وتقرأ ـ فيما تفتح القمر بأصابعك المحترقة ـ عن الشجاعـة
والمجـــد •
سوف تتسلق ـ فيما بعد ـ الطريق صاعدا الى نقطة مراقبـة
الجزيرة
وباستخدام نجمة ـ ككبسولة تفجير ـ تطلق قذيفة فى الهواء
فـوق الجـدران والصوارى
فوق الجبال التى انحنت كجنود جرحى
كى ترعب الأشباح وتدفعهم الى مكمن الظل ـ
ســتطلق قذيفـة مباشرة الى صــدر السماوات لتصيب درع
الزرقـــة
كأنك ستعثر فى قميصها على حلمة المرأة التى سترضع طفلك
غـــدا
كأنك ســتعثر ـ بعد مرور الأعوام ـ على مقبض بـاب بيت
أســـلافك •

(٧)

البيت ، الطريق ، الكمثرى البرية ، الدجاجات التى تنقر لحاء
الشمس فى الباحة •
تعرفهم ويعرفـــونك •

وهنا فى الأسفل وسط العليق ، بدلت حية الشجرة جلدها
الأصفر
هنا فى الأسفل جحر النمل وبرج النحل بمعاركه الكثيرة ،
وفى نفس شجرة الزيتون قوقعة زيز العام الماضى ،
وصوت زيز هذا العام
فى حقول العدس، ظلك الذى يتبعك مثل كلب صامت ، يعانى
طويلا ،
كلب وفى ـ يجلس فى الأصيل بجوار نومك الأرضى ويتشمم
الدفلى ،
وفى المساء ، يلتف على قدميك ويرقب احدى النجوم •

هناك ، صمت الكمثرى التى تنمو على سيقان الصيف
نعاس الماء وهو يتسكع حول جذور شجرة الخروب ـ
نبع له ثلاثة أيتام على مريلته
ونسر يموت فى عينيه
وعاليا هناك ، خلف غابة الصنوبر
تذوى كنيسة « سان جون » بالقرية
مثل قطرات العصفور البيضاء التى تجففها الشمس على ورقة
توت عريضة •
وهذا الراعى الذى التف فى جلد الغنم
له نهر جاف فى كل شعرة من جسده

له غابة بلوط فى كل ثقب من نايه
وعصاه لها نفس العقد كالمجداف الذى كان أول ما ضرب
زرقة « هيلليزبونت » •
ليس عليك أن تتذكر • فشريان شجرة الدلب له دمك •
والجزيرة زنبق وكبر
فى ذروة الظهيرة يجهر البئر الصامت
بصوت دائري من زجاج أسود وريح بيضاء

مستدير كجرار طينية قديمة ـ نفس الصوت القديم ٠

وفى كل ليلة ، يقلب القمر الموتى على ظهورهم

يفتش فى وجوههم بأصابعه الثلجية عن ابنه

ذى الجرح فى ذقنه ورموشه الحجرية

يفتش جيوبهم ٠ فسيجد دائما شيئا ما ٠ دائما ما تجد شيئا ما ٠

مفتاح ، خطاب ، ساعة توقفت على السابعة ٠ نملأ الساعة من جديد ٠

وتنطلق الساعات ٠

وعندما تبلى فى الغد ثيابهم ، ويبقون عرايا وسط أزرارهم العسكرية

مثل كسرات سماء وسط نجوم الصيف

مثل النهر بين شجيرات الغار ،

مثل الممر الملتوى بين أشجار الليمون فى أوائل الربيع ،

آنئذ ، قد نعثر على أسمائهم ونهتف : اننا نحب ٠

آنئذ ٠ ٠ لكن من جديد ، قد تبدو هذه الأشياء بعيدة ،

لكنها مع ذلك قريبة تماما ، مثلما تشد على يد فى الظلام وتقول :

« تصبح على خير » ٠

بالشفقة المريرة للمنفى حينما يعود الى وطنه

فلا يتعرف عليه حتى أهله لأنه عرف الموت

وعرف الحياة قبل الحياة وفيما وراء الموت

ويتعرف عليهم ، ليس مرايا فى الغد ، يقول

وهو على يقين من أن الطريق الأطول هو الأقصر الى قلب الرب·
وساعة أن يقبله القمر في أسى على رقبتـــه ،
وهو ينفض رماد سيجارتـه عبر سياج الشرفة ، قد يبـكى
بسبب يقينـــه
قد يبكي بسبب يقينه فى الأشجار والنجوم والأشقاء ·

أثينا : ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧

★★★

*** عمليـــة**

كان يتجرد يومـا بعد يـوم ·
خلـع ثيابـــه أولا ،
ملابســه الداخليـة فيما بعد ،
جلـده بعـد ذلك ،
وبعـده لحمـه وعظامـه ،
الى أن تبقى ــ فى النهاية ــ ذلك الجوهر البسيط ، الدافىء ، النظيف ،
الذى يشــكله ــ خفيـا وبلا يـدين ــ
أباريـق صغيرة وقصائـد وناســا
ربما كان ــ هو نفســه ــ واحـدا منهم ·

*** منظـــور**

بيوتنـا مبنيـة أعلى بيوت أخرى ، فى صف ، من رخام ،
وأولئـك أعلى بيوت أخـرى ·
أقيمت أساساتها فوق رؤوس تماثيل منتصبة ، بلا أيد ·
لهذا ، فمهما كان انخفاض أكواخنا فى السهل ،
تحت أشجار الزيتون لتتحامى بها ،
صغيرة ، مسودة من الدخان ، وبجانب الباب ابريق وحيد ،

فانك تتخيل أنك تسكن عاليا ، وحولك يتلألأ الهواء ،
او تتخيل أحيانا أنك خارج البيوت ،
أنك بلا بيت ،
وأنك تتخذ طريقك عاريا متصلبا ،
وحيدا تحت سماء زرقاء ــ بصورة زائدة ــ أو بيضاء ،
و ــ عرضا ــ يلمس تمثال بخفة كتفك بيده ·

* ماء وطين

انحنى فوق البئر ــ دائرة من ظلام ،
ظلام بارد يتلألأ ·
وهناك ، فى المركز ، وجهه المضىء محصور ·
آنئذ رمى الدلو وسحب الماء · كان عطشانا ·
شرب · لم يكن فى الماء أحد ·
هل يمكن أن يكون ــ فى عطشه ــ قد شرب وجهه ؟
سيحتاج الآن ــ على الأقل ــ الى قناع يشبهه
(والا فكيف سيعيش وسط الكائنات الانسانية ؟)
أخذ ماء وطينا ، عجن الطين بعناية ،
لكنه لم يعد يستطيع تذكر شكل وجهه ·
نظر الى يديه ، ــ
طين يتدلى ــ أحمر لامعا ــ من أصابعه ·

* أصيل

الدجاج ما يزال ينقر فى الطريق ·
وزوجة القبطان العجوز جالسة فى الباب
تحمل حفيدها فى حجرها المفتوح ·
طفل يحمل سلة ·
البيوت العشوائية تواجه الغروب ، بجذوعها القديمه .

وأسرتها ومناضدها الحديد ــ وصورها المؤطرة ·
الملاءات تنشر تاريخها في مستطيلات عريضة ·
البحر غير مســـموع ·
ويد كبيرة خفية ترفع المقاعد شبرين فوق الأرض ·
كيف يعيش النـاس بلا شـعر ؟

* مهندس معمـــارى

مجموعــة فتيــات في ثيــاب ورديـــة
يضحكن في ركن البيت المهـدوم ·
البنـاءون يعلقون بنطلوناتهم وقمصـانهم في مسمار بالمبنى الجديـــد ،
يأخـذون لوح الملاط ، والمسطرين
ويصعدون السقالات الكبيرة ، العــارية
كأنهم يصـعدون الى الســماء ·
والمهندس يحسب ، يتذكر ، يقارن ، يراقب ،
ينظر باكتئاب ، كأن تخطيطه قد ظـل نصف مكتمـل ،
كأن المبنى الكبير لن يكتمل أبـدا ·
يأخذ مسمارا ويسمره بنفسه في اللوح ،
انثنى المسمار · ضحك العمال · ضحك أيضـــا ·
خلع قميصه وهو يشعر أن ــ في ضحكتهم الشعبية هذه ــ قد توحدت يداه وتخطيطه وبناؤهـــم ·

* بنـــاءون

أرأيت من هــم بناءون بالغريزة
وأولئـك الآخرين بحكم المهنــة
والطائفــة الثالثــة ممن يبنون للثــأر من الموت
وأولئـك ممن يبنون عن وعى وتصميم ؟

كلهم يتوقفون الآن جميعـــا ؛
يمسحون أيديهم التى تغطت بالجبس فى بنطلوناتهم ،
يمســحون عرقهم ويبــكون ٠
لا يمسحون دموعهم ٠

والآن ، يلتصق الملاط أفضل بهذه الطريقة ٠
وهو ما يحدث فيما وراء قصدهـــم
ذلك هو السبب فى أن البنائين ــ فى الليــــل ــ
يحلمون بهذا الـ « ما وراء » المجهول ، الغامض
فيبنون كل صباح الـ « هنـــا » أفضـــل ٠

* نهايــــة خطبــــة

فى اللحظة الأخيرة ، وهو ينهى خطبته وسط التصفيق ،
أضـــاف تعبيرا غامضـــا وهـــادئا :
« الرجل الذى صفقتم لـه لم يكن أنـــا ،
وكلماتى لم تكن لى ــ
انها مرايـــا صغيرة فى مواجهتكم
ترجـــع شظايـــا من وجوهكم أو توقعكم ،
وفى مواجهة كلماتى كنت أقف أيضا كضوء بعيد
ينعكس فى المرايـــا ، ويرمى أشعته الناصعة فى عيونكم
لتمنعكم من رؤيــــتى ٠
كلماتنا الحقيقية تكمن عميقـــا فى الصمت
(ولا حاجـــة بنـــا اليها ، على أية حال) ٠
وأفعالنا الحقيقية دائما ما تقصى الشهود أو تقتلهم ان استطاعت
أو تتخلص منهم مقابل ثمن باهظ
ما نمتلكه هو ــ فقط ــ ما لا يحتاج الى برهان ٠
وكل التصفيق هو شهادة تالية أو زائفة بلا وعى » ٠
فى تلك اللحظة ، انطفأت الأضواء فجأة

وبدأ الجميع يتدافعون ناحية أبواب الطوارىء ،
فلم يستطع أحد أن يرى التعبير على وجوههم أو وجهه ·
ربما فقط ، كان هناك صمت اجبارى معتم ، يرفرف حرا
فى المرايـا المعلقة بقاعـة الاسـتماع ·

✻ تحت النسـيان

الشيء المادى الوحيد الذى تركه بعده هو سترته ·
علقوها هنـاك ، فى الدولاب الكبير ·
نسيت ، وأزاحتها ثيابنـا الى الوراء ؛
ثيـاب الصيف ، ثيـاب الشـتاء ،
ثياب جديدة كل عام من أجل احتياجاتنا الجديدة ·
الى أن لفتت انتباهنـا ، ذات يوم ، ـ
ربما كان لونها الغريب ،
ربما كان أسلوب خياطتها القديـم ·
على الأزرار كانت هناك ثلاثة أماكن دائرية موحدة :
حائط الاعدام بأربعة ثقوب ، محاطة بندمنـا ·

✻ ربما كان يعرف

بعد أمراضـه المتواليـة ، تبقى هذا الوهن ،
يومىء برأسـه صـعودا وهبوطـا ،
ويهمهم بابتسامة : « حقا ، حقا ، حقا ، حقا » .
بطريقة مضحكة بالفعل ، لكنها أيضـا وديـة ·
« حقا ، حقا » ، يهز رأسـه طوال الوقت
كغصن معتم هش به ورقـة خضراء وحيدة ، ـ
والريـح تعصف به أبـدا
فى مشهد طبيعى أجـرد ورقيـق
لعرفـان بلا تبريـر ·

* نفس البرودة ؟

أيام كثيرة ، ليال كثيرة ، أعوام كثيرة ، ـ كان متعبا ٠
لم كل هذا العنـاء ؟
بعد منتصف الصيف ، كل صيف ، يسمع مجموعة من الشبان
يمرون خارج نافذته يضحكون ، يغنون ، يمزحون ٠
وهـو ؟

عندما أضـاء المصباح من جديد للمذاكرة
رأى حلزونا يصعد المحبرة ببطء ٠
لكن في الخارج أيضا ، ـ تذكر ـ بجوار البئر ،
المزهريات ، في مساءات الصيف ، في كل الحدائق المروية ،
وبجوار الزهور يتمشى سرب من الحلزون ٠

* العرافـة

شعرها فوضى ، دائمة ،
كأنه عويل على جثة ما خفيـة ،
أو على جثتها هي ٠
« نعمة العرافة » ، تقول « نعمة شريرة » ٠
والشبكة المظلمة في الحمام المعلقة أمام عينيها
تشبه شعرها ـ
ليست شبكة موت فحسب ، بل أسوأ ،
شبكة اصطياد ، شرك للحسد أو اللاجدوى ٠
والآن تقترب ـ من جديد ـ تلك الساعات الفاتنة الهشة من الربيـع ـ
كطفل يغمس قدميه في ذلك الحوض العميق ،
يلعب بالصابـون ٠٠
بأطراف أظافرها تصنع شقين في شعرها المنسدل ،
كأنها تعزف على قيثـارة ،
ثم تحدق في الثقـوب ،
تخمن عن صواب و ـ عن صواب ـ تبتسم ٠

* ليلـــة قديمـــة

هنــاك عاليا ، حــل الظلام مبكرا ٠
ليلــــة شــفافة ، مضيئـة كالنهار ٠
بســتان الزيتون المعتم ،
الشجيرات المحترقة من الشمس وسط كتل الرخام ٠
المسرح المقفر المعلق على جانب التـــل ٠
ترس كبير مرمى ووجهه فى الأقـــذار ٠
اذا ما أمطرت ، فلســوف يمتــلىء بالماء ،
وستأتى السنونوات الى هنـــاك لتشرب ،
مع الدب والأســد والثور و « كريســوثيميس » ،
وكلاب حارس الغابــة الثلاثـــة ، والقمر ٠

* صورة جانبيــة يونانيــة

بحر معتم ، يتنفس سرا فى الليــــل ٠
قوارب الصيد الفارغــة راسية على الشـــاطىء ـ
والسر العميق فى أجسادها المبلولة ما يزال غير منطوق ٠
أشعل شخص ما كبريتـــا ، ثم ســيجارة ٠
هذه الصورة الجانبية لعشرين عاما من العمر على القــارب ـ
نعرفها منذ ثلاثة آلاف عام (الشعر منسدل هكذا تماما) ٠
وراء الأشرعــة المعتمة ، اندفـــع شهاب كالبرق ،
وهو يكشف شلال شـــعر لفتـــاة منحوتة فى الخشب ٠

* ضـــوء غامض

غربت الشمس منـــذ ســـاعات ٠
فمن أين يأتى ـ اذن ـ هذا الضوء الكبريتى ،
فيــدفن السهل فى أقدام هذه الجبال العموديــة ، كما لو فى
السـديم ؟

قلامة ظفر القمر القرنفليـة تغوص في الغرب ٠

ويمكنك ـ بالكاد ـ أن تسـتكمل النوافذ الأربعمائة وثلاث للمدابـغ القديمـة ،

وحتى جلود حيوانـات الأضـحيات ، المنشورة على الأسـلاك الشـائكة ـ

وفي أقصى الطرف الأسـفل ذلك الصوف الذهبي ،

الذي يلتمع بجوار مقبض البـاب الحديـدي ٠

★★★

أوريست

(شابـان ، كلاهما فى حوالى العشرين من العمر ، توقفا أمام الأروقة. بديا كأنهما يحاولان تذكر شيء ما، واستعادة التعرف عليه ، لكن ما استثارهما أن كل شيء كان مألوفا بصورة لا تصدق ، برغم أنه أصغر الى حد ما ـ بكثير ـ مما تخيـلاه فى المكان ، كمكان وزمـان مختلفين تماما : الجدران ، هذه الجلاميـد الهائـلة ، بوابة الأسد، والقصر فى ظل الجبل... حل الصيف. كان الظلام يهبط. رحلت العربات الخاصة والأتوبيسات السياحية الكبيرة ، وأطلقت الساحة المسترخية زفيرها فى السكون ، زفيرا عميقا ينطلق من مقابر ذكريـات ما قبل التاريخ . قصاصة جريدة ترتعش على العشب المحترق ، وقد لمستها هبة واهيـة من ريـح . وكان للمرء أن يسمع وقع خطى الحارس الليـلى ، وصوت مفتاحه الثقيل فى الباب الداخلى للقصر . آنئذ ، بدأت الجداجد تقرع طبولها النحيلة ، كما لو ان ندى الليل الدافىء قد أطلق سراحها . ضوء غـامض زحف خلف الجبل ـ ربما القمر . فى هذه اللحظة ـ بالتحديد ـ انفجرت صرخات حادة عند الدرج الرخامى ـ عويـل امرأة أليم ، بلا تفسير . وقف الرجلان دون أن ينظر أحدهما الى الآخر ، منـدمجين ـ كظلين كبيرين ـ فى الجدار الوطىء . ثم أخرج أحدهما وشـاحا ومسـح جبهته، وأشار ـ فى ارهاق ـ باصبعه ناحية الصخب.

وبدأ في الحديث الى رفيقه ، والذى سيظل صامتة
منتبها بصورة فاتنة ، كما « بيلاديس ») ٠

أنصت ٠٠٠ انها لم تكف حتى الآن ، لم تستنفد نفسها ٠
ذلك لا يحتمل فى ليلة يونانية نموذجية ، دافئة ، ساكنة ،
منعزلة ولا مباليـة ،
وان منحتنا هذا العـزاء الفريـد :
أن نكون فيها ، أن نراها من داخلها ،
و ــ فى نفس الوقت ــ عن مسافة منها ،
أن نشهدهـا عارية حتى أوهى اختلاجة لجداجدها ،
وأقل رعشـة لجلدهـا المظلم ٠

مثل هذا الاسـتقلال ،
هل نجرؤ ــ نحن أنفسنا ــ على الحلم به ؟
بفرحته الفاتنة باللامبالاة ، والصبر ،
فيما وراء العالم ، فى العالم ، وفى أنفسنا :
وحيـدا ، متحدا ، متحررا ،
فيما وراء هذه التنافسات ، والمقارنات ، والتعسفات ،
فيما وراء معيار الآخرين فى الآمال والرغبـات ٠
يكفى أن ترى رباط صنـدلك ،
حيث يفصل الاصـبع الكبير ليديره تجاهى ،
وتجاه مكان يجاوز زهور الدفلى ، سرى ، ولى وحدى ،
فيما تتساقط أوراق الليل الفضية مرتعشة على كتفيك
ومسيل النبـع يمر ــ واهيـا ــ تحت أظافرنـا ٠

أنصت اليها ،ــ
فصوتها يغلفها كمقبرة تطن بالنحـل ،
وهى ــ نفسها ــ تتدلى داخل صوتها

كلسان جرس يقرع ويقرع جدران الجرس ،
لكن لا من أجـل جنـازة أو حفـل ــ
فليس هناك سوى هذه الصحراء الصخرية الطاهرة ،
و ــ في الأســفل ــ صمت الصحراء المستكين ،
الذى يحول غضبها الطائش الى ســكينة ،
وكل ما حولها كطائرات ورقية بريئــة ،
نجوم بـلا حصر تتحرك مع الحفيف الورقى الأبـدى لذيولها
الهائلـة ٠

فلنمض الى خارج مدى السمع ــ الى التل الخلفى
لكن ليس الى مقـابر الأسـلاف ٠
فلن أقدم ــ الليـلة ــ أيـة قرابين ،
لن أجز شـيئا من هذا الشـعر
حيث كثيرا ما هامت يـدك ٠٠٠
ومع ذلك ، فهى ليـلة فاتنــة ،
تبـدو كأنها جزء منـا
وقد انفلتت وانجرفت بعيـــدا ،
ننصت اليها وهى تتحول الى نهر أسود يسعى الى البحر ،
مزبدا ــ بين حين وآخر ــ تحت الأغصان ،
تحت البريـق الخشن للنجوم ،
فى صيف ظالم محروق مجدب من الرحمــة ــ
نهر مفعم بالانقطاعات القصيرة ، الغامضــة ،
والقفزات غير المتوقعة (ربما كان أحدهم يرميه بحجر) :
الخرير المرح والنوافذ عبر الكروم تومض ٠
أمر غريـب ،
فطوال حياتى كانوا يؤهلوننى لذلك ،
والآن ، وأنا أقف هنـا أمام البوابـة ،
أحس بعدم التـأهيل تمامـا ٠
فالأسـدان الرخاميـان ــ هل تراهما ؟

كم أصبحا أليفين ! ـ
رغم أنهما كانا يبدوان غاية فى الشراسة عندما كنا صغارا ،
وحشيين ، وعرفاهما ينتصبان لقفزة مستحيلة ...
ها هما الآن ينتهيان على مؤخرتيهما فى قناعة
على الزاويتين العلويتين للمدخل ،
فراؤهما بلا حياة ، وعيونهما جوفاء
ـ لا شيء يخيف فيها ـ
ولهما نظرة الكلاب المكدودة ،
لكن ـ حتى ـ دون أن تكون تعيسة :
وفية ، عمياء ، بلا أثر لضغينة ،
فقط ، بين الحين والحين
يمدون ألسنتهم ليلعقوا النعل الفاتر لليل .

حقا ، غير مؤهل .
لا أستطيع ذلك .
لا شيء داخلى مع هذا المشهد ،
مع الزمن ، مع هذه الأشياء والأحداث .
ليس ذلك لأننى جبان ، ـ
غير مؤهل عند بدء الفعل ،
غريب بكاملى عند غاية رتب لها الآخرون .
فكيف حدث أن نجحوا ـ شيئا فشيئا ـ فى تحديد مصيرنا ،
فى فرضه علينا ،
وفى أن نقبل ـ نحن أنفسنا ـ به ؟
كيف حدث أن نجحوا فى نسج حياتنا كلها
من أجمل الخيوط للحظات ماضية معدودة ؟ ـ
رداء خشن ، كالح يلفنا مثل كفن من الرأس الى القدم ،
ليخفى وجهنا كله ، بل وأيدينا
التى أقحموا فيها سيفا لم نره من قبل أبدا ،

وبريقه القاسي يكشف مشهداً لا ينتمي الينـا -
متأكد أنـا من ذلك : لا ينتمي الينـا ·

وكيف حدث أن قبل مصيرنا الحقيقي - أيضا - بذلك ،
متراجعـا وهو ينظر شزرا الينـا
والى مصيرنا المغاير مثـل غريب :
أصـم ، صـامت ، مسـتغن ، نسـاء ،
دون - حتى - سيماء المهابة أو الرزانـة ،
دون ليـاقة أن يتوارى ، أن يموت ،
ويتركنا فريسة لهذا المصير الزائف
(مصير واحد فحسب : غير متضارب أو ممزق) ·
انظر اليـه وهو يسـتلقي هنـاك ،
ناعسـا فيما يبـدو ،
واحدى عينيه مغمضة ، لكن الأخرى مفتوحة قوية ،
ونحن نعرف (كما يشتهي نكون) أنه ما يزال يراقبنـا ،
ويمكنه أن يرى اختـلاجنا الأبـدى ،
دونما ادانـة ولا غفران ·

هناك - فيما يبدو - قوتـان متعارضـتان
تتوافقان مع قدمينـا ،
كل واحدة تشد قدما الى أبعد ما تستطيع عن الأخرى
توسع خطوتنـا الى حـد تمزيق الأوصـال ،
ويصـبح الرأس نوعـا من الرابـط
الذي يحفظ هذا الجسد الممزق في كتلـة واحدة ·
بينما خلقت الساقـان - فيما أعتقـد -
لتتحرك كل واحـدة بالتبـادل ،
والاثنتان في خطوة واحدة ، في اتجاه واحـد ،
هبوطا الى السهل بكرومه المعنقـدة ،

فى اتجاه الأفـق الذى يتوهج على البعـد ،
فيولـد الجسـد بكرا ٠
أم أن الحقيقة أننـا خلقنـا
من أجـل تلك الخطوة الأخـرى ـ
تلك الخطوات الكبرى ، الساحقـة
فوق الهاويـة المجهولـة ،
فوق القبوز ، فوق قبرنـا ؟
لا أعـرف ٠

ومع ذلك ، فتحت الجذور الراقدة العديدة للفوضى والخوف
يمكننى أن أحس الامتـداد اللانهائى للصمت :
نوعـا من العدالـة ،
توازنـا مكتفيـا بذاتـه
يضمنـا فى نظام واحـد مع البـذور والنجوم ٠
فهل لاحظت ذلك ؟

ففى طريقنـا الى هنـا ، فيما بعد الظهيرة ،
كان ظـل غيمـة يمتـد عبر السهل ،
فيغطى حقول القمـح ، وأحراش الزيتون والكروم ،
والخيول ، والطيور ، والأوراق ـ
كمشهد بعيـد فى السـماء
مطبوع بخفـة فى الأسـفل هنـا على الأرض ٠
والمزارع يسير على طول حافـة السهل
فيبـدو كأنـه يحمل ـ تحت ذراعـه الأيسر ـ
ظـل الغيمة الكامـل كمعطف هائـل ـ
مهيب ، وان يكن بسيطا كثوبه المصنوع من جلد الغنم ٠

هكذا تصـبح الارض حميمـة للسـماء ،
متخذة لمحـة من زرقتها ، من غموضها ،

والسماء ـ بالمقابل ـ تتخذ شـيئا من الأرض ،
شيئا ما دافئـا وأسمر مصفرا ،
شـيئا ما من أوراقها ،
من جذورهـا وصريرهـا الأرضى ،
وشيئا ما من العيون الصبورة للبقر ـ هـل تذكرهـا ؟
ومن السـاقين الثـابتتين لذلك المزارع
وهو يختفى من البصر ٠

لكن أختى تحاول الابقـاء عليـه ٠
أنصت اليها ٠
كيف يمكنها ألا تسـمع صوتها ؟
كيف يمكنها الابقـاء على نفسها محبوسـة
فى لحظـة سـاكنة من زمن غـابر ،
من مشــاعر غــابرة ؟
كيف ، وبـأى شيء ، يمكن احيــاء
هذا الهوى الحقود ، وصوت الهوى ،
عندما تكذبها كل الأصـداء ، بل وتسخر منها ؟
ـ أصداء من الأروقـة ، من الأعمـدة ،
من الأثـاث ، من الدرج ،

من جرار حفظ رماد الموتى بالحديقة ، والقنـاة ،
من كهوف زارا ، من الحظائر بالوادى ،
من الحراس القائمين على التــلال ،
من الثنيات الموجودة على تماثيـل الالهات فى السـاحة ،
من القضبان الرخامية الضخمة لرماة القرص والعدائين ٠

حتى الزهريات داخل المنزل تبدو كأنها تعارض صرخاتها
مع ايماءة الموافقـة من بضـع زهرات رقيقـة

رتبتها ـ بـذوق ـ يـد الأم ،
هنـاك على الخزانـة المنحوتـة ،
فى واجهة المرآة الموروثـــة ،
فى وهــج (مزدوج من الانعكاس)
يبــدو كما لو من خلال ماء ـ أتذكره منـذ الطفولـة ؟ ـ
ذلك ـ على الأقـل ـ ما احتفظ به عقلى صافيــا :
وهــج مائى ، بـاهت ، حيـــادى ـ
غموض فيما وراء الزمن والخطيئة :
شيء ما ناعـــم ، وأثـير ،
كحزن فتـــاة صغيرة ،
كزغب على الشـفة العليـا لصبى ،
كرائحـة جسـد نضر من الحمام ،
على الملاءة الدفيئـة بأنفاس ليلـة صيف مترعـة بالنجوم ٠

لكنها لا تعى شـيئا من ذلك ،
ولا حتى الأصـداء التى تسخر من صوتها المتنافر ٠
انـنى خائـف ٠
لا يمكننى الاستجابـة لنـداءاتها ـ
الفـادحـة والمبتذلـة فى نفس الوقت ـ
لكلامها المفحـم هذا ، البـالى
الذى يبـدو خارجـا الى النـور
من صناديق كتانية تنتمى الى ما يحب العجائز أن يسمونـه
« السنين الخوالى » ،
كأعـلام مكرمشة هائلـة ،

وغضونها يتخللها النفتالين ، وخيبـة الأمـل ، والصمت ـ
كلامها العتيق الذى لا يحمل أى شك فى عمره الحقيقى .
وهو يواصل القرقعـة بعيـدا بايماءات غابـرة

فوق رؤوس السائرين المتعبين ، المتبرمين ، بلا ارتياب ،
فوق الشوارع الأسفلتية ،
التي ما تزال — برغم حجمها — متواضعة ،
بنوافذ محلاتها الأنيقة
الممتلئة ببضائع البللور وأربطة العنق ،
وملابس البحر ، والقبعات ، وكتب الجيب ،
وأمتعة السفر التي تستجيب لاحتياجات اللحظة
والاحتياج الدائم للحياة التي تقودنا ·
لكنها تمضي في اعداد الميد والمؤن للموتى ،
الذين ما عادوا يشعرون بالجوع أو العطش ،
بل وما عاد لهم أفواه ،
والذين لا يحلمون أبدا بالعودة أو الانتقام ·
انها — والى الأبد — تستحضر عصمتهم
(لكن أية عصمة ؟) ،
ربما لتتهرب من عبء الاختيار والقرار —
عندما تصبح أسنان الموتى ، النظيفة المبعثرة في التراب ،
بذورا ناصعة في واد أسود بلا مثيل ،
لتنبت أشجارا من عظام بيضاء ، لا مرئية ، معضومة ،
تومض كالفوسفور في ضوء القمر حتى نهاية الزمن ·

كيف يمكن للسانها أن يحتمل النطق بهذه الأشياء ،
بكلمات منزوعة من صناديق قديمة
(من نفس النوع الذى اعتادوا صنعه بمسامير حديدية هائلة للزينة) ،
منزوعة من بين القبعات القديمة للأم ،
ذات الطراز القديم ، التي لم تعد ترتديها :
لن يدركها الموت فيها ·
هل تراها في الحديقة هذا الأصيل ؟
انها فاتنة كما كانت ، لا أكبر حتى بيوم واحد ،

ربما لأنها تضـع الزمن نصب عينها ،
وترعـاه كل لحظـة ـ
أعنى أنها عادت شـابة من جديـد
على وعى بالشباب الذى فقـدته ،
وذلك ـ ربما ـ سبب استعادتها له ٠

وصوتها ، الآنى تماما ، اليومى تماما ، المعافى تماما ، ـ
وهى تستخدم أكبر الكلمات وأصغرها بصورة طبيعيـة ،
بأعظم المعـانى الممكنـة ـ مثلما تقول :
« هنـاك فراشة تدخـل من النافـذة » ،
أو « العـالم أروع من أن يحتمـل » ،
أو « يمكن اضافة مسحوق تبييض أكثر للبياضـات » ،
أو « لفحـة واحـدة من شـذا المساء تراوغنى »
ثم تضحـك ،
كما لو لتستبق شخصا ما تخشاه ، يوشك على الضحك ٠

وفهمها الكامل وتدليلها الرقيق لكل شخص وكل شيء ـ
هو ـ غالبـا ـ احتقـار ما ٠
كنت دائما معجبـا بها ،
بل وأخافها ، لهذا الوعى الذاتى ، لهذا الزهو الرفيـع ،
فتختلط لدى ضحكتها الخفيضة ، المتعددة الأبعـاد ،
بذلك الهسيس والشعلة الخفيضـة لعود الكبريت
وهى تشعل المصباح المعلق فى غرفـة الطعـام ـ
وستكون هنـاك ، مضـاءة من أسـفل ،
بأقوى ضوء مركز على الخطوط الناعمة لذقنها
وعلى فتحتى أنفها الرقيقتين ، المتسـعتين ،
اللتين توقفتا ـ لحظـة ـ عن التنفس وضاقتـا ،
كما لو ان ذلك سيبقيها الي جانبنـا ،

سيتمهل بها ، يبقيها ســـاكنة ،
دون أن تذوب كخيط دخان فى ريـاح المساء النشيطة ،
ودون أن تتبدد بفعل الغصون الطويلة للأشجار ،
ولا أن تضـــع فى اصبعها كشتبان احـــدى النجوم
من أجل تطريز بلا نهايـــة ٠

وكان لها أن تنفـــرد بحركتها ،
وتوقفها الدقيق في نقطـة الغياب بالذات ــ
كنت دائما ما أخشى أن تتـــلاشى ،
أو تهبط كأحــــد الآلهة ،
حينما تنحنى لتربط الصـــندل
الذى يترك أظافر قدميها الملونـة مكشوفـة ،
كنبات « بخور مريـم » النحيـــل ،
أو عندما تعـــد شـــعرها أمام المرآة الضخمـة
بتلك الطريقـة اللافتـة فى تحريك يدهـــا ،
الفتيـــة الرشـــيقة ،
بدت كأنها تشبك ثلاث نجمات أو أربع فى جبين العالم ،
أو تدفـــع زهرتى ربيـــع الى قبلة بجوار النبـــع ،
أو تنظر بارتيـــاب ، فى تأثـــر واضــــح
اذ يتسافد كلبـــان وســـط الشـــارع المترب
فى أصــــيل صــيفى حـــار ٠
كانت الأم ــ فى آن ــ بسيطة للغاية فى اقناع،وقوية للغاية ــ
مهيبـــة لايسبر غورهـــا ، معـــا ٠
ربما كان ذلك الشباب الأبـدى هو ما لم تســـتطع شـــقيقتى
غفرانـــه ــ
فهى نفسها قد شـــاخت فى الســـن ،
عاقلة فى تناقضاتها،معارضة ــ فى تعصب ــ للفرح والجمال ــ
زاهـــدة ، بغيضـــة في حـــذرها ،

وحيـدة ومنعزلـة ٠
حتى الأشـياء التى ترتديها ــ
عتيقـة مزمنـة ، فضفاضـة ، رثـة بائسـة ،
والحبل الذى يربطهم الى الخصر قديم متهالك ،
كشريان جاف حول بطنها (ما تزال تربطه باحكام) ،
كجبل بعض الستائر الساقطة ،
التى لم تعـد تنغلق أو تنفتـح ،
لتمنح المرء ــ فحسب ــ تلك اللمحة الجانبيـة
لمشهد طبيعى ضيـق وأجـرد ــ
عالم من صخور ناتئـة وأشـجار هائـلة بـلا أوراق
تمد أغصانها تجاه ستارة خلفية من غيوم مخططة بدينة ،
وهنـاك ، فى البعيد ، الحضور الخفى لخروف ضائع ،
كلطخة باهتـة للحياة ، نتفـة من رقـة لاتبين ،
وأختى نفسها جلمود منتصب،موصدة فى صدفتها القاسية ــ
لا تحتمـل ٠

أنصـت اليها ،
فهى ــ عمومـا ــ تـافهة ٠
دائمـة المراقبـة للأم ،
تنفجر فى الغضب حينما تضـع وردة فى صدرها أو شعرها ،
أو حين تمر خلال الردهة بهذا الكمال الايقاعى فى خطوهـا ،
أو حين تميل برأسها قليـلا الى جانب فى تسليم ،
وقرطاها الطويلان يقطران نغما فاتنـا على كتفيها ،
نغما هى وحـدها التى يمكن أن تسـمعه ــ
انـه هبتها الالهيـة ٠
وهو ما يترك الأخرى مسـتشيطة ٠

وهى تغذى غضبها بحـدة صوتها ـ
(بذلك الذى ذهب أيضا ، ما الذى استبقته ؟) ـ
أشك أنها خائفة من الفعل ذاته الذى تصرخ من أجله ،
خائفـة ـ حقـــا ـ من أن يتركها بـلا شىء ٠
فهى لم تسمع أبـدا الحفيف السرى لعشب المســاء
وأحـد الكائنـات الخفيـة الرشـيقة
يزحف الى ما وراء النوافـذ فى الغسق ،
ما رأت أبدا سلم الحبال المعلق بلا سبب من أعلى ،
على جــدار قاحـل ، فى احـدى العطلات ٠
ولم تلحظ هذا الافتقار الى سبب ٠
ولم تر الريشـة على أذن من ذرة
وهى تنظف قـدم غيمـة نحيـلة ،
أو شكل ابريـق ، مرسوم قبالة النجوم ،
أو المنجل الذى سقط بجانب النبـع ، فى أوج النهار ،
أو حتى الظل الذى يرميه نول فى غرفـة مغلقة ،
وهـم يرشون الكروم بالكبريت ،
وصيحات الحصادين تطفو من السهل ،

بينما العصفور ، وحيدا تماما فى العالـم والسـاحة ،
يشاكس الذبـاب ، والبـذور ، والفتـات القليـل ،
ويحاول اكتشـاف حريتـــه ٠
لم تر أى شىء ٠

بليـدة ، مسـجونة فى عماهـا ٠
كيف يمكن لها ـ مهما كان ـ أن تعيش حياتها منفردة
فى تضـاد مع حياة شخص آخـر ـ
بـدون مكان حقيـقى لها ـ
بدافــع كراهيتها لحياة شخص آخر
لا بدافـع حبها لحياتها ؟

ماذا يريـــدون ؟
ما الذى يريـــدونه منى ؟
الانتقـــام، يصرخـــون .
الانتقـــام !
اذن ، فعليهم أن يتلقوه ضـــدهم ،
طالما أن الانتقـام هو ما يبقيهم أحيـاء .

لا أستطيع أن أسمع المزيـد . كفى .
فما من أحد يمتلك الحق فى التحكم فى عينى ، وفمى ، ويدى ،
وقدمى اللتين تختاران الأرض التى أمشى عليها .
خـــذ بيـــدى .
ولنمــض .

ليالى صيف طويلة ، كاملـة لنـا وحدنـا ،
مزيج من نجوم ، كؤوس نبيـذ مهشمة ، آبـاط عرقانـة ،
حشرة تئز فى رقـة فى طبلة أذن الصمت ،
سحالى تتـدفأ عنـد أقـدام شـبان من رخـام ،
يرقانات على دكك الحديقة ، أو فى دكان الحدادة المغلق
تمشى فوق الســندان العمـلاق ،
تاركة خلفها على الحديـد الأسود
آثـارها البيضاء من الســائل المنوى واللعـاب

علينــا ألا نعود الى ميســيناى .
فالأرض هنـا تمور بصـدأ البرونز والدم الأسود .
و « أتيـكا » أقـل ظلمـا بكثير .
اننى أحس أن هذه الساعة هى ساعة نكرانى الزاهـد الأخير :
فلن أكون أحد شؤونهم ، خادمهم ، أداتهم .
ولا حتى الحاكم عليهم .

انـه أوان البـدء في أن أعيش حياتى الخاصـة •
ولا مكان فيها للانتقـام •
فلماذا نسـتبقى موتـا آخر ، موتـا قاسـيا ،
مستمدا من الموت ذاتـه ؟
ما الذى سيضيفه الى الحيـاة ؟
ذلك كله قديـم غابـر •
ذهبت الكراهيـة •
فهل نسيت ببسـاطة نفسى الممزقـة ؟
لا أدرى •
بل اننى أحس بتعاطف مع القاتلـة –
فقـد حـدقت في قلب جحيـم عظيـم ،
وعى هائـل فتـح عينيها عن آخرهما فى الظـلام ، لترى –
ترى ما لا ينفـد ، مالا ينـال ، ما لا يتغير :
تـرانى •

وأنا – أيضا – أريد رؤية مقتـل أبى فى الضوء المعزى للموت المجـرد ،
وأن أضيعه فى توحد الميتات التى تنتظرنا جميعا •
لقد عرفت الليـلة براءة كل غاصب •
ونحن جميعـا غاصـبون لشىء ما :
بعض النـاس ، بعض العـروش ،

الحب من الآخريـن ، أو حتى الموت •
وأختى قد اغتصـبت حيـاتى الوحيـدة ،
وأنـا اغتصبت حيـاتك •

صديـقى ،
لقد شاركتنى – فى صبر – هذه الشئون الغريبة ، التافهة •

لكن يـــدى هى يـــدك ـ
خذهـا ، اغتصـبها (نعـم ، حتى أنت) ٠
فهى لك ، ولى أيضـــا ٠
امسـك بها ، ضمها اليـــك ٠
أعرف أنك تريدهـا متحررة من الذكريـات ،
من الجراح القديمة ، وآثـــام الأســـلاف ـ
متحررة بشـــكل حقيقى ٠
أنـــا ـ أيضـــا ـ أحلـم بذلك ،
فآنئـذ ـ فحسب ـ ســتكون بأكملها ملكى ،
ملكى ـ آنئـذ ـ لأمنحها لآخر ٠
اغفرلى هذه العزلـة والانقسام الداخـلى ـ
فأنت تراه بوضــوح ـ والذى يتركنى ممزقـــا ٠٠٠
يـــا لها من ليـــلة فاتنـــة ٠

أريج حاد لزهور الكبر ، والأورجانو ، والزعتر ـ
أم انـه منقـــار الكركى ؟
اننى أخلط بين الروائـح المختلفـة ٠
فأحيانا ما يفوح الدم برائحـة تشـبه ميـاه المحيط المالحة ،
ورائحة السائـل المنوى تشبه الغابة ـ تحول واع ربما ـ
فذلك ـ بالتحديد ـ ما أبحث عنـــه الليـلة ٠
هل تذكر ما أخبرنا به الجندى ذات ليـلة فى أثينـــا ؟
كيف أنه أخفى نفسه ذات مرة فى الأكمـة المظلمة

على شاطىء دمرته الأنـات ، وحديد المعركة المصلصـل ،
وهو يرقب الظـل المتأرجح الذى يرميـه ضوء القمر
لعضوه شـبه المنتصب تجاه فخـذه ـ
محـاولا أن يثبت وجـوده ،
ويختبر قوة ارادته على جسـده ،

على أمـل الانتقال من السهل المفعم بالموت ،
على أمـل حريـة يؤمن ـ جزئيـا ـ بها ٠

فلنمض بعيـدا في الأسـفل ٠
لا يمكنني الاسـتماع الى ذلك ٠
فصرخـاتها تسحق أعصـابي ، وأحـلامي ،
والطريقة التي ارتطمت بها مجاذيفنا بالأجساد الطافيـة
التي كنا نلمحها بين حين وآخر على ضوء مشاعل السفينة ،
وشهب أغسطس التي تومض بالشباب والشهوة ،
أبـدية أبعد من الظن
في هذا الموت المنسـاب الذي خمم ظهورهـم وكواحلهم ،
وأفخاذهـم ٠

يجيء تحول الفصول في صمت تـام
ودائما ما يتزايـد الظـلام ٠
مقعد خيزران يقف منسيا تحت الأشـجار
في الرطوبة الشفيفة والبخار الصاعدين من التربـة ٠
انـه ليس الأسى ٠
ولا هو ـ حتى ـ الأمـل ٠
لاشـيء ٠
حركة تمتـد بـلا حركة الى الأمس والغـد ٠
سلحفاة في العشب تبـدو كحجـر ٠
سرعـان ما سـتتحرك ٠
انقياد بـلا توقـع ، مشاركة سرية في جريمة ، في سعادة ٠

ما يزال في بسمتك أثر واه من خواء ـ
أهو بسبب ما أحكيـه لك ،
أم بسبب ما سأحكيـه وان كنت لا تعرفـه ،

ما لم تكتشفه فى ايقـاع كلماتى
التى تواصـل الركض بعيدا الى الأمام من أفكاري ،
فتكشف ايقـاعى ، وذاتى ؟
مثلما ذات مرة ،
وأنا أتفرج على العدائين يأتون متناثرين الى خط النهاية ،
وقد تحمموا بالعـرق ،
حين لاحظت أحدهـم وقد ربط قطعة خيط صغيرة الى كاحله
بـلا سـبب ،
ببســاطة عن نـزوة ·
ذلك كل شيء ·

انها تبحث عن بطولة ، عن تضـحية ·
سـنوات عديـدة ، وما الذى تغير ؟
أم أننـا من أجـل ذلك قد أتينـــا ـ
من أجل هذه النبوءات الصغيرة بالمعجزة الكبرى
التى لا تعرف كبرى ولا صغرى ـ لا قتـل ولا خطيئـة ؟

كل شيء هو حب شـبقى ـ
سحر وفتنة ، كما اعتادت أمى أن تقول ـ
حينما تمس أوراق المساء العريضة ، الشهوانية جباهنـا فى
هـــدوء ،
والثمرة الساقطة تصـبح رســالة راسخة لا تصـل أحدا
كالدائـرة ، والمثلث ، والمعـين ·
ويرى عقلى منشارا قديما يصـدأ فى مخزن أخشاب مهجور ،
والأرقام على البيوت تزحف الى الأفق ـ ٣ ، ٧ ، ٩ ، ··· عدد
بـلا حصر ··
لكن انصـت ·
لقـد توقفت ·

سكون عميق ـ سكون فوق التصـنديق ·
لا بد أن ألف حصان أسود يتحركون في غموض أعلى المنحدر
الى « تريتوس » ،
كنهر من ذهب يفيض في الجانب البعيد تجاه السهل ،
تجاه ينابيعه الجافـة ـ وتكناتـه الخاويـة ،
تجاه الحظائر حيث ما يزال يرسـل الدخـان
مع الدفء الأبدى لحيوانات وكلاب غائبة وذيولها بين أرجلها
تختفي كبقع حبر في أعماق الليـل الوامضـة ·

أخـيرا ، رحلت ·
هذا الصمت عجيب ـ انعتاق ·
انظر كيف تخلف ظـلال الحشرات الهاربـة
آثارا دقيقة من رطوبة على الجدار ،
أجراسـا دقيقة سترن بعد دقائـق قليلـة ·
وذلك الوهـج الأرجواني في البعيد ، كشيء مريب :
القمر شعلة نار صغيرة ، وحيدة بعيدا وراء الأشـجار ،
والمداخن ودوارات الريـاح بالبيوت
التي تلتهم القراص الكبير والجرائد القديمة ،
لتخلف وراءهـا قبـولها ـ
بحياة بـلا أمـل ، بـلا انتظار ،
بعبث قابـل للاثبـات :
تمجيد قريب يمتد الى البرارى التى لا تجفل ، الى حافة الطريق
والوميض الشبحي القـاسي لقطـة ما ·

حينما يظهر القمر ، تغوص البيوت في السهل الى أسـفل ،
وتصدر سيقان الذرة صريرا مع الصقيع ، أو قانون التكاثر ،

وتلتمع جذور الأشجار المطلية بالأبيض كالأعمدة ،
المحصودة في حرب صامتة ،
وتعلق الشارات فوق الدكاكين الصغيرة المغلقة ،
كنبوءات شهدنا تحققها ·

لا بد أن المزارعين كلهم ـ الآن ـ نائمون ،
وأياديهم الضخمة مستقرة على بطونهم ،
والطيور ـ بمخالبها الصغيرة ـ تقبض ، في ارتخاء ، على
غصن في نومها ،
كأن الاستمرار لا يحتاج الى مجهود ،
كأن المجهود لا شيء أبدا ،
كأن شيئا لم يحدث ،
ولا شيء على وشك الحدوث ـ
هكذا بخفة بالغة ، تبدو السماء كما لو دخلت أجنحتها ،
كما لو ان شخصا ما يسير في ممر طويل بمصباح في يده
وكل نوافذه مفتوحة على آخرها ،
بينما في الخارج ، في الساحة، ترعى الماشية في سلام كامل،
كما لو خارج الزمن ·

أحب هذا الصمت الشافي ·
في شرفة قريبة ، امرأة تمشط شعرها الطويل ،
تفرده بجانبها ، ومخاوفها الداخلية تتنهد في ضوء القمر ·
يصبح العالم سائلا ، زلقا ، مرحا ·
الأباريق الكبيرة في الحمامات تصب الماء فوق أكتاف وصدور
الفتيات ،
والصابونة الصغيرة المعطرة تنزلق على القرميد ،
تنبثق الفقاعات خلال أصوات الماء والضحك ،
تنزلق امرأة وتهوى ،

وينزلــق القمر من ضــوء الســماء ،
يصــبح كل شيء زلقــا بالصــابون ،
ولا يمكنك أن تمسك به ، ولا ــ حتى ــ بنفسك :
هذا الانزلاق والسقوط العاجز هو الايقــاع المتوالد للحياة :
تضحك النساء وتسقطن بيضاوات كأبراج من رغوة، بلا وزن
فوق الأحراج الصغيرة لأفخاذهن ٠
هــل تشــبه الســعادة ذلك ؟

ان بقاءنــا هــنا هذه الليــلة يضعنى فى موقف بين بين ٠
وبالكاد يمكننى التمييز :
هناك ــ ربما ــ أقنعة كبيرة مهشمة ، وزخارف من حديــد
وصــندل الميت يتوه فى الرطوبــة ،
يتحرك من تلقاء نفسه كأنه يمشى بلا أقدام لا تمشى :
والشبكة الكبيرة فى حوض الاستحمام ــ من الذى نسجها ؟ ــ
عقــدة عقــدة ، سوداء ، لن تحل ــ لم تكن أمى ٠

ظــل بلا حــدود ينتشر فوق القنــاطر ٠
حجر يتقلقل ويهوى أســفل واجهة الجرف ــ
لكن لا أحــد كان يســير هــناك :
ثــم لا شئ ٠
ومن جديد ، غصن ينكسر تحت أوهى ثقــل للســماء ،
وضفادع صغيرة تقفز بــلا صوت فى رشاقة خــلال العشب
الميلــول ٠

ســكون ٠
فــأر رمادى يســقط فى الآبــار ويغرق ،
وسط الأشكال البطيئة ، المتخثرة لدائرة البروج ،

هناك يرمون ببقايـا المآدب من الأباريـق والكراسى وأكواب
النبيـذ والمرايـا ،
وعظام الحيوانات والقيائر ، وكلمات الحكمة ٠
ولا تمتـلىء الآبـــار أبـــدا ٠

شيء ما يشبه أصابع اللهب والندى يمر ـ متعاقبا ـ خـلال
صـــدورنا ،
يرسم دوائر حول الحلمة مثلما حول ضحيـــة ،
ونحن أنفسنا منطلقون ، دائـرة فوق أخـرى ،
حول مركز غامض فوق الادراك ، لكنـه راسـخ :
لوالب لا نهائية حول صرخـة كظيمـــة ،
جـرح من سـكين ،
والسكين ، فيما أظن ، مغروسـة فى قلبنـــا ،
لتصـبح المركز ،
كالوتـد فى منتصف سـاحة الدراس ، على التـل ،
والأحصنة ، والقمح ، والفوانيس ، والبغالـة ، والحصادون
يستلقون أمام أكوام التبن ، والقمر يريح رأسه على أكتافهم ،
وهم يستمعون الى الأحصنة تصهل عند حدود النوم ،
الى الثور وهو يبول على الصفصاف والشجيرات ،
الى الخطوات الألف لـ « أم أربع وأربعين » على الصرير الخزفى،
الى الأفعى الكسولة وهى تزحف على بطنها خلال أجمة الزيتون،
الى صوت الأحجار التى ألهبتها الشمس وهى تبرد وتنكمش ٠

هناك كلمة صامتة عن الحب ، موصدة ـ أبدا ـ فى أفواهنا،
كحصاة أو مسمار ناتىء فى صندلنـــا :
لا نكلف أنفســنا عنـــاء التوقف وخلعـه ،
أن نحـل السيور ، فنتـأخر :

نحن أسرى الايقاع اللاواعى للرحلة فيما وراء الوجع الأليم
للحصاة ،
فيما وراء ما يلح على تذكيرنا بتعبنا ، وارجائنا ٠
ولربما نحس ـ حتى ـ ببعض الوهن ينخس الابتهاج
حين نتذكر أن الحصاة من شاطىء نكن له محبة خاصة ،
تمشية سارة ، مفعمة بالأفكار المضيئة والصور المنثالة ،
ونحن نستمع الى هذر التجار فى مقهى الشاطىء ،
والى أغنية البحارة ، وأغنية البحر :
أبعد ، أبعد ، مفقود ، أقرب ، غريب ، ملكنا ٠

لقد توقفت ، تلك المرأة البائسة ٠
وتلتمع جذور الأشجار المطلية بالأبيض كالأعمدة ،
كأنني أستطيع أن أسمع حقيقة كلماتها في صمتها ـ
مباحة فى غضبها ، مقهورة ،
وشعرها يسقط على كتفها فى مرارة كزهور جنائزية ـ
مكفنة فى صدقها الهزيل ٠
ربما تكون ـ الآن ـ نائمة ، ربما تحلم ببلد بلا خطيئة ،
بماشية أليفة ترعى وسط بيوت مطلية بالأبيض ،
وشذا الورود والخبز الساخن ٠

لا أعرف السبب ،
لكنني فكرت ـ فحسب ـ فى تلك البقرة
التى رأيناها هذا المساء فى السهل الأتيكى ـ هل تذكرها ؟
متحررة من النير ، وقفت تحملق فى البعيد
وريشتا البخار من منخريها تضببان أرجوان الغروب، وذهبه،
وبنفسجه ٠
صامتة ، تتحمل جراحا جديدة فى ضلوعها وظهرها ،
علامات للضرب على وجهها ،

كأنها جاءت لتعرف الطاعة والعصيان ـ
فالعناد والحقد يوجدان متوافقين ·

لقد وازنت أثقل جزء من السماء بين قرنيها ، مثل تاج ·
ثم خفضت رأسها لتشرب من الجدول ،
ولسانها المتخثر يلعق ذلك السائل الأبرد من صورته السائلة ،
كأنها بهذه الملاطفات الرحيبة ، الأمومية ، المحتومة ،
تلعق ـ في سكينة ـ جرحها الداخلي ، من الخارج ،
كأنها تلعق الجرح العميق ، الدائري ، الصامت ، للعالم ـ
فربما يرتوي عطشها ·
من يدري ، فربما لا يروي عطشنا غير دمنا ·

وحين رفعت وجهها عن الماء .
دون أن تمس شيئا ، أو تمس
مهيبة كقديس ، رفعت بين القائمتين الأماميتين الراسختين في الماء
بحيرة قرمزية ، صغيرة ، دائمة التحول ـ دما من شفتيها ـ
كخريطة للعالم تنتشر وتتلاشى تدريجيا ،
متبددة كأن الدم قد انسرب الى شريان أرضي ، خفي ،
ليتحرر أخيرا ، أبعد من الألم ؛
وكان أن عثرت هنا ـ بالتحديد ـ على سكينتها ،
كأنها عرفت أن دمنا أبدا لا يهدر ،
أن لا شيء أبدا يهدر ، لا شيء ،
أن لا شيء قد أهدر في هذا اللا شيء العظيم القاسي ، بلا عزاء ،
وغير المتكافيء في النهاية :
فادح العذوبة ، فادح العزاء ـ فادح العدم ·

فى ذلك تكمن لانهائيتنا الانسانية ٠
فلأى هدف ــ اذن ــ لهائنا ، والحاحنا ، ومجدنا ؟
بقرة مشابهة تتبعنى كظلى ــ غير مربوطة ٠
تأتى معى من تلقاء ذاتها ،
هى ظلى على الطريق حين يظهر القمر ،
ظلى فى غرفة مغلقة ٠
ولا تنسى أبدا :
فالظل ناعم ، بلا جسد ،
وظلا القرنين يمكن أن يتحولا بسهولة
الى جناحين مدببين ليرفعاك فى الطيران ــ
كأن هناك طريقة أخرى لعبور الباب ٠

ورغم أن ذلك غير هام، على نفس النحو، فاننى أتذكر عينيها :
عينين مظلمتين ، واسعتين ، بلا بصر ،
مستديرتين كتلين صغيرين من ظل أو زجاج أسود ٠
وكان هناك برج كنيسة ينعكس على الزجاج بلا وضوح ،
مع طيور « الزاغ » الجاثمة على الصليب ،
آنئذ ، صاح شخص ما ، ففرت الطيور من عيون الحيوانات ٠
كانت البقرة ــ كما أظن ــ رمز احدى الديانات القديمة ٠
لكن مثل هذه الأفكار ، وهذه التجريدات ــ
لا تعنى لدى شيئا ٠
بقرة عادية مهمتها لبن الفلاح ، والمحراث ،
مع كل حكمة عملها ، والصبر ، والفائدة ٠
ومع ذلك ، ففى نفس اللحظة الأخيرة ،
قبيل أن تبدأ الحيوانات فى العودة الى القرية ،
استدارت الى الأفق وخارت بصورة تدعو الى الرثاء
تبددت الغصون القريبة ، والعصافير والسنونو ، والأحصنة.
والأغنام ، والمزارعون ،
ليتركوها وحيدة ، وسط دائرة جرداء

انبثقت منها الكواكب اللولبية فى أعماق الفضـاء ،
الى أن تلاشت البقرة نفسها ، هبطت ...
لا ، لا ـ أظن أنها كانت هنـاك فى القطيـع ،
صامتة ، طيعة ، تشق طريقها فى الممر المعشب نحو القرية ،
والذى كان ـ فى تلك الساعة ـ يضيء مصابيحه فى ساحات
تخفيها الأشـجار .

انظر . شروق النهار .
الديك الأول يصـيح من وراء الأسـيجة .
يقظة البستانى : ربما يسـند شجرة فى الحديقة .
وهذه الأصوات المألوفة الحميمة لأدوات العمال :
المجارف والمنـاشير ، حنفية مفتوحـة فى الساحـة ، شخص
ما يغتسـل ، روائح التربـة .
ماء القهوة يغـلى فى البراد ،
نسيج ناعم من دخان فوق السطح، والأريج الدافىء للمريمية.
هكذا ، عشنا ليـلة أخرى .

تعال ، ساعدنى فى رفع هذه الجرة التى تضم رمادى المزعوم ـ
فمشهد التمييز على وشك الابتـداء .
سيعثرون فى على الرجـل الذى ينتظرونـه ،
سيعثرون على « الرجل الحق » ، حسب قوانينهم ،
ونحن وحدنا اللذان سنعرف أن هذه الجرة
تضم ـ فى الحقيقة ـ رمادى ، رفاتى الحقيقى .
ووسط احتفال الناس بالصنيع الذى قمت به ،
سيكون لنـا ـ نحن الاثنين ـ أن نبـكى على السيف اللامع ،
المجيـد ، الدامى ،
نبكى هذا الرماد ، الذى كان ـ ذات يوم ـ لهذا الرجل ،
الذى يواجـه ـ فى مكان ما ـ رجـلا آخر ،

وجلد وجهه الممزق يختفي تحت قنـاع من ذهب ــ
قناع طاهر ، كريـم ، وربما ــ حتى ــ مفيد ،
في شكله المنحوت الخشن ، كرمز أو تمثال ، كمخدر للشعب،
صورة للرعب من الطاغيـــة :
تدريب يدفـع التاريـخ الى الأمـــام ــ
مهما يكن ببطء ، وخراقـة ــ مع كل انتصار وموت متتابع ،
لا بأدوات أي وعي جديد رهيب (غير متاح للجماهير) ،
لكن من خلال بعض الأعمال الصعبة ، والايمان السهل ــ
ايمان صارم ، اجباري ، وبائس ، معقود ألف عقـدة ،
حيث يتشبث به الكثيرون بأسنان وأظافر روح الانســان ــ
ايمان جاهـــل يمكن ــ كالنملة ــ أن يجترح معجزات تحت
غطاء الليـــل ٠

وأنا ــ غير المؤمن ــ قد اخترت هذا الايمان
(طـالما أنهم لا يختارونـــني)
لكنني أفعـل ذلك عن وعي ٠
أختـار معرفـة وفعـل الموت الذي يهذب الحياة ٠
فلنمض الآن ، لا من أجـل أبي أو أختي
(لا بـد أن يجيء الوقت لأودعهم) ،
ولا من أجـل الانتقـام ، من أجـل الكراهيـــة ،
ولا ــ حتى ــ باسم العقـاب (من يعاقب من ؟) ــ
ربما ــ فحسب ــ من أجل استكمال برهـة وقت ما ــ
ذلك ــ على الأقـل ــ يظـل اختياريا ــ
ربما ــ فحسب ــ من أجل انتصار بلا معنى على خوفنا الأول
والأخـير ،
أو من أجل نوع ما من « نعـم » ، التي ستشرق غامضـة ،
بـلا فســاد ،
فيما أبعد من كل منـــا ،
على أمل أن تساعد هذه الأرض على التنفس ٠
انظر كم هي جميلة هنـاك في الشرق ٠

يمكن أن تكون رطبة قليــلا فى الصباح البــاكر فى الأرجو ـ
والجرة مثلجة تقريبـــا ، تلتمع بقطرات قليــلة من النــدى
كأن الفجر ذا الأصابع الوردية ، كما يقولون ، قد نضح عليها
دموعـــــا ،
وهو قــابض عليها بــين ركبتيــه ٠
فلنمض الآن ٠
فالساعة الموعودة قد حلت ٠
لماذا تبتسم ؟ هــل اتفقنــا الآن ؟
أكان ذلك لأنك كنت تعرف كل شيء ، دون أن تتكلم ؟
هذه الخاتمة العــادلة لصراع أكثر عدالـــة ؟

فلتسمح لشفتى أن تقبــلا ابتسامتــك هذه المرة الوحيــدة
الأخــيرة ،
الآن حيث لا يزال لدى شــفتان ٠
فلنــذهب بها ٠ فمصيرى الآن واضــــح لى ٠
هيـــا بنـــا ٠

(حينما وصلا البوابة ، تنحى الحراس كأنهم كانوا يتوقعونهما ٠ فتح حارس البوابة العجوز الباب الكبير، مطأطئـــا رأســه فى احترام كالترحيب ٠ وسرعـــان ما تصاعدت ـ من الداخل ـ آهة ثقيلة لرجل ، تلتها الصرخة المفاجئة الأليمة لامرأة ٠ ومن جديد ، سكون عظيم ، لم يكسره سوى طلقات الرصاص المتقطعة من الصــيادين فى السهل ، وزقزقــة الخضيرى والدورى الطنــان والشــحرور والقبرات غير المرئيــة ٠ طيــوز السنونو تنعطف ـ فى حــدة ـ على الجنــاح الشمالى للقصر٠ خلع الحراس ـ بلا حراك ـ قبعاتهم ، ومسحوا

الشريط الجلدى الداخلى بأكمامهم . وبعد لحظة ، انبثقت بقرة ضخمة تحت قوس بوابة الأسد ، وعيناها الكبيرتان الساكنتان الفاحمتان تحدقان عميقا فى سماء الصباح) .

بوخارست ، أثينا ، ساموس ، ميسيناى
يونيو ١٩٦٢ - يوليو ١٩٦٦

* اعــادة تعميــد

كلمات بائسة تلك التى تعمدت من جديد فى المرارة والعويل لتثمر أجنحة وتبدأ في الطيران ، كطيور تبدأ في الزقزقة ٠

أما هذه الكلمــة ، الأكثر تفردا ، الكلمة السريـة للحريـــة فانها ــ بدلا من الأجنحة ــ تنبت السيوف وتمزق الريح اربا٠

* حديث مع وردة

بخور مريم، وردة بخور مريم صغيرة داخل شق صخرى عميق أين وجدت الألوان لتزهرى ، من أين الساق لتتماوجى ؟

داخل الشق ، قطرة قطرة ، أنســج الدم الذى ظللت ألملمه منديلا ورديا ، وألملم ــ الآن ــ الشمس ٠

* الانتظــار

أصبحت الليالى طويلة طويلة بكل هذا الانتظار الذى لا ينتهى حتى أن غنوتنا مدت لها جذورا وكبرت بطول شــجرة ٠

وأولئــك المقيدون فى أغــلال من حديد وأولئك البعيدون فى المنفى
يحاولون أن يطلقوا تنهيدة مريرة ــ فتنبت ورقة حور ٠

* الشعب اليوناني

كثيرا ما يواصل اليونانيون القتال بدون سيوف أو رصاص
من أجل شعوب العالم ، وخبزهم ، وأغنيتهم ، وضوئهم ٠

تحت لسانهم يحتفظون دائما بالعويل والهتاف
واذا ما بدأوا فى الغناء عنهم ، فستتشق أغنيتهم الصخور ٠

* طقس جنائزى

الجد يقف فى ركنه ، وعشرة أحفاد فى الركن الآخر
وعلى المنضدة رغيف خبز ، مع تسع شمعات فوقه ٠

الأمهات يمزقن شعرهن ، والأطفال محتفظون بهدوئهم
ومن النافذة تنظر « الحرية » وتنوح ٠

* فجر

عظيم فى البهاء ومترع بالشمس ، الفجر الرهيف للربيع
لكن أين من له عينان لينظر اليك ، ومن هناك ليحييك ٠

فى موقد البخور جمرتان وبضع حبات بخور
وصليب أسود ، مرسوم بالسناج ، على عتبة باب وطننا ٠

* غير كاف

متواضع وبليغ لكنه يرى بضع كلمات على الأرض
يظنها ظل طائر صغير وظل الأعالى ٠

هل يعلن ذلك ، وما الفائدة ، فالسباب وحده لا يكفى ٠
آه، بلا عمل تتعلق بندقيته الحزينة فى شجرة الكمثرى البرية٠

* يـــوم أخضر

يوم أخضر ، يتلألأ فى الشمس ، منحدر جميل لتـــل منسوج
من أجراس وثغاء الماشـــية ، من آس وخشخاش ٠

الفتـــاة تنســـج أشـــياء المهر ، والشـــاب يجـــدل الســـلال
وقطعان الغنم على طول الشاطىء ترعى الملح الأبيض ٠

* طقـــس ديـــــنى

تحت أشـــــجار الحـــور سرب طيـــور وقباطنـــــة متمرديـــن
يبـــدأون معا طقســـا دينيـــا مع مايو الجديـــــد ٠

الطابـــق الأرضى للوطن تضـــيئه أوراق الأشـــجار كالشموع
ونسر كبير يقرأ ـــ من أعلى ـــ الأناجيـــــل ٠

* المـــــاء

ماء قليـــل من الصخرة ، تطهر بالصمت
وبسهر الطائـــــر ، وظـــــل الدفـــــلى ٠

يشربـــه المطاريد فى السر ويرفعون أعنـــاقهم عاليـــــا
تماما كالعصافير ، يباركون اليونان ، وطن الفقراء ٠

* نبـــــات بخـــور مريـــم

طائر صغير ، وردى اللون ، مربوط بخيـــط نحيـــــل
وبجناحيـــه الصغيرين الملتويين يرفرف تحت الشمس ٠

اذا ما نظرت اليه مرة واحدة ، فسيبدأ فى الابتســـــام
واذا ما نظرت مرتين أو ثلاثا ، فستنطلق فى الغنـــــاء ٠

*** فتيـــات نحيـــلات**

فتيات صغيرات نحيلات بامتداد الشـــاطىء يجمعن الملح
ممرورات ، محنيـــات ــ لا ينظرن الى المحيــط ٠

هناك فى الخارج ، شراع ، شراع أبيض أبيض يومىء اليهن من
الزرقـــة
وعندما لا ينظرن اليه ، ينقلب الى أسود من الأسى ٠

*** الكنيســـة البيضـــاء**

الكنيسة البيضـــاء ، على المنحدر ، التى تواجــه ــ مبــاشرة ــ
الشمس
تطلق الرصاص من خلال نافذتها الضيقة والقديمة ٠

وجـرسها المربـوط عاليـــا ، أعلى من أطول شـجرة دلب
يستعد طوال الليل ليدق احتفالا بعيد « الشعب المقدس » ٠

*** تـــذكار**

الشـــبان الشجعان سقطوا فى المعركة ، محافظين على رأســه
مرفوعـــة
لن يهال عليها الطين ، لن يمسه أبـــدا الدود ٠

الصليب فى عنقــه كجناحــين ، وما يزال يندفـــع عاليـــا
ينضـــم الى نســـور قويـــة هناك والى ملائـــكة من ذهب ٠

*** هنـــا الضـــوء**

هذه الكتل الرخامية الناصعة البياض لن يلوثها أى صدأ قبيح
ولا يمكن ليونانى أو لريــح وحشية أن تقيـــد من كاحلها ٠

هنا الضوء ، هنا البحر ــ ومضات ذهبية وزرقاء فاتحة ،
وعاليا على الصخور ينطلق الدب حرا، محطما الأغلال الحديد.

* تزايـــد

كيف للبيت أن يبــنى ، من سـيركب الأبواب فى أماكنها ،
طالما أن الأيـدى العـاملة هنـا قليلة ، والأحجار ثقيـلة ؟

فلتصمت ، فالأيدى ستزداد ــ أثناء العمل ــ عددا وقوة
ولا تنس أن الموتى أيضـا يقومون بالمساعدة طوال الليـل .

* ضمـــان

صامتـة هنا كل الطيور ، والأجراس أيضا صامتة
وصامت اليونانى المزير وجميع موتـاه حولـه .

وعلى هذا الصمت ، كما على صـخرة ، يسن أظـافره ،
وحده ، بلا مسـاعدة ، نحو حريـة مضمونة أبـــدا .

* من أجل روميوسينى لا تبكوا

لا تبكوا من أجل روميوسينى : عندما يلتف على عنقها الطوق ،
والسكين تدنو من العظم ، على حافـة الاحتضار ،

فهنا سوف تثب ، مبتدئـة من اللا شىء ، الى القوة والعنفوان
وتطعن الحيوان الوحشى بشمس كأنها حربـــة .

★★★

* معنى البساطة

أتخفى وراء الأشياء البسيطة كى تعثروا على ،
وان لم تعثروا على فستعثرون على الأشياء ،
ستلمسون ما لمسته يدى ،
وتمتزج بصمات أيدينا ٠

قمر أغسطس يتوهج فى المطبخ
مثل قدر مطلى بالقصدير
(أخذ هذ الشكل بسبب ما أقوله لك) ،
يضىء المنزل الخاوى والصمت الراكع للمنزل ـ
دائما ما يظل الصمت راكعا ٠

كل كلمة باب للقاء ،
لقاء من ليس فى الحسبان ،
ذلك حين تكون الكلمة صادقة : حينما تتمسك باللقاء ٠

* جوع

انقضى الليل بفمه الملىء بماء أخرس ٠
فى الصباح ، أشرقت الشمس مبلولة على الخطوط المتعرجة ٠

ظلال الوجه ، ظلال الصارى ، الرحلات ـ
رأيناهم واضحين ـ وجوعنا لم يشبع .

كان شخص ما يصيح وراء الجبل ،
وشخص ما آخر وراء الأشجار ، وآخر من جديد ،
ومن جديده الامتداد الأقصى للغروب ـ
أين يجب أن نجرى ، أى طريق أولا ؟
هل يمكن أن نكون الأشخاص الذين كانوا يصيحون ؟
والجبال تصبح أكبر وأكثر حدة
مثل أسنان الشخص الجائع .

* وجه

وجه صاف ، صامت ، وحيد تماما
مثل وحدة كاملة ،
مثل انتصار كامل على الوحدة .
هذا الوجه ينظر اليك بين عمودين من ماء ساكن .

وأنت لا تدرى أى الاثنين يستحثك أكثر .

* صيف

النوافذ الأربع معلقة تنظم رباعيات
عن السماء والبحر فى الغرف .
شجرة خشخاش وحيدة
ساعة فى معصم الصيف ،
تعلن الثانية عشرة ظهرا .

وهكذا تحس بشعرك تقبض عليه أصابع الشمس
لترفعك حرا فى الضوء الريح ·

* ربما ، ذات يوم

أريد أن أريك هذه الغيوم الوردية فى الليل ·
لكنك لا ترى · انه الليل ـ
فماذا يمكن للمرء أن يرى ؟

الآن ، لا اختيار عندى سوى أن أرى بعينيك ، قال ،
وبذلك ، لا أكون وحيدا ، لا تكون وحيدا ·
وفى الحقيقة ، لا شىء هناك فى الأعلى حيث أشرت ·

وحدها النجوم تزاحمت معا فى الليل ، متعبة ،
كهؤلاء العائدين ـ فى عربة نقل ـ من نزهة ،
محبطين ، جائعين ، لا يغنى منهم أحد ،
بزهور برية ذابلة فى أيديهم الغرقانة ·

لكننى أصر على الرؤية وأن أريك ، قال ،
لأنك ان لم تر أنت أيضا ، فكأننى لم أر ـ
سأصر ، على الأقل ، على ألا أرى بعينيك ـ
وربما ذات يوم ، من اتجاه مختلف ، سوف نلتقى ·

* اكتفاء ذاتى ؟

الصباح الخاص حمل الشمس على ظهره
وهو يتسلق التلال الأتيكية
كشاب يحمل أكورديونه ·

انقضت الليلـة الأخيرة بمتعتها ،
وبخوفها من متعتها •
انقضى أيضا ذلك الحزن الذى لم يأمل فى انتهائه •

أشجار الصنوبر ، والشمس ، والنوافذ ـ هنـاك •
تحت الأشـجار كرسـيان • لماذا هما اثنـان ؟
آه ، نعم ، واحد لتجلس عليه ، وواحد لتمدد رجليك •

* اتفـاق نهائى

عندما ضرب المطر زجاج النـافذة بأحد أصابعه ،
انفتحت النـافذة الى الداخـل •
أهو صوتـك ؟
صوتك تشـكل فى أذنيك •
وفى الطرف البعيد هنـاك وجـه ، وصوت مجهول ـ
فى اليوم التالى ، زحفت الشمس الى الحقول ،
مثـل نزول الفـلاحين بالمناجـل والمذارى •
وخرجت الى الطريـق تصـيح ،
دون أن تدرى علام تصـيح ،
لتتوقف برهـة وابتسامة تحت صوتك ،
مثلما تحت المظلـة القرنفليـة ، المشرقـة
لامرأة تتمشى بامتـداد سـياج حديقـة •
هناك ، أدركت ـ فجأة ـ أنه كان صوتك الحقيقى
متوافقا مع كل الأصوات غير المتشككة
التى تملأ الهواء •

* اعـادة تشـكيل

ما تسميه سـلاما أو انضباطا ، شفقة أو لامبالاة ،
ما تسـميه فما مغلقـا على أسنان مطبقـة ،

لتشير الى الصمت العذب للفم ،
وهو يخفى الأسنان المطبقة ،
هو ـ فقط ـ الاحتمال الصبور للمعدن
تحت المطرقة النافعة ،
تحت المطرقة الرهيبة ـ
هو معرفتك بأنك تنتقل من اللاشكل الى الشكل •

* فجأة

ليلة هادئة • هادئة •
وقد توقفت تنتظر •
كانت ـ تقريبا ـ آمنة •
وفجأة ، لمسة على وجهك ، مفعمة بالحيوية ،
من شخص غائب • سيأتى •
ثم صوت المصاريع وهى تنغلق بنفسها •
الآن ، تتزايد الريح •
وأبعد قليلا ، كان البحر يغرق فى صوته •

* سيرك

سيرك ليلى ، الأضواء ، الموسيقى ،
العربات الوامضة بامتداد الشارع •
عندما تنطفىء الأضواء فى المنطقة المجاورة
عندما تلقى الملاحظة الأخيرة كورقة جافة ،
تبدو واجهة السيرك
مثل طاقم ضخم من أسنان مستعارة
آنئذ ، تنام آلات النفخ النحاسية فى صناديقها ،
وتسمع الحيوانات تخور على المدينة ،
والنمر يحدق فى ظله ، فى قفصه ،
يخلع مروض الحيوانات رداءه ، ويدخن سيجارة •

وبين حين وآخر تضيء المنطقــة المجاورة
عنــدما تومض عيون الأسود خلف القضبان ٠

✻ أصيـــل

فى الأصيل سقط الجص كله، وحجارة سوداء، وأشواك جافة٠
للأصيل لون صعب صنعته خطى عجوز تعرج فى المشى ،
وجرار قديمة مدفونة في الباحة ، يغطيها التعب والتبن ٠

قتل اثنان ، قتل خمسة ، اثنا عشر ـ كثيرون كثيرون ٠
كان لكل ســاعة قتلها ٠
خلف النوافذ وقف أولئك المفقودون ،
والابريق المملوء بالماء الذى لم يشربوه ٠

وتلك النجمة التى هوت على حافة المســاء
تشبه الأذن المقطوعة التى لا تسمع الجداجد ،
لا تسمع تبريراتنا ـ لا تنزل لتسمع أغانينــا ـ
وحيـــدة ، وحيـــدة ،
وحيـدة ، معزولــة تماما ،
لا تبالى بالادانة أو البراءة ٠

✻ فهــم

الأحـد ٠ أزرار السترة تومض
مثل ضحكة متناثرة ٠ الأتوبيس رحـــل ٠
أصــوات سـعيدة ـ
غريب أن تكون قادرا على أن تسمع وتجيب ٠
تحت أشجار الصنوبر عامل يتعلم العزف بآلة نفـخ ٠
وامرأة قالت صــباح الخير لشخص ما ـ

صباح خير بسيطة وطبيعية
حتى أنك ـ أيضا ـ ستحب أن تتعلم
كيف تعزف بآلة نفخ تحت أشجار الصنوبر ·

لا قسمة أو طرح ·
كى تستطيع النظر خارج نفسك ـ دفء وسكينة ·
لا أن يكون « أنت وحدك » ، بل « أنت أيضا » ·
اضافة صغيرة ، حسبة عملية صغيرة ،
سهلة الفهم ،
الى حد أن طفلا يمكنه حلها ،
وهو يلعب بأصابعه فى الضوء ،
أو يعزف بآلة النفخ تلك للمرأة التى تسمع ·

* نسخة مصغرة

وقفت المرأة أمام المنضدة ·
تبدأ يداها الحزينتان فى تقطيع شرائح ليمون نحيلة للشاى
مثل عجلات صفراء لعربة صغيرة جدا
مصنوعة لاحدى حكايات الأطفال ·
الضابط الشاب الذى يجلس فى المواجهة
مدفون فى الكرسى القديم · لا ينظر اليها ·
يشعل سيجارته ·
يده التى تمسك الكبريت ترتعش ،
وهى ترمى بالضوء على ذقنه الرقيقة
ويد فنجان الشاى ·

أوقفت الساعة دقتها برهة ·
شىء ما تأجل ·

مرت البرهة • فات الوقت الآن •
فلنشرب شاينا • أيمكن للموت ، اذن ،
أن يأتي في عربة من هذا النوع ؟
يمر علينا ويمضي ؟
ويكون لهذه العربة وحدها أن تبقى ،
بعجلاتها الصفراء الصغيرة المصنوعة من ليمون ،
متوقفة لسنوات طويلة في شارع جانبي منطفيء ،
وبعدها غفوة صغيرة ، وضباب قليل ،
ثم لا شيء ؟

* نساء

النساء بعيدات ، بعيدات •
تفوح ملاءاتهن بـ « تصبح على خير » •
يضعن الخبز على المائدة حتى لا نشعر بأنهن غائبات ؟
ندرك ـ آنئذ ـ أنه خطأنا •
ننهض من الكرسي ونقول :
« لقد بذلت اليوم جهدا شاقا » ،
أو « دعيه ، سأضيء المصباح » •

عندما نشعل الكبريت ، تستدير ببطء
وتخرج الى المطبخ في احتشاد غير مفهوم •
ظهرها تل حزين ممرور ، مثقل بموتى كثيرين ـ
موتى العائلة ، موتاها ، وموتك •

وأنت تسمع خطواتها تفرقع
على ألواح الأرضية العتيقة ،
تسمع الأطباق تصرخ في الرف ،
ثم تسمع القطار الذي يأخذ الجنود الى الجبهة •

* اللوحـــة الثلاثيـة :

١ ـ الى أن حـل الظـــلام :

أمسـك بيدهـا فى يـده · لم يتـكلم ·
سمع بعيدا ، وربما داخله ،
البحر ، وأشجار الصنوبر ، والتـلال كانت يـدها ·
ان لم يقـل لها ذلك ، فكيف يمكن أن يمسك بيدهـا ؟

كانـا سـاكنين ، الى أن حـل الظـلام ·
وتحت الظـلام ، لم يكن هنـــاك
غير تمثال بيـدين مكسورتين ·

٢ ـ امـــرأة :

تلك الليلـــة : وهى عسيرة المنال ، لم تقبـل أحـدا ـ
وحيـدة فى خوفها من عدم وجود من يقبلها ·

بخمسة أصابع من نجوم تخفى جميلة شعر بيضـاء ،
وهى جميلـــة مثـل انكار ذاتها الفاتنـيـة ·

٣ ـ لماذا هو خطائـنـا ؟

تحت لسانك بقايا رقيقة من سمك البريـبل ،
بـذور عنب وأليـــاف خـوخ
فى ظـل رموشـك بلد دافىء ·
يمكننى أن أتمدد وأسترخى بلا سـؤال ، قال ·

ما الذى يعنيه ذلك الآن ، هذا هو البعيد أمامنـا ؟
لماذا هو خطائك ، دون شك ، أن تظل وسط الأوراق ـ

جميلا ، بسيطا ، فى الشكل الذهبى لحرارتك ؟
ولماذا هو خطئى أن أمضى قدما فى الليـــل ،
سجين حريتى ، قال ، أعاقب المعاقب ؟

* ممطـــرة

موسيقى ليلـة سـبت بائسـة
تأتى من مدرسـة الرقص المجاورة .
موسيقى بائسـة ، مثلجة ، بأحذيـة خشبيـة ـــ
فى كل مرة ينفتح البـاب غير المطلى
تنـدفـع الموسيقى خارجـة الى الشوارع ،
ترتعش تحت الضوء ـــ فى الركن ،
تحدق فى نافذة عاليـة أو فى الليـل ،
ثم تهبط بنظرتها الى الطـين ،
باحثـة عن شىء ما ، منتظرة شيئا ما ،
كأن شخصا ما مريض ، وأبطأ الطبيب فى المجىء اليـه .

موسـيقى بائسـة . برد .
لا أحـد يفتح نافذة ليقدم لك قليلا من الضوء ،
أو بعض الزبيب الأسود ،
ليقول لك : اننى أذكر ـــ منذ عشرين عاما أو ثلاثين ـــ
بعض الأصوات من عربات قديمة فى المطر ،
مشهدا طبيعيا ضبابيا مرسوما على نظارات «تيلوس أجراس».

لكن الأحذيـة طينية ومليئـة بالثقوب ،
الأزواج يهربون الى الشارع . لا يسمعون .
رجـل يتوقف بجوار الحائط .
لا . لا يسمعك .

يلصق شيئا ما بالحائط .
والسكين وحدها على المائدة فكرة ، ومضة ضوء .

موسيقى بائسة ، ان استطعت أن تتوافق
فلتتأت عبر فتحة ابط الجوار .

* نفس النجمة

الأسقف تلتمع ـ مبلولة ـ في ضوء القمر .
النساء يتدثرن بالشيلان .
يندفعن ليختبئن في منازلهن .
واذا ما ترددن قليلا على العتبة
فسيمسك بهن القمر صارخا .

ذلك الرجل يشك في أن كل مرآة
بها امرأة واضحة ، أخرى ، محبوسة في عريها ـ
تقريبا كأنك تريد أن توقظها ، لن تستيقظ .
تستغرق في النوم وهي تتشمم نجمة .

ويستلقي يقظانا وهو يتشمم نفس النجمة .

* نتيجة

هذه النافذة وحيدة .
هذه النجمة وحيدة .
كسيجارة منسية على المنضدة ـ
تدخن ، تدخن في الزرقة ، وحيدة .

وأنا وحيد ، قال ٠
أشعل سيجارتي ، أدخن ،
أدخن وأفكر ٠ لست وحيدا

* ننتظــر

ببطء يحل الظلام حولنا ٠ لا نستطيع النوم ٠
ننتظر الصباح ٠ ننتظر الشمس
أن تضرب صفيح السقيفة مثل شاكوش ،
أن تضرب جباهنا ، وقلوبنا ،
أن تصبح صوتنا .
وأن يصبح الصوت مسموعا ـ
صوت مختلف
لأن الصمت ملىء بطلقات البنادق من أماكن مجهولة ٠

* هـل تسـتطيع ؟

رأيناه يركع فى أقصى الأوضاع عمودية ،
ينفخ تحت القدر النحاسى الضخم
ليطعم النار باستهلاك ناره ٠
نافد الصبر ، وهو ينفخ بقوة ،
يكبحه جلده ، عاجزا عن التلاؤم داخله ٠

ارتعش الضوء فى الأفق
عندما انفتحت عروقه وانغلقت ٠
من نبضه انتفخ لحاء الكروم
ودفع الأوراق الجديدة مدومة بلا حركة ٠

هكذا ، منحنيـــا ،
أنفق نفسـه من أجـل أن تظـل منتصبين ،
أنت وأنا ، دون أن يفكر مرة واحـدة
أننـا مدينون له ، ذات يوم ، بشيء .

كيف ـ اذن ـ يمكنك أن تظل منتصبا على الأقـل ؟

* الشـــكر

لن تقول شـكرا لى ،
مثلما لا تقول شكرا لدقـات قلبـك
وأنت تنحت وجــه حياتـــك .

لكنني سأقول لك شـكرا
لأنني أعرف ديني لك .

هذا الشـكر هو أغنيتى .

★★★

* نقاهة الطفولة

فلنغلق أعيننا برهة
ليمكننا أن نسمع الأم وهي تغسل الأطباق في المطبخ
ليمكننا أن نسمع السكاكين والشوكات وهي تسقط في الدرج
ليمكننا أن نسمع حفيف ثوبها في الممر
وابتسامة السيدة العذراء تطوف بحاجز الأيقونات ٠

في الغد لن نكون مرضى بعد : انظر في الترمومتر ٠
ما يزال دافئا من ابطنا ٠
أبانا الذي في السماء
فلتقل لابنة عمي الصغيرة أن تأتي غدا
كي نستطيع أن نقوم بنزهة قصيرة في الغابة مع الأيل ٠

سأجمع لوزا طازجا لها ٠
أيل أزرق سيأتي ، يا أبانا ،
لنستطيع النوم
أيل أزرق أزرق
يا أبانا
الذي
في السماء ٠

* تـــأخير

متأخرون دائما . وساعتنا أيضا مخطئة . بطيئة .
نبحث عن مقعـــد فى الظـــلام ،
مثـــل تلك المرة فى نهاية المسرحيـــة
ـ مر وقت طويـــل من العرض ـ
ونحن نسقط على ركبنا فى الممشى وفوق المساند الخلفية -
وفجأة يضيئون الأنوار وسط التصفيق .
ونحن واقفون ، ما نزال نبحث ، كأنهم يصفقون لنـــا
نحن من لا نســـتحق .
انتهينـــا الى أول مقعـــد
ونحن ندوس على أقدام عجوز قبيحة .
لم تصرخ .

* تبـــديد

بددنـــا نظرات ، وكلمات ، وحركـــة .
فى الظهيرة سنحدق ـ نحو البحر ـ فى خسارة ما
بين أصوات زيز الحصاد ، بين الأوراق ـ
نظرات مبعثرة كى لا نرى ما بأيدينـــا .
فى المساء أخفت العتمة ظلالنا المتناثرة .
مقعد خشبى ، طويـــل ، ضيـــق
مع قمصان رياضيـــة ليست للبيـــع
منتصب خارج الطريق فى الميدان المجاور .
فاح الميدان برائحـــة شموع منطفئة .
ما من ذريعـــة أخرى لنـــا
غير الاستماع الى فواق نجمـــة خلف البـــاب .

* نمط الاكتساب

أيا ما كان ما تمسكه في يدك
بكل هذا الحرص ، بكل هذا الحب ،
مهما كان — بكامله — ملكا لك ، يا رفيقي ،
فعليك بالتخلي عنه
ليمكن له أن يصبح ملكا لك .

* حنان منسي

كانت الجدة امرأة طيبة ، كانت هادئة .
بجانب عينيها كانت هناك تجاعيد دقيقة كثيرة
كتجاعيد مفارش الشاي المطرزة بعناية .
كان لها أيضا قلب خفيف
مثل حقيبة صغيرة ملأى بالقطن .

رحلت الجدة .
ربما ذهبت لتغزل قطنها على حافة مستوقد الليل العظيم .
لكن كيف أمكن للجدة أن تخرج من المنزل ، وفى المطر ،
بل وحتى دون أن تأخذ شالها الصوفى ؟

الفتاة الصغيرة تبكى فى كرسى المدخل .
المطر الخفيف يبكى أيضا على سلالم كنيسة « الكومينوس » .
لم يبك أصغر الأحفاد ، وهو يرى كم هو جميل
أن يبكى المطر والسلالم والكرسى والفتاة الصغيرة جميعا
على الجدة الصغيرة التى تنسج الآن صوفها الخفى .

* كسل

جلس وحيدا فى ظلام الغرفة يدخن .
ما من شىء كان يرى .

ومضة سيجارته وحدها تحركت ببطء ، بين حين وآخر ،
باحتراس ، كأنه كان يطعم فتاة مريضة بملعقة من فضة ،
أو كأنه كان يداوي جرح احدى النجمات بمبضع صغير .

* أيـــدي

كثيرا ما تشبه الأيدي الوجــوه أو الأجساد بكاملها .
هذه الأيدي تبـقى كسولة في الربيـع المبتسر ،
تعطس ، تكح ، تشبكو ، تصمت ،
كعجوزين على كرسيهما ، وأزرارهما مفتوحــة ،
بأعضائهما التناســلية الذابلة في الشمس .
في المواجهة ، امرأة ترضــع طفلها .
ويداهـا ، برغـم ســكونهما ، عداءان عاريـان
في حلبـة شاسعة من رخــام .

* تقويـــم مكتبي

شهور على شهور ، أسابيع ، أيـام ـ عام غير معروف .
أبريل بنظارات قصر النظر على دكة الحديقـة .
يوليو يمنعك من النوم وحيـــدا .
سبتمبر يتــذكر المنـازل المغلقـة ـ
وردتان من ورق ومشط بأسنان كبيرة على المنضــدة .
في نوفمبر يحمل رجـل ما حجرا على ركبتـــه .
يناير ، فبراير ـ الجميع ذهبوا الى الخـارج
ملامـح اليـأس من الريــح
في واجهة البـاب الزجاجي للفنـدق المغلق .
ثم تظهر خادمـة النهار الصـامتة في الفجر
بممسحة كبيرة لتنظيف النوافــذ .

* ليــــل

الليــــل يعريك . يــداه ترتعشــان .
عاريـــا تماما ، يلتمع جســدك فى الظـــلال .

ذلك الصفر الحكيم الذى اعتصر رقابنـــا
ينقســم فجأة نصفين
كبيضــة مسلوقـــة تنشطر بسكين .

* نقطــة

هديــر عميق يطن حــول كل نجمـــة .
قوة ما سريــة ، محزنــة
أعتمت الأشـــجار .
نقطــة الجذب الوحيــــدة فى العتمـــة :
دوائر ضوء لمدة دقيقتين ،
وركبتـــا المرأة الصامتـــة .

* اقتصـــاد

لا أريــــد أى شيء ، قال .
انــه يشــبه ذلك تمامــا .
فما يرى طوال الخريف كله
غير النوافـــذ المغلقـــة لبيت المســـنين .

ذلك الحبل الذى استخدموه فى ترويض الحصان
مرمى الآن وحيــدا حــول جــذع الشــجرة .

* الوحيـــد

ذلك الذى توقعوه ــ لبعض الوقت ــ لم يحدث ٠
فى الشرفـات ، أنزلوا الأعــلام ٠
الجدران تفوح ــ بقوة ــ بالغربـــة ٠
السند الوحيد ــ الآن ــ هو الافتقار لأى تبرير ٠

* نفس الشـوكة

وقف الليــل فى مواجهتنـــا ،
تماما كواجهة لدار أيتـام من طابقين ، مغلقة النوافـذ ٠

فى اليوم التـالى ، أخرجت امرأة ــ تحت الأشجار ــ
شوكـة من باطن قـدمها ــ

نفس الشوكـة التى ندوسها كل يـوم ٠

* مؤكـــد ــ غير مؤكـــد

العـــالم سلسـلة طويـلة من أغـــان
عليـــك أن تغنيها ، قال ٠
العـــالم شـجرة ملأى بفـاكهة
لا يقطعها غير سـيف ٠

السـيف يقطـع الأغنيـــة ٠
والأغنيـة تثـلم السـيف ٠
فما الذى تختـار ؟ قال ٠
كيف يمكنك الاختيار بين ما تم اختيـاره بالفعـل ؟
العـــالم أغنيـــة عميقـــة مغلقـــة ٠

※ الذي لم يرقص

حرك أصابعه الضخمة على المنضدة
كأنه يغمسها في نهر . لم يتكلم .
بوجه مصبوب في حديد .
أحس بصهيل حصان أحمر
يحمحم داخل غرزات سترته .
لم يرقص . رمى بعملات كبيرة ، غليظة
الى عازفي الكمان كي يرقص الآخرون .

※ تخطيط

يحل الظلام . والنساء الفقيرات مازلن ينتظرن في طابور أمام المخبز .
الشعراء ينتظرون في طابور أمام القمر الجديد ،
حتى لو كان العشب المعزول على حافة الطريق
لا يسمح بأية فائدة بالمرة .

أتوبيس مر . أضيئت الأنوار .
كم تحدثنا ـ ببساطة ـ هذه الليلة .

※ صوت الصمت

ليل . لا صوت أبداً .
هدير الفضاء وحده
وذلك القمر الشفاف غير المحدد
والذي ظل ضوءه بلا شكل ويجرحه ...

* علامة

أحيانا ما لا يكون في الغابة كلها غير شجرة وحيدة
تهتز أوراقها جميعا ، بلا أية نسمة أبدا ·
وفي الحال تتحول الى سكون وخامي من جديد
مثل شمعدان غير مضاء في قلب الليل
يقطع أنفاس الرعاة والأحصنة والنجوم ·

* في أطلال معبد قديم

حارس المتحف كان يدخن أمام حظيرة الغنم ·
كانت الغنم ترعى وسط الأطلال الرخامية ·
وفي الأسفل البعيد كانت النساء يغتسلن في النهر ·
وكان يمكنك أن تسمع طرقة المطرقة في دكان الحداد ·
صفر الراعي · جرت الغنم اليه كأن الإطلال الرخامية كانت تجري ·
والقفا الغليظ للماء التمح بالبرودة خلف أشجار الدفلي ·
نشرت امرأة غسيلها على الشجيرات والتماثيل –
نشرت سراويل زوجها الداخلية على أكتاف هيرا ·

الفة صامتة ، ساكنة ، غريبة – عاما بعد عام -
على الشاطىء الأسفل ، مر الصيادون بسلال عريضة
ملأى بالسمك على رؤوسهم ، كأنهم يحملون
ومضات ضوء طويلة وضيقة :
ذهبية ، وردية ، بنفسجية –
موكب شبيه تماما بنفس ذلك الموكب
الذي كان يحمل وشاح الربة الطويل المطرز بترف ،
الذي قمنا به في اليوم الآخر
لنصنع منه مناشر ومفارش لمنازلنا الخاوية ·

* جزيسة

منحدر التل يتغطى بأقماع الصنوبر وأشواك الصنوبر -
فى القمة توقفنا لنتسمح الأسفل
الوهد يهدر بأشجار البلانيرة في البعيد
مع النعيب الوحشي للطيور والأنهار
والشكوى المزقزقة الخافتة من طائر أسود
نقشت المساء المتجمد فوق الهدير العظيم ·

هنا تزاوجت الأحصنة المتعجرفة، دون ارتباط بحب أو أبوة -
الأفق صهيل بلا حدود
وفى الأعلى هنا ، لا يحقق الركوع أى غفران ·

روح الجبل ظلت ساهرة — فى عناد — على المعرفة والجهل،
بالموت ،
شامخة بكبرياء الحاضر غير الهادف ، غير المحدود ·
فوق الكانتين النحاوى نسيمنا ،
مثلما فوق صوت طبول متجنبة·
الأصابع المقتحمة للبرد الهائل ·

ساموس — ليكا : ١٩٥٨/١/٧

* بخور

حدق فى الضباح من خلال النافذة ·
أحس أن الزرقة تزحف — بالضبط — على جلد الطائر
أو الغيمة ·
ارتاب فى أن تمس الاصابع بالتلمس راؤوه عذبة تقل الشجرة
أيضا ·

والدخان تصاعد من المداخن كأنه يعترف
بسر الحرارة فى الغرف التى كانت ما تزال مغلقة ٠
على هذا النحو ، كل صباح ، تدخن كل البيوت ٠
والرجال ، وهم يخرجون مبكرين الى العمل ،
يشعلون سجائرهم على العتبة ،
كأنهم يتذكرون الها مجهولا ، ملكهم تماما ، ولا يبلغه أحد ٠

* نكاية

مرت الليلة مظلمة للغاية ٠
ركضت فى الريح صرخات هائلة ٠
فى اليوم التالى ، لم نتذكر شيئا ٠
كانت هناك فجوة عميقة باقية فى الزمن ٠

هناك حيث أوى الذئب ،
كان أخدود يتغطى بشعر ذئب دافىء ٠
الآن يمكن للأغنام أن تستلقى هناك ٠

* احداث جارية

صحف ، ثورات ، استنكارات ، اكتشافات ، زيجات ، ميتات ،
عرق ، غبار ، ظلام ، صيدليات طول الليل ،
سلم يرتفع فى تهور ، سرقات ، جرائم ، ظلم ،
بغايا ، كلاب ، سماسرة ، سجون ، رطوبة ، سكارى ،
عميان ، متسولون ، جيتار ، الشجرة ، المشنوقون ، عمود
الانارة ٠

نجمة بين مدخنتين طويلتين ٠ شكرا ٠
لقد تركت المفتاح فى نفس المكان الذى تعرفه ٠

* ربيـــع

جلســا فى الحقــل فى مواجهة بعضهما ،
خلعـــا حذاءيهما ، وباطن قدميهما ــ العــاريان هكذا
تلامســا فى العشب الطويــل · وبقيـــا ·

* اكليـــل

كان وجهك مختبئــا فى الأوراق ·
قطعت الأوراق واحدة واحدة لأقترب منك ·
عندما قطعت الورقة الأخيرة كنت قد ذهبت ·
فضفرت من الأوراق المقطوعـــة اكليـــلا ·
لم يكن لدى من أهديـــه لـــه ·
فعلقتـــه على جبينى ·

* صـور جانبيـــة مســائية

ما تزال يداهــا صغيرتــين ،
معذبتين بالتوقـــع وبالزمن المضاعف ،
شــاحبتين على ثوبها الأســود ·
كانت تجلس وحيــدة فى الباحة ،
تحدق ــ فى عزلتها ــ فى المراكب التى تتلاشى ·
فجأة ومض الغروب على خاتمها
كما على نوافذ قريــة عاليــا فى التــل ·
آنئذ ، غطت الخاتم ــ فى حنان ــ بيدها الأخرى ،
أغمضت عينيها أولا ، ثم ابتسمت ·

* تعبير الخريـــف

الرطوبـة الهائلة بدأت • رحل المصطافون •
بهتت الآن علامـة الفنـدق ، صفراء
مع الاسم بالأزرق ، معلقـة تحت غيمتين •
عاملة النظافـة ستمر بها ببطء فى الصـباح
فى طريقها الى غرف المتزوجين حديثـا ،
بستائرهم المسدلة وشباشبهم ما تزال دافئة تحت الأسرة •

* وســـالة

السمكرى فى الأفرول على الســلم •
باطنـا قدميــه عريضـان •
أنابيب موقـد التدفئة تلمع على الأرضـية
مثـل سـيقان أشـجار فى غابـة فضــية •
عاليا هناك ، فى مواجهة الحائط ، يشعل سيجارته •
مطرقته تدق وسط شرارات حمراء صغيرة •
ما الذى نفعله فى موقـد تدفئـة هذا الوقت ؟
فالآن ، سيحل الصيف فى أى يوم هنـا •
والدجاجات بدأت ــ فعلا ــ فى وضع بيض أزرق قوى
بجوار برميـل النبيذ والمحراث •

* ثلاثيـــة

وهو يكتب ، دون أن ينظر الى البحر ،
يشعر بأن سن قلمـــه يرتعش ــ
انها اللحظة التى تضاء فيها المنـارات •

* الليـــالى والتماثيـــل

ترحـــل الليـــالى بخطوات واسـعة ·
ذلك هو السبب فى أن أجمـل التماثيـــل
تقف مضمومـــة القـــدمين ·

***

* ببـــطء

قســـنا المكان ، ألقينـــا بالميت فى الجير ،
بعد ذلك اعتلينـــا القـــارب تحت أوهى الأقمار ،
الرابـــع حمل الصندوق الحديدى على ركبتيـــه
تكور على نفســـه
كأنـــه يستمد حرارة من نار سريـــة داخله ·
والدخان ظـــل خفيضا فوق الماء ، لم ينقشع ·

* هبـــوط

« ايوريديس » ، نادى · نزل جريـــا على السلالم ·
لم يكن هنـــاك ضوء فى صـــالة المدخـــل ·
بحث بيديـــه عن المرآة ·
وفى الطرف البعيد كانت المرأة ذات المظلة الصفراء ترحل ·
المرأة الثانية فى الطابق الأرضى زعقت فيه : « لقد ماتت » ·
والطيارون الثلاثة خرجوا من المصعد بدولاب كبير ـ
داخله كانت يداها المقطوعتان ومخطوطاتى ·

* حـــوار قصـــير

اشتعلت السماء وحيـــدة خلف البيوت ·
لماذا تبكين ؟ ، قال ، وهو يثبت حزامـــه ·

العالم جميـــل ، ردت ،
جميل جدا بمثل هذا الصداع القظيع ،
والسرير حيوان صامت ، متوحش يتأهب للرحيل ٠

* لأن

لأن الأتوبيسات قد توقفت أمام السياج
لأن الدمى في نوافذ الدكان المضاء أومأت لى
لأن الفتاة ذات الدراجة توقفت خارج الصيدلية
لأن النجار حطم الباب الزجاجى لقاعة البيرة
لأن الطفل كان وحيدا فى المصعد مع قلم مسروق
لأن الكلاب هجرت فيلات الشاطىء
لأن المبشرة الصدئة قد تغطت بالقراص
لأن السماء كانت رمادا به سمكة حمراء
لأن الحصان على الجبل كان أكثر وحدة من النجمة
لأن هؤلاء وأولئك قد تم اصطيادهم
بسبب ذلك ، بسبب ذلك وحده ، كذبت عليك ٠

* اكتمال تقريبا

تعرفين أن الموت غير موجود ، قال لها ٠
أعرف ، نعم ، أننى الآن ميتة ، ردت ٠
قميصاك تم كيهما ، فى الدرج ،
الشىء الوحيد الذى أفتقده هو وردة صغيرة ٠

* عرض غزلى

كانت المرأة ما تزال ممددة على السرير ٠
أخرج عينه الزجاجية ، ووضعها على المنضدة ،
خطا خطوة ، وتوقف ٠

هل تصـــدقيننى الآن ، قال لها ٠
التقطت العين الزجاجيـة ، قربتها من عينها ،
نظرت اليـــه ٠

* حمـــى

ميادين صغيرة فى حركة دائبة ، والواحد يخترق الآخر ،
الواحد يخرج من الآخر : مبنى ، خرابـة ،
مدينـة من نوافـذ فـوق نوافـذ ،
فى اليمين واليسار ركنان ينتصبان بلا اتساق ،
وفى الوراء تماما ، بلا ضوضاء ، الانهيار العظيم وسط حركة صـــامتة ،
بينما الكلاب المهزولة الثلاثة تزداد ابتعادا فى الميادين المتتالية
التى تفوح برائحة موتى غرباء عند سلالمها الكبيرة فى الطرف البعيـــد ،
هناك حيث المرآة ترفع ـ عارية ـ الأرنب المسلوخ أمام مرآة ٠

* الرجـــل ذو الذراع الواحـــدة

أربع مناضد مستديرة ، عارية بطول الصالة الضيقة الطويلة،
يضربهم الضوء مثل رماد، يهطل من النافذة البللورية الكبيرة،
بجوار المنضـــدة الثانية ، دون انفصــال
وقف الرجل ذو الذراع الواحدة ، معاديا تقريبـا ،
ذراعه كانت حمراء كلها ، وكان يحمل كتابا برتقاليا صغيرا ـ
المسألة كلها أننـا لم نعرف أبدا ما الذى سيجرى ٠

* شـــكرا

سمعت صوتك وهو يقول : شـــكرا
(بطبيعية بكماء ، غير متوقعـة) ـ

كنت على يقين الآن :
ان جزءا كبيرا من الأبدية قد أصبح من نصيبك ·

＊ خطوات واسعة

استلقى السكارى ، وغرقوا ـ حالا ـ فى النوم ·
راجع الحسابات ، أطفأ النور ، وذهب الى الحديقة ،
أحس ـ تحت حذائه ـ بطراوة البرعم الدائرية ·
أيها البعيد ، أنت المنسى ، بلا سياج ، أيتها النبوءة ·
قطرة من نبع قمر سرى على ورقة واحدة ·
وفجأة تضاء النوافذ السبع كلها خلف الأشجار ·
السكارى ، وهم يقفون على الأسرة ،
يعرضون لبعضهم بعضا انتصاباتهم ·

＊ فى السر

سمعهم ينادون باسمه فوق الماء ·
تأكد أن ذلك كان من أجله · اختبأ ·
خرجت سفينة ضخمة مضاءة بصورة ساطعة من الميناء ·
على المعبر المرأة ذات القبعة ـ مزركشة ضخمة ·
حجبت عن الرؤية البرج المعتم ، والقمر ، والسقالة ·

＊ وضع مريب

شاحب ، شاحب للغاية ، فى شعره أشواك ـ
أشواك حتى كتفيه ، حتى خصره ، حتى باطنى قدميه ـ
ربما كانت بالفعل أجنحته ،
لأننى ما ان نظرت ـ مرة ثانية ـ ناحية الباب ،
لم يكن هناك سوى دخان قليل مكان المطرقة ·

* متلبس بجريمـــة

صوب كشاف الضوء ــ مباشرة ــ الى وجهه ،
فلنره ، وهو مختبىء على هذا النحو فى الليل ، ونجعله يحمر
خجــلا ،
له أسنان جميلة ــ ويعرف ذلك ، يبتسم
والقمر الصغير فوق التــل المقصوف بالقنابــل ،
وأطفــال الحطابين فى الأســفل عنــد النهر ٠

* مع ما يتعــذر بلوغـــه

بعيد جدا جدا ــ ولهذا منيــع أيضــا ــ قال ،
لكن لا أحد بعيد بما يكفى ، لا أحد بقدر ما يريـــد
بقدر ما يســتطيع أو ما يجب ٠
يربــط رســغه بمنديــله
أبكم ، لا ايماءة واحدة ، لا أحمر ولا أسود ،
منــديل أبيض : الأبيض الأكثر كثافــة ، والأبعــد ٠

* فجـــر

ظلمــة أرضيــة عميقة حتى النهايـــة ٠
أضيئت نافــذة واحـــدة ــ
ماســة خضراء كبيرة مسروقــة ٠
السماء بيضــاء تماما ، عاريــة تمامــا ٠
أيها الفجــر السرى ، قال ــ
جلد أبيض منقوش بمسام حمراء ، حلم ،
حلم مندمــل ، وندبتك أكثر بياضــا فى معابدنــا ٠

* مع الموسيقى

خزانات كثيرة ، دواليب كثيرة ، والكمان مرمى على السرير ،
الأسود والأبيض فى معينات متزاحمة متقاطعة
والعجوز الشمطاء الأولى ذات العجيزة المشوهة ، السمينة
وزهور وسجائر ولؤلؤة عمياء
وزخرفة صغيرة موشاة بالذهب على البيانو –
فى الدخان طفت الأيدى النبيلة ،
اللوريات المحملة بالامدادات العسكرية قعقعت على طول
المرات السرية ،
وأنت تجلس على الأرضية تقشر الفول السودانى
و «بام» و «بوم» ، والموتى بعيدون فى الداخل ، بعيدون فى
الأعالى ·

* الاعداد للاحتفال

خطأ ما حدث فى الاحتفال الذى كانوا يعدونه لى ·
صعدوا وهبطوا السلالم ، تصادموا فى الممرات ·
والشمعدانات الثلاثة ظهرت فى الصالة الكبيرة ·
فوق المنصة تلتمع أكواب الماء ·
يقدمونني ·
أستحث قدمى ، أتفحص نفسى بيدى ، اننى ضائع ·
واذا ما حاولت نزول السلالم ، فسيقبض الحاجب على ·

* أرق

الترديد الدائم لنفس النص المستغلق –
فى أعلى الجريدة الثقب الصدىء من المسمار ،
فى الأسفل قطرتان من دم أسود ·

الاثنتان ـ قال ـ الاثنتان ، الزوج ، الصوت المزدوج ، المعنى المزدوج ·

متعب من الأبواب التى تفتح وتغلق مع الموتى والنساء ·
ليفتريس يسرع بالذهاب قبل أن يبدأ المطر ·
عاد ـ بعد ذلك ـ بالبطانية المبلولة والقبعة
التى تخص الشخص المشنوق ·

* مقياس مصغر

تكيف سهل للجسد فى كل أوضاعه ، كل ساعة ،
فى كل اضاءة ، هو نفسه مع الأثاث ·
الباب الأخضر فى مكانه الأيمن ·
شعرك يسقط بكثافة أكبر من رموشك ·
لم أهتم عندما تأخرت ·
الطائر الثانى قال ما قاله الأول ·
لا أحد يحمل مفاتيحه الخاصة ·
مارى ، وكأنها عارية لا ترى بعد موتها ، تشعل الكبريت ·
وخلال برهة صوت الانفجارات فى الضاحية السفلية ·

* فى اتجاه السبت

الصوت العميق سمع فى الليل الأعمق ·
ثم مرت الصهاريج · ثم بزغ النهار ·
ثم سمع الصوت من جديد ، أقصر ، أبعد ·
كان الحائط أبيض · الخبز أحمر ·
السلم استند ـ عموديا تقريبا ـ على عمود الاضاءة القديم ·
المرأة العجوز لملمت الصخور السوداء واحدة واحدة فى حقيبة من ورق ·

* اعـــادة ترتيـب

كل منهم يحمل ميتــة أو أكثر على ظهره ٠
طريق بعد طريق، صخور، عوارض خشبية، شجرة محترقة ٠
شخص ما أنزل المصباح ، الخبز على جـذع شجرة ٠
الى أين تحملون الموتى ؟
لا أرض هناك فى هذا الطريق ٠ لاعشب ينمو ٠
طوال شهور ثلاثة لم نفلح الا مع بذر الخروب وحده ،
والذاكرة تنفــد ٠
ان لم يكن للموتى أى أرض ، فليس لنا أيضـا أى أرض نقف عليهـــا ٠
آنئذ أشعلنا النيران الهائلة ، وضعنا العجوز على الصخرة ،
خلعنا أحذيتنا ، ونحن نجلس هكذا على الأرض
قسنا أقدامنا اثنين اثنين ، وباطن القدم يواجه باطن القدم ٠
قوسطنطين الشاب ، صاحب أكبر قدم ، هو أول من رقص ٠

* هجـــوم

شوينـا البطاطس فى الجمر ٠ وفيما كان الملح ما يزال بين أصابعنـــا
سمعنا الصراخ فى الساحة ، بالقرب من البئر ٠
حسنا، قال، فلنرحل عبر السياج الخلفى ٠ خذوا البطانية ٠
قمر زائف من نافذة الى نافذة ، من سطح الى سطح ،

والمرآة فى دولاب الملابس خائنة ، ذات عينين معصوبتين ،
أبعد فى الداخل ثياب الميت معلقة والتذاكر التى لم تستخدم فى الجيوب ٠
انفصال صامت عن مخاوفنا وعن أحلامنـا المريرة ٠
والتمثال الموجود فى المدخل يهذى ، وجهه مضرج بالحمرة من شـبقه ٠

ثم صوت الكلاب وهى تنبــح ·
بذلك ابتعـــدوا ·
عبروا النهر ·

* لسـبب مـــا

ربط الحبل بالشجرة · لم يربط أى شىء بالحبل ،
تركــه مرميـــا على الأرض
لهؤلاء الذين يقفزون الى النهر فى الصــــباح
لهؤلاء الذين يقفزون من ســطح الى ســطح فى الليــل ـ
شىء ما سيسقط من جيوبهم ، مهما كانت محمية تماما ،
وسيعثر عليه كناسو الشوارع فى اليوم التالى
والأوامر ستكون قاطعة : عليهم تسليمه ـ

(فدائما هناك حاجة لشىء ما عام ، فى النهايــة)

* الجانبــــان

حفنـــة عظام وقطعـــة من حديد صـــدىء ·
كانت المرأة تجمع الخضر فى الحقــل ـ
وساقاهـــا مكشوفتان الى أعلى من كل ناحيـــة ،
فى الخلف ، يحرس الكلب الطفل تحت الشجرة ·
وما ان حل الظلام حتى عدنـــا الى المدينـــة ،
توقفنا أمام المنزل الأحمر ، نظرنا عبر النافذة المنخفضة ·
كلاهما على المائــدة ، بجوار المصباح ،
أطباق العشاء ، حركات بطيئة ـ ضغينة صامتـــة ·
يقف الثالث فوقهما بسكين ، يقشر تفاحـــة ·
فى تلك اللحظة التفت وقال : دائما ما ننتهى بنفس الشىء ·
وربما كان يعنى بذلك الخطيئـــة الأولى
أو نسيانـــه لمشـــطه فى حمام شخص آخر ·

* اليـوم التـــالى

أعمدة اضاءة ساقطة ، وشجرة ـ الضوء ينتشر من أسفل ،
الطريق الثـانى بمحاذاة البـالوعة .
جاءوا بالأوناش ، ورفعوا الأتوبيسات . لم يكن خطأنا ، قال .
ووسط الدروب كانت المرأة العجوز تجمع أزهار البابونـج .
عثرت على ساعة النائب العام ، زلقتها فى معصمها .
أتظن ، يا بنى أن الموتى لا يعرفون الغضب ؟
انهم يقتـاتون الحديـد والأبواب والصخور .
آنئذ ، صاح فانجيليس ، أعلى الجدار الباقى .
انهم لا يسـتطيعون اســتيعاب الكلمات .
أخرج الآخرون الأعــلام من تحت قمصــانهم
ومضـوا نحو الفـــارس البرونـــزى .

* شروق شـمس الشــتاء

ما حدث هو أننا تطلعنا الى كلا الاتجاهين ـ
سـقط الزمن فى توازن ما ـ
المرآة الداخلية والشجرة وكشك المحارب القديم المعوق .
سـاعة بعـد سـاعة
المجلات والجرائـد الملونـــة ـ
العرايـا ، دخـان ، هؤلاء القتلى ، الوهــاد .
هذا التجهيل المعتم ، والحوائط المقابلة : مضاءة .
متعـة ، صرخت المرأة ، متعة حمراء بأظافر حمراء .
جسد أحمر مذبوح ، والملاءة تتدلى الى الدرج الحجرى
والشبان الثلاثة المتأنقون ، المترابطون كتفا بكتف
(الأوسط منهم تمثـــال ؟
يتمشون ـ على مضض ـ فى اللامبالاة المضيئة للموت .

* متوقـــع وغـير متوقـــع

ذلك ما لايحتاج ولا له ـ حتى ـ أى عــلاج ·
قمر ناقص ، ساكن يخترق الحائط باصبع واحـد ·
من الداخل ، فتشت المرآة عن تأكيد فى وجوهنـــا ·
وكنت تحـدق فى مكان آخر ·
طرقوا الباب · فتحته لهم · لم يقولوا أى شىء ·
حدقوا فينـــا كأننا كنا الأشخاص الذين ارتكبوا خطأ ما ـ ورحلـــوا ·
وعلى البرج الأبـبـغل تركوا المسامير الثلاثة الأخرى ، والشاكوش والقصـــيدة ·
فى الحديقــة ، تحركت فضــــة قمر ما خلف أذن التمثال · وسمعت ·

* الأكثر كفايـــة

يمكنك أن تستكمله بسهولة أكبر ـ
فيــكفى ألا تريــد الاقنـــاع أو الخـــداع ·
وحيدة وحيدة الطيور والأطفال والموسيقى والسرير والستائر ·
المرآة المريضـــة تعالج بالكى ·
ذبابة أخيرة متاهبـــة ـ تقريبـا ـ للموت
تتجول على امتـداد الملاءة الدافئـــة ·
وهناك سلسلة سرية من ميتات فاترة وراء موتنا العادى ،
وراء تماثيله الرصــينة المجيدة ،
خلال تلك المعجزة الطافيـــة ،
خلال ضوء هذه المرآة التى تعرف كيف تعكس
(مهما كان الزيف والتشظى) مجد الجسدين العاريين ·

* بعـــد كل مـــوت

نبحث مرة ثانية وثانية ــ من البــداية ــ عن تلك النعومــة المطلقـــة ،
عن تلك الاستدارة العميقـة ــ
صخرة النسيان البيضاء المحفوظة فى خزانة البحر الأسود ·
انحنت المرأة على النـافذة ، وهى تضـغط ثديها الأيسر فى الخشب ·
والكرة الحمراء محشورة فى ماسورة تصريف المياه فى السطح المقـــابل ·
ذلك ما كنت أفكر فيه ، قال ، وأنا أسمع صوتها فى حزن ،
محدقـا فى التمثال بالحديقة فى الأسـفل ــ.
ذلك الذى أخرجوه الليلة قبل الماضية من البحر مع المشاعل·
كم ينتصب شامخا ، وابهامه ما يزال رطبا أمام شفته الرطبة.
وهو يعترض سبيل البياض الكثيف المدهش .
قبــل أن ينجـح فى العثور على تعبير ·

* ودائــــع

منضدة الصراف من زجاج ــ أية عملات غريبــة ؛
أية أسنان مسـتعارة من ذهب ، وفضـــة ، وحديــد ،
سنة ذهبية واحدة للميت ، قلادة ايلينى ،
دبوس قبعة ضخم ، العهد القديم مجلد بالفضة
مع أحجار حمراء وخضراء ·
الساعة الكبيرة فى ساحة المدينة دقت الثانية عشرة ·
أخرجـوا الدواجن من الثلاجـــة ·
وقف منظف الأحذية عند البــاب وحذاء أنتينوس ينزلق على يديـــه ·
آنذاك هبت نسمة رقيقة من الجنوب ، ارتعشت الملاءة الطويلة
وتحت السريـــر

يمكنك أن ترى الحذاء الناصع البياض ذا الكعب العالى للعروس الميتـــة ٠

* التماثيـــل فى المقـــابر

التماثيـل العـارية تحت الأشجار فى المقابر
حوصرت بالأصوات المشبوبة لطيور الليل حينما انسحب آخر الموكب ٠
التماثيل تقلد ــ باخلاص ــ الموت ، الحب الشبقى، السكون،
بسيوف حجرية ، بأجنحة حجرية ، بأعلام حجرية ،
من كل مكان الى آخر ، نوافذ تضاء ، أسرة ، رقص ليـلى فى الحديقـة ٠
اخرج ، اخرج ، صرخ بيتروس ،
مفاتيحى مع الحارس فى حزامه ، وكلبه يتبعنى ــ
ذلك مكمن اعتراضى عليــــه ٠
التماثيـل لا تقلدنـا ، انها ــ أيضـا ــ وحيـدة ،
تعانى ، تنكر اللاوجود ، تتهيج ، تحمر خجـلا ،
وشريانها الرئيسى مترع بالدم ٠
ذلك هو سبب صياح الطيور هكذا ٠
لتغطى هزيمـة الموت الهادىء ٠

* البعيــد

أيها البعيد ، البعيد ، العصى المنال ،
فلتتسع دائما للصامتين فى غيابهم ، فى غياب الآخرين
عندما يصبح خطر القريبين ، خطر القرب ذاته ، عبئا ثقيلا
خلال ليالى الوعد بالأضواء الملونة الكثيرة فى الحدائق ،
عندما تلتمع عيون الأسود والنمور نصف المغمضة
بلا مبـالاة خضراء وامضـة فى أقفـاصها

والمهرج العجوز أمام المرآة المعتمـــة
يزيل دموعه المرسومة حتى يستطيع البكاء ـ
أيها المستعصى على الامتلاك ، أنت بيدك الطويلة الكئيبة
خفى ، بلا استعارة أو اعارة ، بلا التزامات ،
تسمر المسامير فى الهواء ، تدعـم العـالم
فى ذلك التراخي العميق حيث تسود الموسيقى ٠

★★★

(ثلاث نسوة عجائز ، نحيلات ، بائسات ، مسبيات فى أرض أجنبية ، مأسورات من وطنهن ، يجلسن بالخارج فى الشرفة ، قرب منتصف الليل فى الربيع ، مقعيات بجوار بعضهن البعض الى الحائط، بثيابهن السوداء ، وأوشحتهن السوداء، يشبهن أطفال الليل، الأشباح . لا ينظرن الى البحر . ولا الى النجوم . شيئا فشيئا يبدأن فى الكلام ببطء ، كأنهن قد نسين - أيضا - الكلمات ، كأنهن قد تذكرنها - الآن - توا ، من جديد ، ويمسكن بها تحت ألسنتهن يمضغنها مع لعابهن ، ولا يعرفن ما اذا كانت تلك الكلمات أم أنها شيء آخر . الآن - من جديد - يتلعثمن ، يتوقفن . كأنك - وأنت تمضغ شيئا ما تعرف أنه طرى ، كقطعة خبز فى فمك، اذا بأسنانك تصطدم فجأة - بلا توقع - بشيء صلب - بحصاة ، بشظية من عصا المكنسة ، بكسرة ما ، فتلفظ اللقمة فى احدى كفيك ، وتتحسسها باصبع من الكف الأخرى ، لاشيء - خبز فحسب ، تعيد اللقمة الى فمك ، تبتلعها ، - كم كانت لذيذة . والنسوة يفعلن ذلك . ولا يبين . فهو الليل . وكثيرا ما يرفعن أكفهن الى أفواههن . ربما ليغطين ثقبا فى جزء آخر ، ثقبا غير مرئى - ثقبا فى الروح ، على ما يقولون - ، ربما حرصا على ألا يسمعهن أحد من السادة النائمين فى

البيت • مؤكد أنهن لابد أن يكن نسوة عجائز من ميلو — اللائى أخبرنا بهن عمنا العجوز ثوسيديديس ، منذ يوم أو يومين ، عندما أتى فيلوكتيتيس ابن ديمياس — فى العام الثـالث — من أثينا مع سـفن كثيرة وسحق الجزيرة ، مضرما النار فى البيوت والمعابد ، معدما كل الرجال — الكبار ، والشبان والأطفال ، مستوليا على النساء كمسبيات — نسوة عجائز ، ونساء حديثات عهد بالزواج ، وأمهات وفتيات صغيرات • حقا ، انهن نسوة من ميلو، على جزيرة أخرى الآن ، مسبيات، بائسات• على الشرفـة الأجنبيـة يتحادثن فى صـوت خفيض — وبالتـدريج يتكلمن بسرعـة أكبر ، بوضوح أكبر ، بهدوء دائما) :

المرأة الأولى : يبدو أن القشعريرة وصلت • الصيف تأخر •
وسـاعة الكنيسـة تـدق •

المرأة الثانية : دقت الثانية عشرة • منتصف الليـل •
هس — سيسمعوننا بالداخل •

الثـلاث معـا : فلنجلس هنـا ، نقعى معـا ، فيمكننا الاحساس بالهواء المنعش •

المرأة الثالثة : أليس غريبا أن الساعة تدق ونحن نعد من البداية — اثنين ، ثلاثة ، خمسـة ، تسـعة ،

المرأة الأولى : ذلك أنها تدق ونحن ننصت — غريب •
وهل نحن اللائى نتـكلم ؟

الثـلاث معـا : هل نحن اللائى نحرك شفاهنـا ،
نحن الموتى منذ أعوام ، نحن نسـوة ميلو ؟

المرأة الثانية : نحن نفتح أفواهنا — فهل يخرج منها صوت ؟ —
وهـل نسمعـه ؟

الثلاث معا : هل كان لميلو وجود ، وكان لنا أيضا وجود ،
ولنا أيد ، ونحرك أيدينا ونتذكر ؟ ــ هل يتذكر الموتى ؟

المرأة الأولى : وهل يتحادثون وتطرف رموشهم ؟

الثلاث معا : هل تعتقدون أننا كنا نائمات لأعوام وأعوام ،
ورأينا هذه الأشياء في نومنا ، كي يستردها ــ بعد ذلك ــ النوم ؟

كانت جزيرتنا صغيرة (كانت مكانا ــ لاذكريات وأحلاما)،
كانت جزيرة صغيرة كخاتم ، ــ
كانت هناك أشياء كثيرة لا نمتلكها ، وأشياء كثيرة لا نعرفها ،

المرأة الثانية : أعوام تعيسة مرت أيضا ــ أمطار وعواصف حينا ،

المرأة الأولى : وحينا الحرارة الحارقة للشمس والجفاف العظيم ــ
ولا حتى حبة قمح ، ولا طائرا يعبر ،

المرأة الثانية : المكان آتون ، والهواء حديد محمى ــ البحر يعمى بوهجه ٠

المرأة الثالثة : وبياض حائط الحظيرة المطلية كان سكينا ــ تجز شعرك ،
فجأة ذاب جرس الكنيسة وانساب نهرا من حديد على الدرجات ٠

الثلاث معا : وكان للزيتون أن يذوى ، فيسقط بعنف على الأرض
مثل عيني شخص مريض ،

المرأة الثانية : مثل عيني شخص نعسان ، مثل عيني شخص أعمى ــ
ويكون علينا أن نلملمها من الأرض ،

الثلاث معا : ننحنى وننحنى من جديد ــ ونحن نؤدى كفارتنا أمام أيقونة فارغة ،

وندسهم فى كيسنا كأننا ننتزعهم من أسنان الموت ،
وفوق رأسنا محصلو الضرائب

المرأة الثالثة : وفوق رأسـنا الأمراض ، والجرة المكسورة ، والمكنسـة بـلا شـعر

مثل اللقلق النحيل الذى هرب فى الليل وترك روثه على المدخنـة .

الثـلاث معـا : لم نقل شيئا ـ كانت الكلمات صعبة ـ
المكان سجن ، والصمت يزيـد .
فى الصمت كنا نبدو أكثر أمـانا ،

المرأة الأولى : والحجر ـ فى حائط البيت ـ كان يبدو أكثر أمانا أيضا ،
والكرسى المجاور للنافـذة .

الثـلاث معـا : أحيانا ما كان أسيادنا سيئين ، وأحيانـا أسوأ ـ دائما أسـوأ ،
لكننا حتى فى هذه الحالة لم نكن أبدا بلا قوت تماما ـ
كنا نعد لقيماتنـا ، نعد الهواء الذى نتنفسـه فى السر
فوق سرير الطفل ـ

المرأة الأولى : وفى العد ننسى أنفسـنا ، ـ
ونحن نرفو الجوارب الصوفية الكبيرة غرزة غرزة ، ٥ ،
٧، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٥، ـ كنا نهدهد أنفسنا كى ننام،

المرأة الثانية : كنا نسقط فى النوم على الكرسى ،
تسقط رؤوسنا فننطلق من جديد ، نفتح عيوننا فنوقف العـد ،
كان الجورب كبيرا كبيرا ،

المرأة الثالثة : كبيرا كميناء فارغ ـ وكلما نسجت كان الثقب يكبر
مثل عين الرجل الأعور المختبئة التي لا تريد أن تراك ،
بل وتخاف من أنك قد تلمس المقلة بالابرة ·

الثلاث معا : كنا نعمل عملا شاقا ، حتى فى الليل ـ
بل لم نكن نعرف ما اذا كان هناك قمر فى الخارج ،
ولا حتى كنا نريد أن نعرف ـ الآن ، فقط ، فكرنا فيه ،
كنا نعرف ما اذا كانت الريح تهب ـ كنا نستطيع أن
نسمع الريح ،
فمعطفها كان يعلق من وقت لآخر ـ فى الخارج ـ بالمسمار
فى الحائط ،
حيث تركنا جدائل الثوم معلقة ،
كان يعلق بالمفتاح ·

المرأة الثالثة : وعندما تتوقف ، كانت يدنا اليمنى تظل ـ لبرهة ـ فى
الريح ،
ووبر البطانية ينام برفق كعرف الحصان الذى عاد الى
الحظيرة ·

الثلاث معا : عشنا بالكاد على خبز الشعير والذرة والنخالة ـ
أيضا عاش معنا الدجاج ،

المرأة الأولى : لم يكن لدينا وقت لنمرر المشط فى شعرنا ـ لم نهتم ـ

المرأة الثالثة : هل ينظر الحمام والدجاج فى المرآة ؟
ما كان يفزعنا هو أن نرى أطراف كم قميص أزواجنا
الليلى مبلولا ،
حينما كانوا يغتسلون فى الباحة ، ـ أحسسنا بها ،
ولو انه لمسنا آنئذ ـ وفى يديه سواران باردان ـ
لأحسسنا بالبرودة على ظهورنا ·

الثلاث معا : يا الهى ، كم غريب ـ عالم أعجوبة ـ كمان مبلولان ·

المرأة الثالثة : وفى يوم آخر ، ونحن نقشر كوز ذرة كبير، ورقة ورقة ــ
أوراق كبيرة محبوكة ، قفزنا وأفواهنا مفغورة ــ
كانت الذرة تضحك بألف سنة مصفوفة ، ذهبية بفعل الشمس ·
وعاليا على التل ، فى الأفران ، كانوا ينادون « جورج ، جورج » ·
دفسنا الذرة فى صدورنا ، لم نقضمها ·

الثلاث معا : كنا نحرث، نقطف العنب، نقلم الأشجار ، نروى الحقل،
نقوم بالغسيل ، بالعمل الروتينى ، نكوى ــ
بينما فى الخارج يحل مساء ربيعى هادىء ،
وفجأة يتردد فوق البحر هناك ، فوق الماء الذى يتكلم فى السر ،
صوت منفرد صاف كالبللور

المرأة الثالثة : صوت أجش ، صوت صياد شاب ــ متحجرا برهة فى الهواء ،
لينتشر بعد ذلك،فيمتصه السكون كما لو بورقة نشاف،
ونحن هناك فى الظلام ، فوق الحديد ،
نجاهد ــ بمرارة ضاحكة ــ لحل شفرة الحروف المقلوبة على ورقة النشاف ــ
نحن الذين لم نستطع ــ حتى ــ أن نميزهــا على نحو صحيح ، ــ
بل وحتى لم نستطع أن نراها جيدا ،
حيث كانت فضة القمر تلتمع على تويجة الشاطىء ــ

الثلاث معا : كان القمر ورقة واهية ، يظهر خلف النافذة ،
بعيدا كأننا كنا نحن اللائى ابتعدن عن العالم · كنا نضىء المصباح ·

المرأة الأولى : آنئذ ، فى موسم عصر العنب ،
عندما يكون على أزواجنا أن يعودوا من المعاصر ،

المرأة الثانية : ملطخين بخميرة العصر من الرأس الى القدم —
الأقدام ، الأيدى ، الوجه ، الملابس الداخلية ، القمصان ،

المرأة الأولى : يتضرجون من الحماس والبهجة ، محمرين كتلك الآلهة
القديمة ، كما يقال ،

المرأة الثالثة : كانت قطرات من الدم تتجلط على شعر أرجلهم الملتف
كأنهم عائدون من مجزرة سرية كبيرة فنندفع لنخبئهم ،

المرأة الأولى : لنسخن الماء فى القدر ، نغسل أقدامهم وأرجلهم ،

المرأة الثانية : نغسل سراويلهم ، وقمصانهم ، نزيل الآثـــار ،

المرأة الثالثة : نطعمهم العشاء على عجل ، ونخبئهم تحت الأغطيـة ٠

الثـلاث معـا : ثم كان لهم أن يضحكوا فى السر من وراء شواربهم ،
كأنهم قد سمحوا لنا أيضا بالاطلاع على سرهم الكبير —
ولم يكن هناك أى سر ، —
لكن النوم الناجم عن ذلك كان مريحـــا ٠

المرأة الثالثة : آه ، موســم العصر ، مع الحصير القش ، والســـلال ،
والسكاكين ، —
كانت الباحـة عـاطرة ،

المرأة الثانية : كان الشاطئ يفوح بأريـج الورد ، والخيول تنزلق على
الحصى ،

المرأة الأولى : وبراميل كبيرة مملوءة تغط فى نومها بالطابق الأرضى —

الثلاث معا : النبيذ الذي سيشربه الآخرون ،
عناء على عناء ــ القطاف ، التقليم ، الري ، التجفيف ــ
ركبتنا أصبحت يابسة كالعظام ، ــ
لم يكن لدينا وقت للنظر في أنفسنا، لم نشأ أن ننظر في
أنفسنا ، ــ
ولماذا حقا نجلس ــ من جديد من جديد ــ متربعين ،
برأس محنية على الركب ، كالجنين المنحنى
داخل الظلام الدامس ؟ ــ
فأين نجد الوقت ٠ تقليم وحرث وترتيب ،

المرأة الأولى : أشعلي النار ، زني السمك ، املئي الجرار ،

المرأة الثانية : نظفي زجاج المصباح والنوافذ من غبش البحر ،

المرأة الثالثة : نظفي العدس واحدة واحدة ــ
نسجنا ــ أيضا ــ زوجا من مناشف الوجه على النول ،

المرأة الأولى : نسجنا قطعة أو قطعتين من الصوف ، وبطانية كبيرة ــ

المرأة الثالثة : ولم ننس أن نضيف اليها النقوش ــ
زهرتي ربيع ، طائر أحمر ، ودولفين ضخم فيروزي ،

الثلاث معا : كبرنا ونحن نعمل، ونحن نعمل تعلمنا أن نعمل ، ونحن
نعمل تعلمنا أن ننسى همومنا ، أن ننسى أنفسنا ، أن
ننطلق من جديد ٠

المرأة الأولى : في الصيف ، فوق جزيرتنا ، كم كان الأصيل يتلألأ ،

المرأة الثانية : عندما كانت رياح الصيف العظيمة تصفر ،
والبحر يرتعش ــ متكسرا ــ بكامل جسده ،
والعالم كان ومضة ، وحدسا ، وشرارة ٠

المرأة الثالثة : وداخل البيوت كانت البرودة تقعى كطائر ، كبير كبير ،
يحتـل المطبخ – دون أن يترك لك أبدا غرفـة لتتزحزح
اليها ،
لترتبها ، لتقف عند النـول ، دون أن تـدوس على ذلك
الطائـر الذهبى
ذى العينين البنفسجيتين .

المرأة الأولى : ولا حتى غرفة نذهب اليها كأنك تهش ذبـابة مزعجـة
وقفت على كوب ماء نظيف –
وتهرش قفاها بقدميها الاثنتين –

المرأة الثالثة : لاشىء ، لاشىء ، بدون نتف قليل من زغب الطائر الذهبى
وبعثرته على العالم ، آه ، قليل من زغب ، –
وتجلس غريقا مثلما فى كرسيك جامـدا ،
واليدان على الركبتين ، فى خدر عميق ،
وأنت أيضا مذهب كأيقونة مرسومـة على لوح من خشب
سرو ،
كأن شخصا ما ربما آمن بك فجعلك نـذرا ،
وذهبـــك –

الثـلاث معـا : كنا كأننـا – فى داخلنا – نؤمن بأنفســنا .

المرأة الثانية : كان ذلك الضـوء العظـيم للحصـاد – هو ما غطى على
العبودية والموت ،

المرأة الأولى : كان الضوء العظيم وأوراق الشـجر ورياح الصيف غير
الحليقـــة
مع أصدافها الهائلة التى تصميح بالخارج برفقـة الزيز ،

المرأة الثالثة : وداخل البيت القطة النائمة على رأس السرير .

الثـلاث معـا : آه ، كم آمنـا ، نحن المظلمات ، بالضوء ،
وكم آمنـا ، نحن المهدومات ، بالحياة .

المرأة الثالثة : وذات أصيل آخر ــ كيف حدث ذلك ــ
ونحن ننحنى على البئر ، متلهفين على أن نرى شيئا ــ
لا لنسحب ماء ــ لاندرى ، سر كأنه خطيئة ، ــ
أجفلنا من صرخة المرارة فى صرخة طائر يمرق عاليا فى السماء ،
فى مكان لم يخطر لنا ببال ــ على التل تماما ــ
كان يستهدفنا من خلف ظهورنـا .

الثلاث معا : تحسسنا ــ آنئذ ــ مفاتيح المخزن فى جيب مريلتنا ،
نظرنا الى شجرة التين ــ أوراقها عريضة كالأيدى العاملة ، ــ
لم يكن أى شىء ، دخلنا ، هادئين .
فقط جرادة واقفة على أرجلها الخلفية ، هناك ، على حوض المــاء
ترقبنا بعيون خضراء ، كروية ، كبيرة .

المرأة الأولى : وأحيانا كان يحل صمت قصير وسط الساعات ،
كأننا رحلنا ورتب البيت نفســه ،

المرأة الثانية : كأن الساعة على المائدة ــ فجأة ــ توقفت
ومعها توقف الزمن أيضــا ،

الثلاث معا : ولم يعد من الممكن أن يحدث شىء بعد ذلك ،
لاشىء يمكن أن يكون قد حــدث ، ــ
كأن الولادات والجنازات كانت ــ آنئذ ــ أكاذيب

المرأة الثانية : والقدر الذى يمكن أن نسمعه يغلى على المرجل يصمت .

المرأة الأولى : والدلو الذى يستخدمونه فى سحب الماء من البئر يصمت أيضــا ،

المرأة الثانية : انقطع الحبل ، غرق الدلو ، غرقنــا ــ

الثلاث معا : غرق هادىء ، راحة مؤقتة ــ أن تعرف أنك غرقت
ولو ان شخصا ما فوق الماء ينادى باسمك ، فلن يعثر
عليك ،

المرأة الثالثة : صوته وحده يغوص ببطء فى الماء
كالقرط الذى أسقطته أختك غير الشقيقة وهى منحنية على
البئر ٠

الثلاث معا : آنذاك ، وفيما تنعس ، تخز اصبعك الابرة التى كنت
تمسكها فى يدك ،
من تلقاء ذاتها ــ تقول لك « استيقظ استيقظ ، ليس
ذلك صوابا » ،
تقول لك ، كأنه ليس صوابا فى الكنيسة أن تنظر خارج
النافذة ،
وفجأة تنتزع الابرة ، تهز يدك اليمنى لأعلى وأسفل
على نحو ما ترسم الصليب على نفسك ،
لتتخلص من الشر ، لتطرد الروح الشريرة ــ

المرأة الثانية : وفى الحال تشد الخيط كأنك تشد حبل الدلو ،
تنتزعه وتقفز ،

المرأة الأولى : تنظر حواليك كمجرم ،
خوفا من أن يلمحك أحد هناك فى الحضيض ،
خوفا من أن تراك المرآة على الحائط ،

المرأة الثالثة : خوفا من أن تكون آنية القهوة التى تعكس الشفق
قد قالت أى شىء لبعضها ،

الثلاث معا : وعيوننا متأهبة دائما للاعتذار للجميع ،
للطفل ، والكلب ، والكنارى ، ما من كائن يظهر فى
طريقنا ٠
نتشبث بهذا الخيط الذى نمسكه ونتسلقه ٠

المرأة الأولى : وحده الخوف دائما ما يبقى ـ
ذلك الخوف من أن يضـــل أولادنـــا الطريــق ـ كل مرة
يخرجون فيها ـ
ويفشلون فى الرجوع ،

المرأة الثانية : من أن تعثر عليهم روح شريرة هائـــلة والســـكين بين
أســنانها ،

المرأة الأولى : من أن تسـقط على رؤوسهم ـ وهم ســائرون ـ لافتــة
المطعم الضخمة ،

المرأة الثانية : ضخمة جدا ومحدبة ، بمسامير قاطعة كأسنان الأسد .

المرأة الثالثة : هل ذلك هو المطعم الذى تعنينه ؟ ـ
عنده دجاجتان فى سفود مرسومتين فى الركنين العلويين ـ

المرأة الأولى : خوفا من أن تضربهم صاعقة وهم يفتحون أفواههم ليقولوا
ما هو صــواب .

الثلاث معـا : خوف ورعب ـ كان الشــتاء قــادما ـ فيرتعد جسدنـا
بكامله ،
يقشعر جلدنـا ، ندس أيدينـا فى الجوارب الصوفيـة
لأولادنـــا الغائبـين
كأننـا نمسك بأقدامهم كى ندفئها ، ـ
ونتدفــأ .
المرأة الثانية : ننظر ـ فقط ـ الى الباب ، حتى لايدخلوا فجأة
فيجدوننـا غـائبين ـ هكذا ـ عن الوعى ، وأيدينـا فى
جواربهم .

الثلاث معـا : آه ، لو ـ فقط ـ يجيئون
حتى لو وجدونا نقضم أظافرنا بجوار القدر .

المرأة الأولى : كانت هناك أيضا فجوة سرية فى الحائط ـ
هناك احتفظنا ـ لأعوام وأعوام ـ
ببعض العملات المتبقية ـ أحيانا ـ من الشراء ،
هناك احتفظنا بهدايا العام الجديد للأوقات الصعبة ـ
ببعض الأشياء الرخيصة ،
وكنا نسد الفجوة بالورق ـ فلم تظهر ٠

الثلاث معا : وفى بعض أيام الأحد ، عندما كان الجميع بعيدين فى الميدان ،
أو على الشاطىء ، كنا نستخرجهم ، نحصيهم ـ
شيء ما لخطبة البنت ، كنا نقول ، زوج بنطلونات للولد الأكبر ، ـ
لم يكن هناك ما يكفى ، سيعطينا الرب ،
نقول ،
وكنا نبتهج ببيضة العش الصغيرة ٠

المرأة الثانية : كم كانت ترتعش رموش ابنتنا وأنت تفردين زوجا من الملاءات المطرزة ،
زوجا من أكياس الوسائد أمام عينيها ،

المرأة الثالثة : غطاء أحمر للسرير بطائرين أبيضين جنبا الى جنب ،
يتعانقان منقارا لمنقار ٠

الثلاث معا : لم يكن هناك ما يكفى ، كنا نعيدهم الى الحائط ٠
ذات يوم ، فتحنا الفجوة ، كانوا قد اختفوا ٠ لم ننطق بكلمة ٠
ظهرت أشياء أخرى ، أكثر خطورة ـ غطت عليهم ٠
عدا ذلك ، فمن حين الى حين ، نتذكرهم ونحن نقوم بأعمال المنزل
أو فى السرير عند المساء ،

في المعدة تماما ، أسفل المعدة ، قرب السرة ،
عقـدة ، نتوء مجوف ثقيـل ،
كأن تلك الفجوة فى الحائط قد حدثت فى جسدنا ·
ساوينا الحائط فيما بعد · ما ظهر شيء ·
ولم نكن ــ حتى ــ ندير أعيننا نحو هذه البقعة ·

المرأة الأولى : أوقات مسترخية جاءت أيضا ــ لا نستطيع الشـكوى ــ
مثلما حدث مساء السبت ، عندما سددنا ديوننا للبقال ،
وبقى من الزيت ما يكفى لأسبوع أو اثنين، بل ربما شهر ــ

المرأة الثانية : ومثلما فعلنا مع الغسيل ،
وكانت سلة الغسيل تجف سعيدة فى الباحة ، والملابس
تجف مكشوفـــة ،

الثـلاث معـا : بعدئذ كنا نلمهم ، نلقيهم فوق كتفنـا ،
فيلمسون خدودنـــا دافئـين ، ينفثون البخار ، بملمس
الزغب ،
يفوحون بالشمس والصابون وبالأريج الآخر لعمل اكتمل
ولشيء ما وردى ،

المرأة الثالثة : وشذرة زغب من نبات شوكى حطت على قميص الولد
وداعبتنا تحت الأذن ــ أرادت اضحاكنا ،
أرادت ردنا الى الشباب من جديد ، ــ
نجحت ، ــ وضحكنا داخل أنفسنا ،

الثـلاث معـا : على هذا القبيل ، لانت أنفسنا بفعل عنائنا ،
متباهيات ــ فى السر ــ بكل هذه الملابس على أكتافنا ،
كأننا كنا ــ بأنفسنا ــ نرفع العالم بأسره ــ وكان خفيفا، ــ
كنا نحن الذين جعلناه خفيفا ، وجعلنا خفيفات ·

المرأة الثانية : أوقات مسترخية ــ لا سبيل للشكوى ، ــ
والكى لم يكن ملحـــا ·

الثــلاث معــا : ذات ليــلة ، ونحن جالسات على العتبــة ·
عندما كنا نحاول فى السر تخيل شكل القمر ــ
زهريـــة زجاجيـــة

المرأة الأولى : مليئة بملح ــ رطب قليـــلا ــ

المرأة الثانية : أم انه ــ بالأحرى ــ مصباح نذور ذهبى
أم أيقونة عذراء لازوردية ــ

المرأة الثالثة : أم عش من قش زغبى وبداخله العندليب
وكان يغنى ، لكننا لم نســتطع أن نسمع صوت زقزقتــه
العذبة ــ تويت تويت ·

الثــلاث معــا : وأحيانا ما كنا نتأمل أيضا ، وأحببنا ذلك ·

المرأة الأولى : أو أحيانا ، فى مساء احدى العطلات ،
نمضى من بــاب الى باب نثرثر مع السيدات الطيبات فى
الجوار ــ
من كانت تتزوج ، أو تتعمد ، أو تحتضر ،

المرأة الثانية : وكان بجيب مريلتك بضع لوزات ،
وكثيرا ما كنت تلمسينها بأصابعك ، تعتصرينها ،
لكى تحسى بشكلها القوى ، بحوافها الحادة ،
كقوارب صغيرة موصــدة باحكام
تطبق على الجوزة البيضاء فى قشرتها ــ

الثــلاث معــا : تحسسنا اللوز القوى فى جيوبنـــا ،
لأن المساء كان واضحا ، وروحك أيضا كانت واضحة ،
وكانت الحياة واضحـــة
وكانت تهرب من يديك دون أن تدركها ·

المرأة الثانية : هل تعرف أن ذلك هو السبب فى أننا كنا ، فى داخلنــا
الأعمق ،

فيما وراء الكلمات ، نتكلم ونحن صامتون
وكنـا ننصت لذلك الصمت العظيم الذى يزدحم بأشياء مجهولـة •

المرأة الأولى : مثلما يحدث عندما تهتز الستارة من ذاتها ، دون ريح ،

المرأة الثانية : مثلما يحدث عندما ينطفىء المصباح الذى كنا قد ملأناه منـذ ساعـة ،

المرأة الأولى : مثلما يحدث عندما يستقر الغبار على الصندوق الحديد الذى يضم أكاليـل الزفاف الشمعيـة ،

المرأة الثالثة : مثلما يحدث عندما تجد ــ على المنضدة التى نظفتها حالا ــ قطعة جبس مفتتـة ، ــ
وترفـع رأسـك ــ على الفور ــ لأعلى
فاذا بالسقف على حالته ،
وعنكبوت كبير يجاهد ليختبىء عن نظرك ــ لايختبىء •

الثـلاث معـا : فى أمسيات الصيف ، لا تستطيع احتمال دخول البيت للنوم ــ
قليـل من وقت اضـافى فى الباحة ، قليـل من وقت اضافى لمشـاهدة العالـم ــ
ويجىء العالم الينا من جديد كحمار صغير طيب
بأذنين كبيرتين حادتين فى السمع ــ

المرأة الثالثة : وكثيرا ما يهز أذنه اليسرى ليهش نجمة أو بعوضـة •

الثـلاث معـا : وكنـا نعض على شـفاهنا لنمنع أنفسـنا من الضـحك بصوت عال ،
حتى لا يسمعنا الأطفال النائمون بالداخل ،

المرأة الأولى : حتى لا يسمعنا أزواجنا فيظنون أننا قد أصبحنا أطفـالا بسـخفاء •

الثلاث معا : كانت الأشياء ـ آنئذ ـ طيبة ،
ولم نكن ـ حتى ـ نعرف ذلك ـ هناك في الباحة مع البئر ٠
كانت الصخور ما تزال دافئة من شمس النهار في برودة الليل ٠
ومع الباب التالي يمكنك أن تسمع الدجاجات الدافئة في العشة وهي تنفش ريشها ،

المرأة الأولى : وغناء الصياد في قاربه في المياه الضحلة ، في الأسفل

المرأة الثالثة : والورقة الجافة الكبيرة تسقط من شجرة البشملة بصخب عال
بعدها يصبح الصمت أكثر صمتا كمرآة مهجورة تحت الأشجار ٠

الثلاث معا : كنا نتعرف على الأصوات ـ
نستعيد تعارفنا مع شيء ما عطوف ، منسي ـ

المرأة الأولى : السلحفاة التي تزحف ـ دون أن يلحظها أحد ـ في الحديقة ببطء ،

المرأة الثانية : طابور الحباحب الذين يشعلون قناديلهم الصغيرة لينيروا طريقهم ،

المرأة الأولى : النحلة التي تنام في الوردة ـ
يمكنك أن تسمعها وهي تبتلع لعابها ،

المرأة الثالثة : وصرير أجنحة الفراشة ـ
لم تتكيف داخل القرنفلة ، مهتاجة دائما ، متقلبة دائما في نومها ٠

الثلاث معا : وكانت أنوفنا تدرك الروائح واحدة واحدة من حديقتنا المروية الصغيرة ٠

المرأة الأولى : هذه عترة ــ تقول أنوفنا ــ وتلك نعنــــاع ،

المرأة الثانية : وتلك ريحان أو بابونــج أو ورد

المرأة الثالثة : هذا بقدونس ، ــ وضحكة تقهقه داخلنا ،
مثلما يحدث عندما تهز ثوبــا قديمــا
فيسقط ــ مصلصلا ــ على الأرض خاتم طفــل صغير كنا
نظنــه قد ضــاع ٠

الثــلاث معــا : كانت الأشــياء طيبــة ــ وليس من الصــواب أن نكون
جاحــدين للحيــاة ــ
تلك الأمسيات التى يتحد فيها كل شيء ويتصالح الجميع،
البرعم، والقمر ، والكلب ، والكنارى ــ الجميع فى واحد،

المرأة الأولى : والقمر ، حقــا ، لم يكن غريبا ، كان قمرنــا ، أبيض ،
كاللازورد ،
دافيء كبيضة كبيرة باضتها الدجاجة منذ لحظات ٠

الثــلاث معــا : آه ، نعم، حقا، ــ فبين حين وآخر كانت لدينا قطرة وقت
لنرفع يدنا ونمسح العرق عن جبهتنــــا ،
بين حين وآخر لنلفظ «آه» بين ورقتين خضراوين ناضرتين
ونحن راكعات على الحوض ، نعجن الخبز للصغار ،
رفعنا ــ بلا قصد ــ عيوننا، ــ الى النافذة التى كان يقف
بها طائر صغير ويرقبنا ــ نسينا أنفسنا ،

المرأة الثالثة : أعتقد أن الطيور قد أكملت لنا العجن ونحن ننظر ــ

المرأة الثانية :وربما أكملناه نحن أيضا ــ من يدرى ؟ ــ
لم نصــــنع أرغفـــة ،

المرأة الثالثة : بل صنعنا طيورا من العجين ، نثرنا عليها سكرا ،
ونثرنا على أجنحتها حلوى حمراء وزرقاء ،

وضعنا قطعتى قراصيا مكان العينين ، ــ
استمتع أطفالنــا كثيرا بهم

الثــلاث معــا : بل لم يعرفوا ماذا يفعلون بهم :
هل يأكلونهم أم يلعبون بهم ·
أزواجنا ــ وحدهم ــ تجهموا وعبسوا،عاقدين حواجبهم ــ
من يهتم ؟

المرأة الثالثة : لمرة وحيــدة ، صنعنا ما أردنــــا ،
بالطريقة التى دلنا اليها الطائر وقلبنــــا ·

المرأة الأولى : يا صديقاتى ! تذكرن ذلك الغروب الربيعى ،
الهادىء ، الصـــامت ، هيبــة الرب ــ والبحر ناصـــع
كالكريستال ،

المرأة الثانية : صوار وحبال ومجاذيف مبلولة ،
حمرة داكنـــة تومض ،

المرأة الأولى : هلب منصوب ــ تتعلق فى أطرافه قلائــد براقة ــ
أى مرجان ، أى يواقيت وذهب ــ

المرأة الثالثة : فتــاة صغيرة تتمشى وحيــدة على الشــاطىء فى الأســفل
كأنها تتمشى فى عالم آخر الى نفسها ــ
لم تكن جبهتها محنيـــة ·

المرأة الثانية : وفجأة تظهر جزر صغيرة فى البعيد ، بعيدا فى البحر ــ
لم نرها أبدا من قبل ، لم تكن هناك من قبل ــ

المرأة الثالثة : جزر صغيرة لازوردية ، شــفافة ،
تضىء كلها دفعة واحدة فى الغروب ،
تومض كالجواهر ، تحترق وتموت ،
ثم تتحول الى رماد ، لتذوب في الليـــل ·

الثلاث معـا : لكننا رأيناها بأنفسنا وعرفنا بوجودها ،
وعرفنا أن العالم كبير ، أكبر مما استطعنا رؤيتـه ،
وأننـا لم نكن وحدنـا ٠

المرأة الأولى : وفجأة وصل مندوبون ذات شـفق ،
من بلد ، على ما يقولون ، بلد كبير ، بعيد ،
به ملايين السفن ، به بيوت بيضاء كبيرة ،

المرأة الثانية : ناس من حجر، على ما يقولون، يقفون منتصبين على أعمدة طويلـة ،
ولديهم مدارس كثيرة من حجر أبيض ٠

الثلاث معـا : واعترانا شـعور قلـق —
ثيابهم كانت جديدة ، وصولجاناتهم المزخرفـة فى جمال لامعـة ،
لم ينظروا الينا مباشرة فى عيوننـا ،
كانوا ينظرون من أعلى، فيروا شيئا ما لم نستطع رؤيته ٠
سفن كبيرة بخمسين مجذافـا اصـطفت أمام جزيرتنـا الصغيرة ٠
لم يطأ بحارتها أرضنا ، لم يدخلوا مطاعمنا ،
استلقوا هناك منبطحين فى انتظار الاشارة ٠
جاء هؤلاء المندوبون وحدهم من الأرض الأجنبية ،
وكانوا — على ما يقولون — يونانيين أيضـا ٠
جمعوا أزواجنـا وأبناءنـا

المرأة الأولى : عند المتراس العلوى ، حيث يوجد المدفع القديم الصدىء،

المرأة الثانية : ذلك المدفع الأعوز ، المهمل هناك منذ عهد أجدادنا

المرأة الثالثة : ليتسلقه الحمام والعصافير والأولاد ويمتطوه ،
متظاهرين بأنهم فرسـان عظماء
فى أمسيات الصيف ، قبـل العشـاء ،

ويمدوا أيديهم فى قمة الخاوى
ليمسكوا بقدم الجنية ، ربما ، ويصبحوا رجالا شجعانا٠

الثلاث معا : جمعوهم عاليا هناك ،
ونحن فى كل ناحية ، التصقنا بالأبواب ٠
تكلموا بهدوء (آه،هذا الهدوء الذى تشمه قبل العاصفة) ــ
لم نستطع فهم كلماتهم ــ التقطنا جرسها وحده ٠
« استسلموا » ــ قالوا ــ « والا سندمركم » ٠
قالوا الكثير ، قالوه بكلمات مختلفة ــ
ذلك ما فهمناه : « استسلموا » ٠ ــ

المرأة الأولى : أمثل ذلك يأتى من البحر ؟

المرأة الثانية : مثل ذلك وأيدينا معقودة ؟

الثلاث معا : كنا نتطلع الى أزواجنا ــ

المرأة الثانية : الفك مطبق ــ أخرس ــ
كأنهم يحملون فى أفواههم قصف رعد هائل ٠

المرأة الأولى : والآخرون واصلوا الحديث ــ
عيونهم تزداد صغرا ، كلماتهم تزداد سرعة ،

الثلاث معا : أفواههم تزداد اتساعا ــ كانوا يبتلعون كل هوائنا
لم يبق لنا شىء كى نتنفس ٠
ورجالنا ، صامتين كالحجر ، قالوا شيئا ما
من قلب الحجر ، قدموا ردا ما ،

المرأة الأولى : قالوا شيئا ما عن « الشرف » ،
شيئا ما عن « الوطن » (وقرقعت هذه الكلمه

المرأة الثانية : على نحو ما يقرقع أساس البيت فى الزلزال
فتظن أن كل النوافذ ستتحطم ،
ومعها زجاجات « الراكى » الجيد فى الرف على الجدار

المرأة الأولى : الزجاجات التى احتفظنا بها للزوار) .

الثلاث معا : تكلموا جيدا ـ فأحسنوا ـ
« الشرف »،« الوطن »، وينظرون الى أسفل فى أحذيتهم.
وبعد ذلك كلمة أكثر صعوبة ، أكثر عظمة ـ
أسموها « حرية » ـ

المرأة الثانية : نعم ، « حرية » . فومض ضوء أسود هائل عاليا
حتى منتصف السماء ،

المرأة الأولى : نعم ، « حرية » ، ولم نعرف ما الذى تعنيه ـ
وفاضت عيوننا بالدموع ،

المرأة الثالثة : فاض البحر تحتنا بالدموع ،
وتحول الشاطىء الى زرقة الحبر .

المرأة الأولى : انفجر طفل فى النشيج فجأة ،
كأنهم قد ذبحوا ـ أمامه ـ أباه .

المرأة الثالثة : والعمة « كوستينا » تقدمت خطوة ،
وضعت يديها خلفها وفكت مريلتها كأنها لن تعمل بعد الآن .
ثم جاهدت لتربطها مرة ثانية باحكام أكبر ، ـ
ولم تنجح فى ذلك .

الثلاث معا : كنا نرى يديها ترتعشان ـ
يدان كبيرتان كأيدى جزيرتنا كلها ، ـ
لم تستطيعا العثور على أربطة المريلة ،
وقد تظن أن الأربطة قد ضاعت ،
قد تظن أن أصابعها أصبحت أكثر رخاوة .
كان الصمت حولنا ينتشر ، ـ

ولا تستطيع أن تسمع سوى قرقعته .؛
الحركات كانت بطيئة فى الظهور ،
وتظن أن عامين أو ثلاثة قد مروا منذ أن تدخل يدك فى
جيبك ،
فتعثر على فص ثوم ، وتكسره .

المرأة الثالثة : أما الجدة العجوز ذات المائة عام ،
السيدة « كاتينا » التى تداوى بالأعشاب ،
والتى يمتلىء بيتها كله — من الداخل والخارج — بأكياس
صغيرة
لا تحتوى سوى على أعشاب ،
معلقة على الجدران فى مسامير صدئة ، —
اندفعت السيدة « كاتينا » الى السطح ، ممسوسة ،
وهى تحمل مرتبتها القش ،
رمتها فى الشرفة وراحت تضربها بعصا غليظة
كأنها تضرب شخصا ما على مؤخرته .

الثلاث معا : وفجأة
ماذا كان ذلك الضوء الساطع ،
ذلك الهدير ، تلك الغيمة من غبار ؟ —
هل اشتعلت فى مرتبتها النار ؟
هل اشتعلت النار فى أكياسها المعلقة على الجدار ؟
هل كانوا يطلقون قنابل المدافع من السفن ؟ —
متى — فى ذلك الحين — وطأ أرضنا الغرباء ؟
وأين وجد ناسنا السيوف ؟
جدران التحصينات كانت تهوى والصخور تنفجر ،

المرأة الأولى : الزيت الساخن كان يفور فى القنوات ، والدم يجرى ،

المرأة الثانية : وهذه الكلمة المزدوجة « الحرية أو الموت »
انفجرت فى الفضاء ،

المرأة الثالثة : كف مطبوعة بالدم على باب المطعم ـ
الباب الموارب ـ كان الجميع يجرون ـ

المرأة الثانية : صيحات « الحرية أو الموت » من الحصن العالى ،
من الشــاطىء الأســفل ـ

الثـلاث معـا : كنا نحن الذين نصيح ، ألم تكن نحن ؟ ـ
أصوات عالية ـ ألم وخوف ـ

المرأة الثانية : (بين الألم والخوف ، كان الخوف هو الأقوى) ـ

المرأة الأولى : لا الألم ولا الخـــوف ـ
كانت العوارض الخشبية تحترق ، وتهوى ،

المرأة الثالثة : والنار اشتعلت فى علم مبنى البلديـــة ،
فتوهج وهوى فى الشفق مثل ورقة شجر صفراء كبيرة ـ

الثـلاث معـا : التفتنـا لحظـة ورأينـــا ـ
كانت السارية تحترق مثـل اصبع وحينـد
لم يعد لديه ما يشير اليـــه
« الحرية أو الموت » ـ كنا نجرى من جديد ـ

المرأة الأولى : أية حرية ؟ ـ أى موت ؟ ـ أين ذهب أطفالنا ؟ ـ
كنا نجرى على غير هدى ، الى أعلى الى أسفل ـ
كان المكان يتبـدل
ولم تكن تستطيع القول أين توجد بيوتنـا ـ

الثـلاث معـا : لم تكن هناك بيوت بل ألسنة حمراء كبيرة ،

المرأة الثالثة : فى جرعة واحدة كانت تبتلع شرفة ، أو سقفا ،

المرأة الثانية : معلقا ، تعريشة كروم ، بابا ، نافذتين ،

المرأة الأولى : الكنيسة بأبراج الجرس ـ خوف وألـم ،
ـ لا الخوف ولا الألـــم ـ

الثـلاث معـا : آه ، كيف تنطقون « جريـمة » ؛
كيف تنطقون « مـوت » ؟
لقد حددتم اختياركم مقدما ــ وحده الموت .

المرأة الأولى : لم يتركوا أى كائن ذكر ــ
وعيوننـا لم تعرف كيف تبكى ،

المرأة الثانية : والأقدام كانت تجرى من تلقاء ذاتها ــ
لم نعرف الى أين كانت تجرى ،

المرأة الثالثة : والفم كان يصيح من تلقاء ذاتـه ــ
لم نعرف بم كان يصـيح ،

المرأة الثانية : والعيون كانت ترى من تلقاء ذاتها ــ
لم نعرف ماذا كانت ترى .

الثـلاث معـا : كل شيء سواد واحمرار ، ــ حصان يجرى ،

المرأة الثالثة : بقرة تهز ذيلها ــ فتهش ذبابـة ــ
ذلك ما رأينــاه ،

المرأة الأولى : زجاج نافذة مكسورة فى العشب ،

المرأة الثانية : قطة مقتولة على القرميد ــ لم يكن هناك بيت ــ

المرأة الثالثة : قرميــد المطبخ وحـده ، ــ
واحدى عينى القطـة نصف مفتوحـة ،

المرأة الأولى : والمستوقد يشتعل فى النـار ، ــ
دجاجـة تقوقى

المرأة الثالثة : امرأة عجوز ترتدى أسمالا خطفت البيضة .
كانت البيضة بيضاء ، مستديرة تماما ــ
كسرتها وامتصتها ، والبياض سال على شفتيها ،

الثـلاث معـا : كان شخص ما يصـيح « ابنى ، ابنى » ــ
يصيح من داخـل الآبـار

المرأة الأولى : والمتسول الأعمى على سلالم « سان نيقولا »
كان مايزال يمد يده ،

المرأة الثانية : قطعها أحد الجنود بضربة سيف واحدة ،
والتقطها من الأرض ،

المرأة الأولى : كأن الدم يتفجر نهرا ـ
« خذها » قال له ، ورماها عند زكبتيه ،
« يا الهى » صرخ أحد الأصوات ـ من صرخ ؟ ـ
صرخ مرة ثانية « يا الهى » ٠

الثلاث معا : وذلك الصوت « ابنى » ، « ابنى » ، « ابنى »

المرأة الثالثة : من أظافر قدمك الى جذور شعر رأسك ـ لن يتوقف ٠

الثلاث معا : ثم لاشىء ـ خرس مع صوت خطى أجنبية ، ـ
وحل الليل ٠
بالنسبة لنا ، قيدوا أيدينا ، ورمونا فى السفن ،
الواحدة فوق الأخرى ، أكياس مربوطة ، أكياس طرية ـ
لم يكن بالأكياس شىء ،

المرأة الأولى : ولا حتى شىء تافه ، لا مذراة ، ولا ذكرى ـ خاوية ٠

المرأة الثالثة : كيس خاو يحس بالألم ولا صوت له ،
ولا يلفظ « آه » ،

المرأة الثانية : كيس خاو ـ لا ، ليس خاويا ، ـ
كانت به عظام ، فعندما كان كوع بداخله يرتطم بخشب
السفينة ،
كان يصدر صوتا مكتوما ،

الثلاث معا : كان يمكن سماع صوت واهن ، ـ
كانت عظامنا داخل الأكياس ٠
حملونا الى هنا ـ عبيدا فى أرض أجنبية ـ

المرأة الأولى : لا نعرف المكان ،
وأيدينا لا تعرف الإمساك بالمكنسة ،

المرأة الثانية : مطرقة الباب ، ركن المنضدة ، الامساك بالجرة —
أجنبى ، أجنبى —

المرأة الثالثة : أنوفنا لا تعرف الهواء ، لا تتعرف على الروائح .

الثلاث معا : المرتبة محشوة بمسامير —
تتقلب يمينا ويسارا — لن يغلبك النوم ،
وذاكرتك مليئة بمسامير ،
لا مكان لتحنى ظهرك ،
جدار وحيد ، عال ، بلا ركن لتحتمى به من الريح ،
جدار ملء بالمسامير ، مثل جدار السيدة « كاتينا » —
وأين يمكنك الآن أن تعلق الأكياس الصغيرة
ذات الأعشاب القديمة ، حيث المقصات ،
وسلة من التوت البرى ، وقبعة حمراء ، ومرآة صغيرة ؟

المرأة الأولى : ما الذى يمكن أن تفعله بمرآة ؟
ما الذى يوجد لتراه — وجه الموت القبيح بالأنف المجدوعة؟

المرأة الثانية : الأسنان العارية فى ظلمة الليل ؟ —
عيوننا أظلمت — لا ترى ،

المرأة الثالثة : عيوننا لا تعرف الأشجار ، لا تعرف البحر ،

المرأة الأولى : بحر بلا ملوحة ، بلا طحالب أو أسماك — لا رائحة .

الثلاث معا : هنا ، سرا فى الليل ، اجتمعنا معا ، مستوحشين ،
بالمنديل الأسود يعصب عيوننا
هنا ما نزال نتساءل ، نتساءل بلا كلام
هل كان لميلو وجود ، هل كان لنا أيضا وجود ،
نحن نسوة ميلو ، أكان لجزيرتنا وجود ؛
وهل كبرنا نحن أنفسنا هناك ، وعملنا وتزوجنا
أنجبنا أولادا ما عادوا لنا ؟

كيف حدث ذلك ؟
كيف يمكن حقـــا أن يكون ذلك الذى ما نزال نتـــأمله
ونـــذكره ؟
لابـد لذلك أن يعنى ــ اذن ــ أن ميلو كانت موجـودة ،
أننا ــ أيضا ــ كنا موجودين ، وأننا ما نزال ــ

المرأة الأولى : وأن تلك الكلمة ، ذات شفق ، « وطن » موجودة فينا ،

المرأة الثانية : وأن تلك الكلمة « حرية » موجودة ، ذات مساء ، فينا ،

المرأة الثالثة : وأن تلك الكلمة الأخرى ، رفيقـة الحرية ، « الموت » ، تأكل فى أحشائنـــا ،

الثـلاث معـا : كبذرة أزواجنا ، تكبر وتكبر ، فتملأنـا ــ
هيه ، حامل من جديد فى السبعينيات ، فى الثمانينيات ،
لنلد ــ من جديد ــ أطفـالا كثيرين ، ألف طفـل ، أولاد
وبنات جزيرة ،
لنلد ــ من جديد ــ ميلو ذات الخدين المتوردين
يا الهى ، هل أصابنا الجنون ؟
يا الهى ، هل متنا وبعثنا كطيوف ليلية من الجانب الآخر
من العـــالم ؟
الرحمة يا الهى ، الرحمة يا الهى ، الرحمة يا الهى ــ
نرسم الصليب على أنفسنا ، ها هى يدنا ، ــ نراها ،
انها ترسم شارة الصليب هناك ،
وهناك ظلها على الشرفـــة ــ
يد جديرة ــ آه ، يا الهى ــ بأن تحمل من جديد
الخبز ، والطفل ، والسكين ، والعلم ·

(الفجر يشرق عن بعد ناحيـة البحر ، ــ وهـج
وردى فـاتن · كتلة جزر صغيرة مبعثرة هنـا وهنـاك
تنبثق ــ لازوردية ، شفافة ، بعيداء كذلك الشفق الذى

يعـود ـ الآن ـ الى ميلو . النسوة العجائـز يتطلعن . وجوههن تبـدو وردية ـ وتظن أنهن يعدن الى الشباب من جديـد . وبطونهن تبدو ـ حقيقيـة ـ كأنها تكبر ، وهناك ميلو ، هناك ، هناك ، الى اليسار أكثر قليلا ، بكل بيوتها ـ ليست ذكرى وحلما ـ حيـة . الزجاج يلتمع فى النوافذ . وأربعة شبان رائعون عند الميناء فى الأسفل على الطريق الساحلى ـ اثنان فى المقدمة واثنان خلفهما . وعارضـتان كبيرتـان على أكتافهم . على قمة العـارضة ، يحملون كنيسة بيضـاء . والفخار الأول يمر مع حماره الصغير المحمل بجرار وأباريـق جميلة الزخرفة . « صـباح الخير ، يا سيداتى الكبيرات » ، يقول . « هـل قال لنـا ذلك ؟ ـ » تسـاءلت النسوة العجائز . « صباح الخير ، أيها الشاب الوسـيم » ، يجبن . يمر . « ألا يشبه ذلك ما يحدث فى ميلو ؟ » ، قالت احداهن . « الشاب ؟ الأباريق ؟ ـ نعم ، تماما كما فى ميلو » ، قالت الثانية دون انتظار لاجابـة . « انهم يشبهون تماما ميلو » ، قالت الثلاث ، وفتحن أذرعتهن الى البحر كأنهن يتمطين ، كأنهن يسـتيقظن من كابوس ردىء) .

(ساموس ، سبتمبر ـ نوفمبر ١٩٦٩)

* بيـــاض كثير

خلف النوافذ الزجاجية ، الدكان الخاوى ، كله أبيض ـ
حوائـط بيضـاء ، طاولات بيضـاء ،
على الطاولات صناديق بيضاء بها بيض أبيض ·
فقط ذبابة كبيرة سوداء رفرفت أمام زجاج النافـذة ·
وكنت متأكدا تماما أن صاحب الدكان
قد توفى منذ برهـة يسيرة فى الحمام
والعملات فى جيبه من بيـع البيضات الأخيرة ـ
بيـاض كثير لم يطلق سراحـه ، بياض كثير غير مطلوب ،
وحيـــد تماما ، باهـر ·

* اعمـــق

أكثر عمقـا ، ـ قال ـ بل أعمـق
(بايقـاع ـ أيضا ـ فى الهبوط ، باستمراريه) ـ
هناك تكمن النقطة الوحيدة الثابتـة ·
شيئا فشيئا تعتاد العين على الظـلام ·
تميز افتقاد الحوائط ـ افتقاد السقف ، افتقاد السلالم ·
لا نوافذ زجاجية ، لا مرآة ، ولا الخزانـة القديمة ·
الستائر معلقة فى الفراغ الأوسط بدبابيس ·

وذبذبات خطواتك المبكرة الواهيـــة
على ابريــق اللبن النحاسى
الذى ترك فى الصباح آلباكر ، مع ندى الربيـــع ،
أمام بوابــة الحديقة غير المحكمة ، البيضــاء
أو على الابريــق الفخار الآخر
الذى تحمله على رأسها المرأة الصامتــة ٠

* قرب الفجـر

آخر الليـــل ، عندما يبدأ المرور في الخفوت فى الشارع
ويترك رجال المرور أماكنهم ،
لا يعرف ما الذى يفعله بعد ذلك ،
ينظر من النافــذة الى أســفل
الى النوافــذ الزجاجية للمقهى الكبير ،
المغبشـــة ببخار السهر ،
ينظر الى عاملى المقهى منكسرين فى الضوء ، كأشباح ،
متجاورين خلف الطاولة الطويلة ،
ينظر الى الســماء بثقوبها البيـــضاء ،
التى يمكن ــ من خلالها ــ رؤية عجلات الأتوبيس الأخير ٠
وبعد ذلك ، « لا شىء آخر ، لا شىء آخر »
يعود الى الغرفــة الخاويـــة ،
يحنى جبهته على كتف تمثاله (الأكبر من الطبيعى)
فيحس ببرودة الصباح على الرخام ،
بينما الحراس ــ أســفل فى الســاحة مع أحجار الرصــيف المكسورة ــ
يلملمون شظايا الآلات الوترية من طرود المنافى ٠

* استقالة جزئية

هكذا حدث أن انقلب النهار فجأة الى نهار غائم ·
فقد الساحر قبعته الرسمية مع الطيور ·
وربط البهلوان حبله الى رجل المنضدة ·
فى الممر أوراق لعب الليلة الماضية مرمية مبعثرة ·
وفى الغرفة العلوية، الرجل الميت ممدد ــ وحيدا ــ على السرير
بثيابه والحذاء متقاطع فى يديه ، مفتوح العينين ،
يحملق فى السقف بذلك الغثيان الواضح
من كل هذه الذرائع ، والالتواءات ، والأقنعة ،
من كل هذه الأزرار فى البنطلونات ، وخاصة فى الصدرية
عندما يكون الموت واحدا ، بلا نظير ، وحيدا
وحوض الغسيل ذو المرآة المكسورة غير صالح للاستخدام ·

* حركة

توفيت أمهاتنا مبكرا ·
فكيف كبرنا على هذا النحو بين أيدى غرباء ·
صباحات شتائية مع كسرة خبز مغموسة فى ماء وقليل من
سكر ·
رنين المنبهات قطع نومنا الى النصف ·
خرجنا الى الشارع دون اغتسال ·
ظللنا ننتقل من بيت الى بيت كل حين وآخر ·
وكنا دائما ما نترك خلفنا شيئا ما ــ
صندوقا به بعض الكتب ، ماندولين مكسورا ·
سوف نمر ــ هكذا كنا نقول ــ ذات يوم أحد لنأخذهم ·
لم نمر أبدا ·
وحقيبة الملابس هذه وسط الغرفة ، مغطاة بالخدوش .
مع أربطتها المبعثرة على الأرض ·

بالداخل تركنا تعويذة قديمة فى خيط أسود
مع تلك الصور المتسخة التى رأيناها ألف مرة
المزدحمة بنساء عاريـات ، من النموذج القديـــم ،
لهن حوض عريض ، وخصر نحيل وصـــدر كبير ٠
احداهن كانت ممددة ووجهها لأسفل كأنها تبكى ٠
كانت ــ بالفعل ــ تبكى أمام الحائط
ذى المسامير الصدئة التى يتعلق بها زوج من المقصات وحمالة البنطلون ٠

※ اقتـــراح

لا تتكلم بصوت عال ، فلا أستطيع احتمال الأصوات العالية ٠
فالجميع يزعقون ، ما الذى يجننونه ؟ ــ قال
فاذا ما تكلمت برقـة أكبر ، فسوف أصدقك ٠
المنبــه خبأته فى صندوق الثيـــاب ، ــ
فهو مصمم على تقطيع وقتى الى فتات ، كأنه من أجل عصافير الشـــتاء ٠
لكننى لست طائرا ، ــ أريد وقتى سليما
بلا صرخات أو صخب مثـــل قطار ما بعد الظهيرة ، المنحدر فى الشــــارع ،
أسفل طريق « ليوزيون » بعربات كثيرة ، واحدة وراء الأخرى
محملة بالفحم والمجارف فوق الكومـــة ٠

※ فنـــاء

عميقا فى الفضاء الداخلى ، بلا أيـة أشجار ،
لكنه يضم الأشجار التى أصبحت مقاعــد ،
وكراسى ، ومناضــد ، وصناديــق ٠
على صندوق الثياب تجلس المرأة الصامتة ، تغطى رجليها

تنظر الى اليرقة وهى تزحف على الأرضية ـ
يرقة خضراء ، لزجة تائهة ،
نفس اليرقة التى أكلت الخشب وتأتى الآن لتأكل البيت .
والصور المعلقة على الجدران والحبل المتدلى من السقف ·

* رقصة امرأة تجاوزت الشباب

لا تخبرنى · دعنى أخمن ـ تقول ـ اننى أخمن ·
أقفز من شرفة الى أخرى ،
وأنا لا أحرك غير أصابع يد واحدة ·
أحل الستارة البيضاء · أرميها على كتفى ·
أتذكر أننى حافية ·
وهو ما يجعلنى أشعر بما يشبه الرقص ·
أرقص فى الهواء · انظر ·
قدمى اليسرى أكثر خفة · اليمنى أكثر مهارة ـ
اننى مطاعة ، انظر ، وموجودة ·
فكل حبل ، فى طرفه ، فى حافته الأخيرة ،
له عقدة محكمة تمنعه من الانتسال ·
أليس ذلك هو ما يحدث مع غير المتوقع ؟ ـ دائما فى النهاية ·
آه لو أستطيع تعليم أحد ما هذه الرقصة ·

* أبنية

أكنت أنت الذى علقت البطانية الصفراء فى الشرفة ؟
أكنت أنت الذى رسمت شارة الصليب فوق الخبز ؟
لقد كنت وراء الحائط · ورأيت ظل يدك اليسرى على الباب ·
أما السكين فلم أرها أبدا ·
الباقى أغفلناه كله ـ

كيف تشكلت الكلمات، كيف يتمشى حارس الغابة وحيدا على
التـــل ،
قبـل حلول الليـل والأحجـار تتجـدر ـ
تقضمها الكلاب ، تحملها الى النهر ، عنـد المرجـل ،
حيث تغســل النسوة ـ فى هـدوء ـ ملابس الميت ·
آنئذ تقف الكلاب بلا حراك ، وأفواهها مفتوحـة ،
تكشف عن أسنانها ، كأنها ما تزال تحمل نفس الأحجار
وتنظـر الى أعلى ـ
هذه الأحجار التى بنينـا بها البيت غير المأهول بلا سقف ·

* اعتراف صـــعب

لقد كنت أنا الذى أخذت المسامير وألواح الخشب · فلا تخنى
كان بمقدورى الا أخبرك · لا أستطيع ·
بينما كان الآخرون يدقون ، وهم عرايا فى الشمس ،
صعد السلالم مرتديا ثيابـه ، وربطة عنقـــه ·
فتـح الخريطة ، كبيرة تماما ، وأشار باصبعه ·
جعلنى أتجمد · فلم تكن الشواكيش مسموعـة فى الدق ·
الآن أعرف الفرق بين الورق والحديـــد ·
فالعـالم ينقســم الى اثنـين ·
وسواء وافقت أم لا ، فلن يتوحـــد ·

* تحـــولات

تعاملت مع الدب الأسود برفق ـ يقول ـ فروضته ·
فى البداية قدمت له خبزى ، ثم رأسى ·
فالدب ـ الآن ـ هو أنـا والمرآة ·
أجلس على الكرسى ، أبرد أظافرى ،

ألونهم بالأحمر أو الأصفر ، أنظر اليهم ، يرضونني ٠
لا أستطيع لمس أى شيء ٠ فأنا خائف من الموت ٠
صنعت تاجا بعد ما تحررت من السلسلة حول رقبتي ،
وضــعته على جبهتي ٠
والآن ، ماذا أفعــل ؟
على أن أقف مرفوع الرأس ، أنظر دائما الى أعلى ٠
مع ذلك ، ففي منتصف الليــل ، في سهرى الجديد ، ولا يهم
كيف أمشي ،
أسمع صدى خطواتي يتردد في الأسفل تحت الباب المسحور،
بينما السلاسل الأخرى تتدلى من الجدران ٠

* علاقـــة

لقد اتهمت الســيدة العجوز الوحيـــدة ،
بفكها الملتوى ، وعينيها القاسيتين ، وأسنانها السوداء ٠
الآن تتمشى مع الكلاب وسط القاذورات ٠
يداها طويلتان ، نحيلتان ، معتنقتان في سمو بكر ٠
تنظر الى نافذتك ٠ ترمى لها منديلها الذى نسيته ٠
تتركه يسقط على الأرض ، وتلتقطه ، تفتحــه ،
تضــعه تحت ذراعها ، تصــعد الســلالم ،
تضــعه على عتبــة بابك من الخارج ـ
لا تدخـــل ٠

* ايمـــاءة

ها هنــا ـ مرة أخرى ـ شيء ما يستهويك ، بلا توقع ، شيء
ما بــلا أهميــة
كايماءة امرأة تأخذ الورود الجافـة من الزهريــة
لا تتخلص منها على الفــور ، بل تتوقف ، تفكر ،

حركة مرجأة ، بل نادمة سلفا ـ
اذا ما حادثتها فلن تسمعك ـ
ايماءة صماء ، كالكلمة التى تضعها فى قصيدة
وبعدها تدور هنا وهناك متسائلا : « هل قلت شيئا ؟ »
ولا تبالى بأن الحرب قد أعلنت
وأن الطائرات الكبيرة تمزق الغروب
بظلال سوداء ذات حدين فوق الأحمر .

* مقارنة مهيبة

المقهى ، والصيدلية ، والمخبز ، باب أحدهم بجانب الآخر ،
أبعد قليلا محل الزهور الصغير .
النـاس لا يتوقفون .
النساء ينظرن الى انعكاساتهن فى النوافذ قبل حلول الليل مباشرة .
خلف الحائط غير المكتمل فى حقل الخبازى
يرمى الجميع أشياءهم ـ صوانى كرتونية ،
زجاجات دواء ، أكوابا مكسورة ، فناجين ، زهورا عفنة .
هناك مكان تجمع النساء والكلاب :
يبحثون فى الكومة بعناية ، بذهن شارد ـ
لا يرون الغروب الذهبى ،
يبحثون كالشعراء يبحثون عن القصيدة ،
وأكثر النساء العجائز بؤسا ، المهجورات ، سعيدات
بقشرة برتقالة جافة ، بجزء من مرآة مكسورة ،
بزجاجة دواء زرقاء ما تزال تحمل
الآثار البيضاء للحلزون المتشرد
وفى جوفها صوت القطار الذاهب الى « لاريسا » .

* النوع الآخر من الدقـــة

عليك بالقياس جيدا ، وأن تحسب بدقة الحدود والأبعاد .
بذلك ، تمد ــ منحنيا ــ عصــا القياس على الأرض ،
مستغرقــا ــ بذلك ــ في المرات التي قد تكون نســيت فيها
الحدود ــ من يـــدرى ــ ،
فقــد تكتشف الدقة الكبرى ، وحيدا وذاتيــا ،
عندما ستلمس أصابعك ــ بالصــدفة ــ على الأرض
مشبك حزام « هيلين » ــ الحزام الذى كانت ترتديه ذات مساء
وهي تراقب ــ من فوق الأسوار ــ معارك اليونانيين والتروجانز
وخلفها ــ كالمصير ــ الكلبة السوداء الحامل
تتبعها ــ منتشية ــ بعينيها الناعستين .

* لقــاء غير متوقــع

لاشيء ، بالطبع ، ينشأ بكامله من تلقــاء ذاته .
وأنت أيضــا لابد أن تبحث كي تعثر عليــه .
في الصباح تدخل الشمس من النافــذة الشرقيــة ،
تغير لون الكرسيين الأرجوانيين ، تبقى برهــة ،
ثم تنسحب مخلفــة وراءهــا الشعور بالسكينة ــ
هذا التــلاشي الهادىء .
وزهور السجادة التي داستها الأقدام ، لها حقها ،
لها آذانها التي سحقت في الأرض ،
تسمع الركض الايقاعى للخيول السريـــة .
آنئــذ تدخــل المرأة الصــامتة ،
ولك أن ترى أنها حريصة على ألا تدوس هذه الزهــور .

ما لا يصــدق ربما يمكن قبوله من شخصين معا
رغــم أنه لا يكشف نفسه ــ أبدا ــ الا لشخص واحد .

* تعـــاطف

البيوت التى قضينا فيها حياتنا
نفس البيوت التى نبحث كل يوم فيها
فى الأقبيـــة ، والدواليب ، والمصـــابيح ،
خلف المرايـا ، أو تحت الأسرة ،
عن دبوس شعر ، صـــندوق مجوهرات ، سـاعة مكسورة .
عن علبـــة كبريت قديـم ـ لم يعـد يشتعل ـ
عن أشياء كنا نعرفها فأصبحت فجأة
مجهولة وبعيدة ، أو العكس تماما ،
فى هذه البيوت ، تحت المناضـد
عن شريحة خبز باليـــة (من يدرى من أى عشـــاء ؟)
لا لنأكلها ، بالطبع (فلم يعد أحـد جائعـا) ،
فقـط لنكتشـفها ٠
ولو ان شخصا ما دخل الغرفـة فى هذه اللحظـة ،
فاننـا ـ نقضـم الخبز فى الحـــال
ـ رغـم الخوف من كسر سـنتنا الأخيرة ، ـ
هناك فى شـفق الأمسـية الهادئـة للغرفـة ،
فى الليونـة العذبـة العميقـة للزمن
فى تعـاطفنا مع أنفسـنا ، مع كل شىء ، مع الجميـــع ٠

* كلب عجـوز مالـــوف

عرفنـا هذا الكلب لسنوات طويـلة ، ـ دائما هو
دائما بعظمة كبيرة فى أسـنانه ، لا هو يأكلها
ولا هو يرميها من أسنانه (فكيف يستطيع بذلك أن ينبح ؟)
الا اذا كان يختبىء ـ كل ليـلة ، ونحن نائمون ـ
ويقضمها فى السر ،
ثم يجد ، بالتنقيب فى مكان ما ـ من يدرى ـ

عظمة جديـــدة لليوم التـــالى ،
الا اذا كان قد عرف أن النبـــاح بلا فائـــدة أبدا
أنه لا يحمى أحدا ، لا البيت ولا الحديقة
لا النافورة ولا هو نفســه من القمر ، والزمن ، واللصوص .

* الى أعلى

كان ذلك كل شيء .
من النافذة كان الناس يرمون عملات ذهبيـــة .
والآخرون ، في الشـــارع ، لا يأخذونها .
ظلوا بلا حراك ، بلا صوت ينظرون الى أعلى
ربما الى الجائعة ، المغلولـــة ،
ربما الى الغيمة أو التمثال الطينى
أو الى ذلك الخطاف الكبير
حيث شنقت العمة « أنـــا » نفسها منـــذ ســـنوات .
بعدئذ ، انحنوا وأخـــذوها .
وبقيت أنت ــ من جديد ــ وحيدا فى الغبـــار
تخفى يدك المبتورة فى قميصك .

* توجيـــه

خطط اقتصادية ، خرائط ، فرجار ، أدوات رســـم ــ
لم نفهم شـــيئا من كل ذلك .
والتخطيط ينتهى دائما الى فشـــل .
نزلنا، ونحن نمسك بالحبل، نزلنا الى الأعمق فى البئر القديم،
ونحن نحس على نعال أقدامنا بالبرودة المظلمة للأعماق .
فى فوهـــة البئر ، وهـــناك عاليـــا ضوء ضئيـــل
(ربما كان طرف سجائرنا المشتعل)
والأحجار التى تهوى الى القـــاع
حددت موقعـــا لنا داخل العالم المعلق .

* ونواصـــل

كل مرة ، اذ يقول « لقد انتهيت » ، لا ينتهى أبـدا ٠
ذات مرة تكون النافذة بستارتها الطويلة ، المسدلة ،
وفى المرة التاليـة الرجـل الأمامية للكرسى ،
بعدها كوب الماء المنسى تحت السرير قرب الحذاء ،
قبل كل شيء داخل الثلاجة ــ البيضاء بصورة مصطنعة ــ
بالتفاحة الحمراء المقضومة التى ما تزال محفوظة
وهى تكشف بوضوح تـام آثـار نفس الأسنان ٠

* على مستويـين

خميـلة الورد المتسـلقة الجميـلة
هذه التى تنحنى على التعريشة الحديد ــ بلون أحمر داكن
يتحول (من يدرى بأية عملية سرية) الى قرنفلى نبيل بمسحة
فضية تقريبـا ــ
تتوهـج مشرقـة هذه الأيـام الربيعيـة
فتضىء السلالم الحجرية ، والحوائط الداخليـة
بل وفنـاجين القهوة داخل المطـبخ ،
هذا الغنى الوافر هو ما يستحضر فى الذاكرة
فصول الخريف الماضـية (والقـادمة)
عنـدما تتغطى أحجـار الرصـيف فى الساحـة ، والمخزن ،
والصهريـج ،
حتى الغرف العلوية ، ودولاب المكتب ، والأسرة
بتـلات ، وغصون ، وأشواك ، وأوراق شجر جافـة
ويكون عليـك أن تكنسها بين الحين والآخر ٠
ذلك هو السبب فى أننا ــ عندما نبدى اعجابنا بسيدة المنزل
على خميلتها الوردية الجميلة ــ يا له من لون، يا له من اشراق ــ
فانها بالكاد تبتسم بطريقة حزينـة شـاردة ،

كأن الشيء الوحيــد الذي تتمناه
لم يكن سوى خاتم رفيــع حول اصبعها الصغير .

* بعــد مقاطعـــة

عندما جلس ليكتب شيئا بعد شهور عديـــدة
أحس فجأة أنه أشعث ، غير مغتسل ، مهجور
كامرأة غير متزوجة تمر بالصــدفة في المســاء ـ
بعد انشغالها طول اليوم بأعمال ترتيب البيت الروتينيـــة ـ
أمام المرآة ، فتلتقط لمحــة من صورتها العانس ،
لتــدرك فجأة أنها طوال اليوم لم تنظر الى نفسها فى المرآة :
فهل شاخت ، اذن ؟ هل هى ـ الآن ـ ميتـــة ؟
ولماذا يكون عليها الآن أن تمشط شــعرها ؟ ـ
لقد انتهى اليوم . ولن يراها أحد ـ لا أحد بعد ذلك .
تأخذ المشط الأسود وتبدأ في تمشيط شعرها الطويل ، كله الى أســفل
كأنها تمشط صديقة ميتة ، كانت حميمة
وتباعدت فجأة بعينين مغمضتين ، ودمل صغير على أنفها .

* المعجــزة

انها معجزة ـ يقول ـ بل وأكثر من معجزة :
هناك حيث استهلك كل شيء (وأنا فى المقدمة) . أكتشف
وسط الحصى على الشاطىء الجمجمة المقدســة
لأحد أحصنة أخيــل ـ ربما جمجمة « زانثوس » ،
أكتشف صولجان الأسقف وسط البابونج ،
آخذه فى اجلال ، وأصعد السلالم الرخاميــة ،

لا أخبطه فى السلالم ، الحشد يجتمع
أخطو على المنصة ، أسمع شعرى ، المنسدل على كتفى
يصبح بلا حراك ، والحشد ينفد صبره ،
يتدافعون ويتخبطون ،
أفتح فمى لأتكلم
أدرك فجأة أننى أخرس وأنهم يستطيعون أن يسمعونى .

***

(١)

هناك حيث الآفاق رفعت بالحبال والبكرات والجواكت الممزقة
هناك حيث السكين تبلـغ العظـم
هناك حيث صرخة واحدة تعيد توحيد المدينة المتناثرة
بعد أعوام وأعوام من قضـبان حديديـة ، ودخان « حرس
السجن ، وسـكاكين فى الظهر
ألوان مشوهة ، سـلالم مشوهـة
وليس لك ـ حتى ـ أن تحيى شجرة ، أو شقيقك ، أو تحية
خلال شق فى البـــاب
صعدت الأتوبيس ، هبطت فى المحطة الخطأ، صعدت أتوبيسا
آخر
كان الزحام دافئـا رغـم اللامبـالاة الزائفـة
نظرة مختلسة الى جريدة الرجل المجاور لك أو الى عينى شخص
ما أبعـــد
هبوط القلب ، هبوط اليد الصغيرة على المنبـه الكبير
دم ينساب من منابـع خفيـة تحت الصخور
أعرفـك ـ قال ـ من ظلك على الجـدار
من يديك فى جيوبك دون استغراق ذهنى كسول
من عينيك فى أعمـاق العـالم
نزولا الى العمق « أعرفك بالنصل » ـ كانوا يرفعون أطلالا

أعمدة كانت تصعد من آبـــار سوداء
أعمدة في شــكل الآبار ، أعمدة معلقة في الهواء
عمودا عمودا لبنــاء المعبد الهائل هناك في الأعلى
شبان ونساء وقواصر نار مع خيول ، مع مسطرين ، مع ألواح ملاط
عاليا نساك الحقبة الأخيرة في التاريخ الجوهري ،
صحت صباح الخير لثلاثة أيام وثلاث ليال وسط الغاز المسيل للدموع
مثل المشاعل . والسفن الحارقة في البحار البعيـــدة
نيران فوق نيران ، دخـــان فوق دخـــان
أحرقت الثياب والحذاء ، الخطابات ، وبطاقة الهوية ، ايصالات الضرائب
قصائد الحب الأولى في جيبك السرى
الى هويـــة واحــــدة للفرد ، للكثيرين
ـ ماذا كان اسمها ؟ (يقول)
الى نار واحـــدة تلغى الليـــالى والليـــالى
عليـــك أن تقول اسمها (يقول) .

(٢)

أحدهم يكتب شـــعارات على الجدران ،
الآخر يهتف بشعارات فوق الشوارع ،
الثالث ـ داخـــل اطار النـــافذة ـ ينشد علنا « روميوسينى روميوسينى »
حملوا الجريـــح الى المكتبـــة
ورقـــة عنب مثل الكف على الركبـــة الجريحـــة
تماثيـــل حزينة وسط الدخان ـ أين نسيت الحب
طلاب ، بناءون ، لعنات ، لافتات ، هتافات ، أعـــلام
الحب هو الحلم ، الحب هو العــــالم

الرأس المنحنية للمخبر ، ناس أكثر فأكثر يأتون
كبار وصغار ، تلاميذ مع حفنة جوز ، مع حقائب الظهر
طائران أحمران مرسومان متقاطعين على كراساتهم
المتزوجون حديثـا يطلون من حقيبة المصـور
يربطون أشرطـة فى البوابـة الحديـد
باعة أوراق يانصيب عميان، جيتار منتصب، مصابيح صيدلية
الليل يحل بالمدينة ، أرقام مضيئة ، مسارح موصـدة ،
ختامات مغلقة ، قصائد سريـة ، زهور مثقوبـة
المشهد الطبيعى الخفى يصعد فى السر فوق الليلة من الأعماق اللانهائيـــة .
الليـــلة هى أوان كل شىء ــ يقول
الليـــلة هى استمرار لكل شىء ــ يقول
الغد للانسانية كلها ، للمستقبل كله
ذلك ما قالـه على السـطح
كان يمسك بعجلة قيـادة هائلة ويقود المدينـة
وفى الأسفل على الأسـفلت يمكن للمرء أن يسمع ضوضـاء الزحام
كلب أسود ، سـلة ، مرآة صغيرة
حذاءان ضخمان للمهرج الحزين والكوب المكسور
والرائحة تأتى من شواية بائع الكستناء الكبيرة مثل سفينة .

(٣)

الشخص الذى كان يتكلم داخل نفسه وكان مسموعا بالخارج
الشخص الذى صعد الدرج الرخامى درجتين درجتين
الشخص الذى كان ينتظر فى الساحة بشوكة طويـلة
المرأة العجوز التى جاءت بالخبز والملح فى منديلها المربعات .
الفتاة بالوردة ، الولد بالطائر والمنـديل
الحشود التى تجلس متربعة على الرصيف ، والرموش تخترقها نظرات داخلية

جاءوا بأسبرين ، ويود ، وكحول ، وقطن ، وشاش
هذا الشخص جاء بالنـار فى كفيـه ، كعصفورين
مزقـوا القميص أربطـة
وظلت صـدورهم عاريـة
لأنهم كانوا كثيرين فأكثر ، فأكثر يصلون من لحظة الى أخرى
عبارات أخويـة كتبت على عجـل بأقـلام حمراء
رسائل قصيرة لثورة صامتة على الزجاج الأمامى للسيارات
الشوارع تفضى الى هنـا ، والأتوبيسات تتوقف هنـا ،
والأيدى ضفرت مزقا من بطاطين المنافى على أشجار الزعرور
صرخات وفولاذ ، يخلع حذاءه ويحك أصـابعه
له قدمان قويتان ، باصبع قدمه الكبير يحفر حفرة فى الأرض
ويدس مفتاح غرفتـه المستأجرة
لأنه الشيء الوحيد الذى لا ينقسم ويمكن المشاركة فيه بالعدل
ليس ملكك ولا ملكى لكنـه ـ فقـط ـ ملكنـا
الشـوارع تنسـاب كأنهار فى الشـوارع
والحائط الأصفر يتخذ وهجا ورديـا فى فجر السهر العظيم
بينما فى جيوب الأولاد وآبـاط البنـات
شذرات من ترانيم قديمة ممنوعـة تبحث عن مأوى ،
أوراق دفلى طويلة ، وقرفـة وحمص
شاب ينزل عن دراجته ويقف على الجسر
تحت الجسر كانت الأسماك الحمراء والخضراء
وسمكة صفراء كبيرة تجر بأسنانها ستارة بيضاء
هى التى تبـقى بالبيت عنـدما نكون بالخارج وتحلـم ـ فى ضبابيـة ـ بالمستقبل
والخواتم تصلصل واحدا بعد الآخر على درجات الماء بأصوات صغيرة
كأصوات قيود المساجين على القضبان الحديدية عندما يحل المسـاء
أو كأصوات الطابعـة المخبأة فى طابق تحت الأرض

والتي تواصل — من تلقاء نفسها — كتابة القصيدة القادمة
عن الأبطـال الذين أعـــدموا أخيرا ٠

(٤)

مبنى قديم باهت بسلمين دائريين من رخـــام
فى الماضى كانت أشجار نخيل لا تراهــا الآن
منديـل ملطخ بـدم ومنى على العشب الجاف
كبقعــة بيضـــاء فى مركز الدائــرة ،
المحيط اللانهائى طوى داخله المدينة، والضواحى، والساحات
البعيـــدة
باتيسيا العليا ، ثيماراكيا ، بانجراتى ، جيزى ، كيساريانى،
بترالونــا
رائحة بطاطس مشوية فى الشوارع الضيقة المجاورة للبحر
سفن صدئة قديمة ، سفن جديدة ، رافعات ، صناديق شحن
فى الأسفل البعيد الصدى العجول للصوت الشاب فى الراديو
وهــج سيجارة ، وأبعد منها أسى الموت
شرائط حمراء ، سهر أحمر ، الحراس بالتفصيل الدقيـق
ميجارا ترد، ثيسالونيكى ، فولوس، بريفيزا، ايونينا، دارما،
أركاذى ، ميسولونجى ، ثيودور العجوز بخوذته القديمة
فيضان من الناس داخل البوابـة ، خارج البوابـة
كرسى مكسور ، أمبول كينين أزرق
كوب على الأرض ، العلم الثالث ، غصن موسيقى على العتبـة
هنا حيث بقينا صامتين مع ثمرتى بطاطس مسلوقتين وخمس
سجائر
هنا حيث لم يكن لديهم ما يقدمونه سوى حياتهم
التى بدت لهم ضئيلة للغاية فى ساعة الشباب العظيمة
الفتاة ذات الرداء الأحمر بكت
وبكى الفتى ذو القميص الأزرق

قمر كان ينخـل النخالـــة

ناس أكثر جاءوا ، عبروا ، وسيعودون بالفوانيس

فيما وراء الموت ، فيما وراء البعث ، ليسوا ـ أبداً ـ موتى

مقاتلون شبان ، عمال يومية ، رؤوسهم على صوانى الكرتون

أى ، أى ، صـاحت المرأة العجوز ، أولاد أولادنـا ، أكثر من أولادنـا

سوف نمشط شعركم الطويل بأمشاط كبيرة للعرس الكبير

فاض الدم، الدم يمتزج بالدم ، الوجوه والأيدى تصبح حمراء

أصبح الطريق أحمر ، والبيوت ، والخبز ، وشرفـة آريتوسا

لقاء الأحمر باعادة الشباب الى العالم العجوز

وطفـل يجلس فى المنتصف ، محدقا فى أظافره التى طالت فجأة بفعل الشمس .

(٥)

الرعب ، الثورة ، المرارة ـ أيهم الأول ، أيهم الثانى ، أيهم الثالث

عيون ساهرة بلا شكل ، ضائعة فى نظرتها المتنقلة

المثبتة هنا ، هناك ، فى لا مكان ، فى كل مكان

الشفاه اشتعلت بكثافة الشـعارات

بالبحـة وبمجهول الليـلة القادمـة

والأطفال الذين كبروا فجأة، أشخاص منحوتون وسط الشعر واللحى الحمراء

كبروا وكبرت ـ أيضا ـ أياديهم تجاه ملامح ثابتـة

والشخص ذو النظارات ،ذو البنطلون المتعدد الألوان ، معه عام على قمـة الدرج

يهتف ، يهتف ، فيرمون جرائد فى النيران

هذا الشخص الذى يمسك بسياج السلم ، يصبح الحديد دافئاً فى راحـة يـده

والأربعـة جلسوا على الأرض مع كراسـاتهم ،

مع القوارير ، والدوارق من المعمـل الكيميائى ، والصمامات
المفرغة ، وأجهزة ارسال الراديو
هؤلاء الذين يلتزمون السكون فى انتظار
أن يسمعوا
الشـخص الذى ينصت للهباء وسـط الشمسـيات السوداء
المبلولة فى الممر القديم
وسط منبهات فارغـة تنطلق أحشاؤهـا بعنف
الشخص الذى قطـع نصفين متساويين تماما
توحدا فجأة من جديد فيمارس الجنس مع تمثاله ومع العالم
ومضات متقاطعة ، تقارير اخباريـة ، أعـلام
أسـنان تحت الأرض تقضـم الجـذور
ها هنا البداية الجديدة ، الأغنية المنفردة ، الليمونة المقطوعـة
ملصق كبير على بوابة قبضـات البروليتـاريا .

(٦)

ضوضاء من جرارات الصهاريج ، العرف المرتفع لليـل
« أخوتى » صرخوا فى البداية « أخوتى ، أخوتى »
ثم « قتـلة » صاحوا « مرتزقـة ، قتـلة »
« حملة النقـالات ، ببطء ، ببطء أكبر »
يخرجون ببطء ، يمكثون ببطء ، يعودون ببطء
فلتخبىء جمرة نار فى جيبك الداخلى ، خبىء العلم
الباب الأول، الباب الثانى ، الثالث ، أصوات مكتومة ، خامدة
سيحين الوقت من جديد ، وستكون هناك أشجار ، وأصائـل
على العتبـات
مع كسرة منسية فى فم أحدهم فى مواجهة القمر الجديد
وقت متوقف يفتح الوقت ، والشوارع المضاءة بالمصابيح
هنـا يتمدد الموتى ، يتغطون بملاءة
يحسون بالبرد، ان لم نهتم بهم، سنحولهم فى الغد الى تماثيل

واحد بقيثارة ، والآخر بسيف ، وآخر بطائر على كتفه وفردة
صندل في يـده
حافظنا على المقاييس ، نفس مقياس رفاقنـــا
نفس المقياس الذى يحتفظ به البروليتارى في جيبـه الخلفي
مع مشطه ومفتاح بيته
مع فص ثوم وعلبـة كبريت
واليد تعرف ، تبحر في الظلام ، تعثر على الركبة ، وزجاجـة
المصـباح
تعرف أركان الصبر الأربعة ، الطبق الأرضى ، والسكين
واذا ما تأخـر الكبريت في الاشـتعال فلأنه ينتظر اللحظـة
المناسـبة
يتكيء قليلا ، وينال قسطا من الراحة ، وبعدها من جديد
هناك على الرف الطائر المحنط ـ انه يتظاهر بأنه محنط
يجلس على القش ، في انتظار بيضة سرية
داخل البيضة الريش ، والمنقار ، والأغنيـــة
لقد صحت ، وتوقفت ، ركنت الى الصمت ، وسوف تصـيح
آى ، آى ، أطفالى
تتوهج عيون الموتى كى تستطيع الكتابة في الظـلام
عمت مساء في رقـة ، عمت صـباحا في رقة ، أقيس نبضك
القوى صاخبـا صـباح الخير .

(٧)

في هذه الحكاية شارك الكثيرون وأيضا آخرون لم يظهروا أبدا
مختبئين خلف الذكريات أو خلف البوابات الحديد
أو خلف المصاريع القديمة المحفورة بأظافر الزمن
وآخرون أعدوا رغيفـا كبيرا من خبز وحفروا بسـكين الجيب
صليبـا عليـــه

والنسوة العجائز تجمعن فى المطبخ ، الرحمة يارب ، الرحمة
يـــارب
وعين على النــافذة والأخرى على المنخــل
العين الثالثة على الشارع مع الشرطى ، مع الدخان ، والجنود
لأن المفرش على المنضدة يرفرف من جديد
وبأكتافــه الدائرية الدافئة يدفــع الطائر الآخر الى أعماقهم
والنسوة العجائز مؤهلات من جديد للحمــل ،
بصرف النظر عن أن أطفالهن يلعبون مع الموت
واذا ما فكرت أن تقول سأعود ، فستخشى أن يثبت من جديد
أنك كاذب
فالعقبات هائلة ، وهائل جبين الدخان المتعالى
والترزى ، والنجار ، والحانوتى أغلقوا جميعا دكاكينهم
والرجــل العجوز جــالس على ألواح الخشب يــوزع أوراق
الكوتشينة المسروقة ، ثلاثة فى كل مرة ، لا يمكن تحقيق
الفـــوز
كم من المرات قلنا « آمين » فأطاحوا بنا من جديد
أطلت الفئران من جحورها ثم انسحبت مرة أخرى
بقية الجحور لم تكن للفئران ، الهواء يتخللها ، كانت مفتوحة
على الخارج
أجزاء من أبراج الجرس، من الغيوم ، من لافتات محلات الجزارة
يد تحمل شيئا ما ، ساق بمفاصل متصلبــة
لا تركع ، ففى طرقات على الرصيف مثل ساق خشبية ، مثل
حجر تدخــل البــاب
آنئذ يتساقط الجبس عنها والحجر السابع يتداعى
فجوة مفتوحة فى السقف ، سماء بعين واحدة
سيأتى آخرون ويحكون الباقى ، لا تنس فحسب ـ قال
لا تنس ما جرى ، ما يجرى هنا والآن
والا ـ قال ـ فــلا شىء يمكن أن يتحقق للنوافــذ الموصدة .
والأعين الحولاء

للآلات الوترية الملفوفة بعناية فى صناديق زجاجية وكرتونية
على يد أناس قدامى منسيين
للأوتار المحفوظة فى الدرج وسط ايصالات الماء والكهرباء
أو فى جيوب المعطف الأسود المعلق فى الدولاب بدون نفتالين
بينما الصخب فى الخارج يذوى، تمتصه طلقات البندقية الأخيرة
والأتوبيس الضخم الذى يحترق فى ناصية « باتيسيون » و « ستيرنارا » .

(٨)

هناك بالطبع أشياء بلا كلمات، لم تكتشف، لم يبحث عنها أحد
اذا ما حاولت أن تقولها ، فلن تكونْ ــ بعد ــ أشياء ،
ستتحول الى غبار أو دخان أو ــ فى أفضل الأحوال ــ ومضات
كلماتٌ صغيرة ، عظيمة ، مكثفة ، كلماتِ الليل ، فراشات الليل ، بيضاء وسوداء
تجتذبها النار ، تبتلعها ، فتحترق سريعا
هسهسة واهية من قضمة الدهن من أجنحتها ، من قرون الاستشعار
فرقعة فى مكان ما ، ومضتان صفراوان أو زرقاوان
ومن جديد النار والأشياء ــ فى مواجهة النار ــ مضاءة أكثر حمرة ، مكبرة
فراشات الليل مختلفة فى شعر امرأة
أو قرب زجاج المصباح ــ تلك لها أسماء مختلفة
مثلما وقع الخطوات على الأسفلت
والصرخات التى تنطلق عبر كشافات عربات متوقفة
أربعة أجساد وأربعة أعلام تحت القضبان الحديد
أنا امرأة عجوز ــ تقول ــ تعذبت بألف موت
ارتعبت بألف وأحد عشر خوفا
لا من الم أتكلم ، أعض على لسانى ، أغزل قطعة صوف بمغزلى

فيها ناس طيبون كثيرون وأعلام وقيثارات وذرة ودجاج .
لن آكف عنها بأى ثمن ، وبهذا الغزل أصنع سفينة كبيرة
وبكرة حمراء صغيرة من خيوط تبقت من سهر الأسبوع المقدس
لقد أصاب الحبال امرأة عجوزا بلا أسنان – يا بنى – فلابد
ليدى أن تظلا مشغولتين بشىء ما
والا فسأخلع قميصى وأطوحه في الهواء عارية تماما في الشوارع
اننى أغطى أطفالى لئلا يصابوا بالبرد لهذا يضعوننى معهم فى
الزنزانات
وأنت تخبرنى كيف للمرء أن يناقش الأشياء ، كيف له أن
يحولها الى أفعال
آه يا سفينتى الصوفية العظيمة ذات الأقفاص الخشبية فى
البحار المفتوحة
تأتى فى العالم وتمضى لا تعرف حدودا ولا ينالها غرق .

(٩)

وعندما تركت الشمعة على بسطة السلم ، قالت : « انتبه »
لئلا يلتقط ثوبك الليلى النار وأنت تمر بها حافيا ومشط فى
يدك
وتحت السلالم تجمع أولئك الباقون على قيد الحياة
ربما يقرعون الباب بقبضاتهم أو كعوب بنادقهم
لا تفتح ، سيكسرونه فى النهاية
ظلال البراميل لا تغطى الجدار كله
والرأس الرخامى ينتصب فوقهم ، يغمز برمشه ، فيفهمون
يقل وقع الخطوات فى الشارع، يتوغل أكثر عمقا، داخل الأرض
توقف شخص آخر ليبول على نافذة دكان المجوهرات
سيعودون فيما بعد ليشعلوا نيرانا أكثر ، ليحرقوا كتبا
ليكسروا الأرفف الزجاجية ، أيد حجرية فى الرماد
خزانات الكتب واقعة ممددة ، صور فلاسفة ، فى الممر زجاج
نوافذ مهشم

جرائد ، رؤوس مشاجب ، خزانات قواقع ، شعر ، قوارير ، طبـــاشير
ها هو الدليل ، قالوا ، دعوا الصحفيين وهذا وذاك
مسموح ، يقولون ، فوضى ، لحى ، نساء ، قبلات على السلالم
حملوا البعض الى بوليس الأمن
والبعض الى الضـــواحى
وآخرين الى المشرحـــة
وما يزال آخرون الى أن يحفروا – على عجل – مقــابر
أسماء مجهولة ، وشارع ، ورقـــم ، وعائلة ، وأم
وقال من جديد ، أمى آه يا أمى ، خاتم زفاف مهشم ، حوض غســـيل
انتظرنى بعد ثــلاثة مبـــان
ففى ورشة الخشب تركت بعض الخبز وبصــلة
لففت العلم حول صاريته ودسسته تحت مريلتى
لينخسنى فى ضــلوعى ، فى عمودى الفقرى ، فــلا يسمح لى بالنســـيان
فاذ يحل الصمت الثقيل ، فان اليقظة العظمى آنئذ تبــدأ
هذه اليقظة التى لا تسمع الا فى مفاصـــل القتــلى .

(١٠)

أهدأ صمت بعد الدبابات ، لملموا العربات المحترقة ، والرماد
أزالوا الدماء فى الفجر البـــاكر
حملوا الموتى بعيدا الى البوابة الحديد ، والأشجار المحطمة
لم يعد الصـــغار الى بيـــوتهم
أشـــباح تطوف حول أكشاك التليفون
ومن نافذة الى نافذة وجــه النـــار المنطفئـــة
عثروا فى الغرفـــة المستأجرة على الشخص المشنوق
والآخر فى الدولاب المغلق

والآخر وجبينه على ركبتيه كما لو كان يقرأ كتابه الأخير
مرآة صغيرة على المنضدة كانت مرمية مقلوبة، لا تريد أن ترى
قدر ، ومطفأة سجائر ، والكنارى في قفصه بلا ماء وقد تيبس
كعظمــــة

ستبكى الفتاة عندما تعود ، لحسن الحظ تركنا لحانا تنمو
حتى لاتكشف أننا لم نحلق،فلا أمواس حلاقة فى الدكاكين الآن
ولا فى أكشاك المحاربين القدماء ــ من يدرى
طيور صغيرة فرت من النخيل العالى، وتوقفت فى أضيق شارع
« جايار جايار » ، كانت المرأة تنادي في صوت خفيض ، كلبها
في الطابــــق الأرضى مات
مبكرا فى الأصيل تضاء أنوار الشوارع كأن الشوارع مريضة
والغرف القديمة مريضة وأسرة الطلبة خاويــة
والملاءات ملطخة بســائل منوى جـاف
والماء فى الكوب يتظاهر بالنعاس حتى لا تتم خيانتــه
الرجل الذى شرب قطرات معدودة من الماء مفقود ، لا نــدرى
أين هو
أعلام صغيرة تتنفس كالمتآمرين داخل القمصان المزررة
وتدير الرقم باصبعك للمرة الرابعة، والخامسة، ولا من مجيب
تعود الدائرة ــ مع الصرير ــ الى وضعها ، دائرة ودائرة تبدو
الآن مثــل صــفر
وهؤلاء الذين أخفوهم في المقبرة يصيحون فى الليــل ·
ليست صفرا ، انتبــه ، انهم يصيحون ، انتبــه ·

(١١)

يأتون ، يمضون ، يأتون من جديد ، خطوات مسموعــة ، ثم
تتــلاشى
الصمت متزاحــم فى الأركان ، كروت البريد التى مرت على
الرقابة من المنفى مبعثرة فى الهواء

٤٨ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ومزق كبيرة من ورق خشن تشـابكت بين أرجلهم
من النافذة الصغيرة عاليا هناك ، تنظر لأسـفل
أكشاك بها نظارات داكنة ، نظارات للشمس أو ــ بالأحرى ــ للظلمـــة
الجرائد تتوافق بسهولة مع الأحداث الجديدة
الجيوب تصبح كافية للأصابع ، والناس ، والتاريخ
ترام قديـم مرمى فى الحقل وسط نبـات القراص المبـلول والأشواك
معان أخرى تتجمع في تبادل حر في قبعة الشحاذ
المرأة العجوز تقول للفتاة : انتظرى وسأغسل وجهك سأغسل ثيـــابك
الرجل العجوز يشعل النار ، يضع قدرا عليها
مثل الزمن الذى ترك فيه « فانجيليس » وردة على المنضدة
وفجأة أصبح كل شيء مستحيل التفسير، محيرا و ــ مع ذلك ــ جميـلا والى الأبـد
وكنا محزونين لأننـا ــ حتى ــ لم نفهمه
وتقول « مارثـا » انها ليست تبريرات ، لا
ولا براهين تقول ــ فى الصيف حينما ذهبنا الى الشاطىء
ها هو « بيتر » ، ها هو « ليفتريس » . ، و « كاتينـا » ، و « نيوفى » ، و « كاكيـا »
بعد توزيع الكراسات كانت هنـاك قنافذ وقنديل البحر على الرمـــل
حدس شعرى عظيم بالفواكه والقوارب
فعندما يخلع الرجل ثيابه يدير العالم وجهه
وبين حصـاتين ورديتين يمكنك أن تؤمن بعمل عظيم سيأتى بالتأكيـد ليمضى
قطرات صغيرة تسقط من الشعر بين حلمتى الثديين
تلك الأشياء التى نعتبرها زائدة كانت تعود : سلة من أغصان الكروم ، ملاءة بيضـاء

قيلولة قصيرة فى الظهيرة وسط صنوبر الشاطىء والزيز
والا ــ تقول « ماريا » ــ فلن نعرف السبب فى النضال وفى
أى شىء
سيكون شعورا يستحيل نقله مثل بار مغلق على الكؤوس
المهشمة ، كما لو كان الذنب ذنبى
وكنت أقف بالشارع أنظر الى ما بداخل النافذة
فرأيت احدى فردتى حذائى مرمية هناك على القرميد رغم أنى
كنت أرتديهما
بل اننى انحنيت لأعقد رباطى الحذاء حتى أتأكد وكانتا
موجودتين بالفعل
الى أن تذكرت أخيرا أننى خارج على القانون وخلعتهما .

(١٢)

ما أسموه ــ فى النهاية ــ مجدا أو عصيانا أو تضحية
يوم بالغ الشفافية كأن لا شىء جديرا باللوم قد حدث الليلة
الماضية

أبعد قليلا فى الأسفل كان يمكن للمرء أن يسمع الهتافات
اطارات النوافذ كانت تغير ألوانها ، وساد الأحمر
الموسيقى طافت فى مكان آخر ، وكراسى البارات ظلت خاوية
كانت النوافذ تتحول الى أبواب ــ كان يقول ــ « سأخرج »
وانطلق فى السماء بسهولة كبيرة
فوقها كل شىء طبيعى ، ومن جديد
تتحول النوافذ الى نوافذ مرة أخرى
أكثر ضيقا من ذى قبل ، أكثر انغلاقا
ثم الحائط وحده
ثم المسامير فى الحائط
قمصان غير مغسولة تتدلى من المسامير
أهنا سنبقى اذن ، أهنا سوف نجول ؟ سأل

الشيء الوحيد الذى التقطه كان باقة زهور سقطت على الضوء
بصوت مسموع
زهور بيضاء ، ما من واحدة أفلتت من الرباط المبلول
جاءوا بالاناء ، أخرجوا السمكة الذهبية ، وشربوا الماء
ومن المبنى السكنى عبر الشارع ، كان الناس ينفضون
المناشف
كأنهم ينفضون الغبار عن مصباح غير موجود
ما من أحد فى مزاج طيب ، عندما يسقط الليل
كيد مقطوعة فى كشاف الضوء المتلاشى لمحرك النيران
تنتصب المدينة مرئية على حافة الدخان مع الألواح المحترقة
دوافع غريبة تخلق مواقف غير متوقعة
تماما مثل الأكاليل الكثيرة على مدخل الجبانة
مثل نعش زجاجى يقف عموديا ويمشى بمحاذاة الأعلام
والميت يقفز الى الاستاد ، ينتصب ملفوفا بالأسلاك والتهاليل

(١٣)

العدم هو الأسهل ـ يقول ـ فهو يتخذ شكلا بسرعة خاطفة
وخاصة لو انها الصالة بالمرآة القديمة والأحذية الملطخة بالطين
معطف المطر الأبيض على الحامل المتهالك، وتفاحتان على الكرسى
الأسود
رحلة سعيدة قال ، رحلة سعيدة ودولاب الملابس
يرقد مفتوحا على الأرض، مع مناديل مبعثرة، وملابس داخلية
وجوارب
احتمالات كثيرة ، نخيل ، أراجيح ، فاكهة ، بكرات
بلا حقيبة ، ديون ومسئوليات ، العدم سهل ـ يقول ـ
« يوريس » كان جالسا فى الحديقة يشاهد سيقان الفتيات
العابرات
تدلت حلقة ذهبية من أعلى
كان بائع الجوز أعرج ، ماهرا فى صناعة القراطيس من الجرائد

والآخرون على ارتفاعات عالية فى صندوق زجاجى طويل مع
حاسب اليكترونى
كانوا يتكهنون بالنبوءات ، يرتبون الآلات ، أية فرصة تلتها
لكن الناس ــ يقول ــ ليس لهم سوى يدين، ويملكون التضامن
السرى
رأس ثقيلة من الضرب فى الجدار
قصاصات من جرائد ممزقة احترقت فى مطفأة السجائر وأنت
عليك أن تتحدث عن الأشياء الصعبة ، الهائلة ، الواضحة ،
الاجبـــارية
مثل الحارس على البوابة الأسمنتية طوال ليلتين ، ثلاث ليال ،
يقـاوم النوم
وكيف تجد الوقت لتأخذ من جيبه المرآة الصغيرة والمشط
لتمشط الى الوراء قليلا شاربه الذى طال فجأة
وما ان سقط فى النوم واقفـا ، حتى أتى « كارايسكاكيس »
فى منتصف الليـل ومشطه لـه

(١٤)

أولوية الماء ، والخبز ، والنوم ، تكرارات
الجذر التوى تحت النسيان ، سنلتقى من جديد
وفى ركن دكان الفاكهة ودكان الزهور ، هنـاك مقايضـة ،
أضواء فى المســاء
يمر القطار خلال النفق محملا بسمك مجمد
وأصوات عاليـة محفورة على الصناديق الخشبية
آخرون يحتاجون الى التدخل ، وآخرون يتصدرون ، وأولئك
يتـــلاشون فى الابتعـــاد
حلاقو النساء فى باروكات حمراء يعودون الى البيت فى الفجر
وعمال المصانع بالمفكات ، والزرديات ، ولفـات ورق
موسيقيون عميان يدخلون المحطات ، يغنون عن المدينة المتألقة

غجر ، وعرافون يدخلون : « سيكون حظك عظيما »
والأسود سينقلب الى أبيض ، فاترك لحيتك تطول الى صدرك
وعندما تدق الطبول الصفيح فى الليل ، انتظر فى موقف الأتوبيس
فهناك منزل من زجاج مضاد للرصاص
بداخله يمكن للمرء أن يرى بيانو كبيرا ، ومقاعد جميلة ، وصورا .
فى الغرف التحتية تتآمر الفئران
وصلنى خطاب بمظروف جنائزى أسود، سيشعلون الشموع، ويروون حكايات
عن الموتى ، عن الأطفال بالمقاليع ، عن أشجار الصنوبر فى العاصفة
سفينة غريقة ، قمر تهشم بصورة رأسية
عمال التلغراف فى مواقعهم
والفتيات الكاتبات بأظافر ذهبية ينتظرن الوثائق الأخيرة
لا أستطيع احتمال هذه الهيولى ـ يقول ـ موقد الكحول ، الكوب ، أعقاب السجائر ، وشعرى
أقضم اصبعى ، أضع نعلا ثانيا لحذائى العسكرى
لأنصت الى الجذر فى الأرض وهو يصوغ الأوراق فى عقله .

(١٥)

نقلنا الموازين فى السر ، وزنا اللحوم، والكلمات، والسكاكين، والساعات
كتبنا أرقاما فى كراسات على المناضد
ونحن نجمع ، نطرح ، نضرب ، نقسم
ودائما ما يجىء المجموع ناقصا ، فنبدأ من جديد ، كنتم مخطئين
وكانت « هيلين » واقفة عند الباب ، مضاءة

بفعل نافذة دكان الألبان عبر الشارع، وجبينها ملون بالأزرق الفاتـــح
الوهج الوردى تحت ذقنها ، وشعرها بنفسجى
لابد أنها أنهت حساباتها
يدها اليسرى كانت غايـة فى الرقـــة
ولابد أنها قد أجابتك اذا ما كنت سألتها
وانحنى رأسها كأنها قالت : « نعـــم »
أتوبيس يمر كل عشرين دقيقـة
وعليك أن تحسب بدقـة كى لا تنتظر
الضوء أكثر كثافـة فى الحفر الطينيـة
ول « فانجليس » شهوة ـ عمياء مثله عندما يتهيج للنساء
وثيابه تفوح برائحة نكاح ونيكوتين
الشبان الآن يدخنون أكثر
وهكذا الفتيات أيضا ليقللن الفارق بين الجنسين
فيما بعد عندما ذهبت الى الغرف العلويـة
صدمتنى مرة أخرى رائحة الأنتيمون غير المشروع
الا أننى لا أســتطيع النســيان ، فصحت بصوت أعلى لأغطى نفسى
وكان « بيتر » واقفـا بصورة صارمـة عند البـاب
وصوت الآلة الكاتبة كان مسموعـا خلف الســتارة
وكل واحد كان يفكر فى عزلة ، لا يعرف الموتى شيئا عن هذا المجـــد
والموت يصبح أكثر صعوبة، ستبدأ المساومات والمضاربة حالا
قيمة الخصوصية ـ يقول ـ البعد المسطح للمكعب ـ يقول ـ
علقوا منشفة حمراء هائلة فى الحمام
تغطى الحمام كله بقرميـد أسود لامع
وفاح بصابون معطر ، ولوسيون ، كولونيا ، معجون أسنان .
وشــعر مســتعار
لم تكن هنـــاك رائحة لجســد انســانى ، أو منى . أو لقدم رياضيـــة ،
أو لفم قبل بعمق ، خرجت لأبول على العشب .

(١٦)

كانت الأتوبيسات تجيء من المناطق المجاورة النائية فى
الصباح الباكر
حشود ، عمال ، موظفون ، أطفال ، نساء بماكياج قليل
كعك السمسم ساخن ، جرائد ، كانت المدينة مهجورة فى
الصباحات
نفس الحركات ، نفس العناوين السوداء ، ضباب خفيف
معطف رمادى ، مثقوب بالعثة ، فى « هافتيا »
وبينما كل شيء يبدو كما هو ، كان واضحا أن شيئا ما قد
تغير
فى هذا الوجه قطع من حلاقة متسرعة
وهذه الفتاة الصامتة ، شعرها طوحته لأعلى هبة ريح سرية
سوف تخونها
وهذا الولد يده اليسرى فى جيب بنطلونه ما تزال تتشبث
بانتصابه الصباحى ـ البلدوزر يبدأ فى العمل
هذه الضوضاء ضرورية لتغطى الصمت المحصن
تمضى مع الوريد ، مع الطرق داخل المعابد
زوج من الزرديات على الكرسى ، حلم بلسان مقطوع
منشار على الأرض ، مشط فى الجيب الخلفى للبناء
سلم ، أغنية متشظية بكلمات أخرى
صندوق خشبى مع قطرات طلاء
فعاليا فى مواقع البناء هناك أسمنت سريع الالتصاق
وبذلك فلم تنس هذه الليالى مع الشبابيك الحمراء
نيران فى الأرصفة ، الأصوات الحرة للمسجونين
الانسجام الكامل ، المنطق البسيط ، السيجارة المشتركة
النساء العجائز وكل واحدة معها حقيبة سكر ، وقليل من
القهوة ، والبرتقال
الكلمات والأشياء التى تنتمى لنا جميعا ، قال
الليلة العظمى تنتهى بالأعلام .

ما قد قيل مرات عديدة كان يعود بمعان أخرى ــ
لأليكوس بحزامه المشدود تعبير طفل غاضب بعد مشاجرة
بقذف الطوب
خلف ظهره أشجار وأنهار صغيرة مختبئة
و « مارثا » ترتدى ثوبها الأزرق ،وشعرها
مصفف على طريقة يوم أحد قديم يجىء من المستقبل
« ديمترى » يبين من الحائط ، ينغلق الحائط خلفه
كيف لجبل أن يقترب وليس معه سوى شجرة واحدة وخطى
منحوتة فى الصخر
وتحت الشجرة نبع تطفو فيه الأوراق .
غريب ــ تقول « ماريا » ــ لقد احتفظت بشمعتين فى الدرج
ذابتا دون أن أشعلهما ، لم أجد سوى الذبالتين الصفراوين
أشياء كثيرة تحترق من تلقاء ذاتها مستسلمة لزمنها الخاص
فى الليل وأنا نائمة أسمع ناقلات ضخمة
تدخل فناء الكنيسة ، أدير مفتاح الضوء
أنظر الى صورتى فى المرآة وأبدو مشابهة كثيرا لنفسى .
مشابهة تماما لشخص غريب
أريد أن أرسم وجهى أحمر ،
و « ميروبى » كانت تأتى بورد من الحديقة كأنها أصيبت
بفقدان ذاكرة مفاجىء
ولهذا يبدو الرجال ــ مع ذلك ــ مقطوعين من قماشة أخرى
ــ فلأحضر لك بعض الفاكهة من الثلاجة
هراء ــ قال « الكسندر » ــ هراء ، لقد رأيتهم
فرسانا وسيمين على جيادهم السوداء الطويلة
وحوافر الأحصنة لا تكاد تلمس الدرج الرخامى
اندفع الراقصون المحاربون نحو المعبد وهم يمسكون بالأعنة
كانوا يقفون ساكنين أمام الأيقونات ذات الحجم الطبيعى

عيونهم ـ شرارات مثبتة على العيون المرسومة
غضب على النكران واستبدال القديسين
الكبرياء الرجولي في مواجهة الأسى الواهي
لحظة واحدة وبعدها قبضوا على الأعنة واندفعوا في الشمس
خلفهم كانت الدراجات البخارية تسرع ، لم تستطع أن تلحق بهم
انكسرب نظارة الرجل القصير النظر على العتبة
والقلنسوة السوداء الخشنة تتماوج على الصخور كغابة أشجار كاملة
فلتتذكر التاريخ في لحظاته العظيمة
أما الباقي فعويل على الهاربين والمخصيين .

(١٨)

ثم أصبحت الضواحي مهجورة ، تلاشت الأشجار
أصيل أصفر طويل كان يتدلى من مرآة الحلاق
وعربة بائع الجوز مهجورة أمام دكان النجار
عندي صداع نصفي ـ قالت « مارثا » ـ طنين من أشياء لا أعرفها
تلك التي حدثت وتلك التي لم تحدث بعد
وأنا فيها بنفسي ، أمسك مشطا لكنني لا أمشط شعري
اننا نتردد بين خوف وانتصار ـ قال « اليكس » ـ عند نقطة مجهولة
ومعنى التأخر نفسه غامض
ماذا عن ، من أين ، من أجل ماذا صنعت ثقبا ـ تقول « أنا » ـ في زجاج النافذة
ثقبا ناعما دون تهشيم الزجاج ، أدس اصبعي فيه
كأنني أبحث عن عين غريم يمكنها ـ رغم ذلك ـ أن ترى
انه من نقص النوم ، يقول « بيتر »
بل هو من الانتظار ـ تقول « مارثا » ـ

وهو بسبب شيء ما علينا أن نفعله ولا ندرى ما هو ، أو كيف.
أو متى
والشموع تنطفىء أمام الباب أو تتلاشى وراءه
عندما تغرس عصـا فى حفرة الجير الحى
وتتوقـع أن تعثر على معنى الايماءة أو تعثر على كلمة
لأن ذلك لابـد أن يحدث ليستمر
والا ما حدث شيء
ولابد أن الشبان الذين قتلوا غاضبون علينـا
وسوف يجلسون فى المسـاء على مقـاعد وطيئـة متظاهرين
بتطريز كيس وسـادة
لئلا يروا عيوننا التى فقدت الهدف
وسوف يرفعون الصمت الى أعلى مثل فتيـل المصباح القديم
المنسى
وعندما دخـل الكلب الحجرة أحس بندمنـا فورا من دخـان
السجائر الكثيف
فتظاهر بأنه لم يفهم شـيئا ، شـد ـ فحسب ـ طرف ثوب
« ماريـا »
وخرج بلا صوت كأنه يرتدى حذاء من مطاط لرجل ميت
آنئذ نهضنا فى الحال جميعا ، خرجنا الى الشارع فى منتصف
الليـل
وكتبنا على جدران المخبز ، ومصنع الأسمنت، ودكان الزهور
نفس تلك الكلمـة المتجانسـة

أتناجارج أتناجارج أتناجارج

وبعدها سمعنا بوضوح فوقنا التنفس العميق للأعلام المخبأة

أتناجارج أتناجارج أتناجارج

ذلك ما كانت تهتف به الأعـلام .

* * *

أثينـا ، كالامـوس
١٧ نوفمبر / ١٩ ديسمبر ١٩٧٦

القصيدة مكتوبة فى الأصل بدون علامات ترقيم

روميوسيني : قصيدة ريتسوس التى قام ميكيس ثيودراكيس بتلحينها . وقد تم منعها خلال الحكم الديكتاتورى. وأصبحت رمزا للمقاومة.

ثيودوروس كولوكوترونيس : أحد قادة حرب الاستقلال اليونانية .

جورجيوس كارايسكاكيس : أحد أبطال حرب الاستقلال اليونانية .

الأنتيمون : أحد العناصر الهامة للخليط المستخدم فى الطباعة . « الأنتيمون غير المشروع » اشارة الى مطبعة سرية .

* ضــوء

غصن صغير من شـجرة لوز
أمـام النافـــذة ،
غصن صغير فحسب
يخفى نصف القريــة ٠

الحب يخفي بكفــه
كل العـــالم ٠
لا يبقى ســوى الضــوء ٠

* وحـدة صغيرة

في ركن الفنــاء ، وسط المياه الصابونيـة
انحنت بضـــع وردات تحت ثقـل أريجها ٠
ما من أحد أبدا تشـمم هذه الوردات ٠
ليست هناك وحـدة صغيرة ٠

* الخيـــال والواقـــع

« أفعال تافهة » ، قال « ناس تافهون ، أثاث تافه ،
زهريــات ، مطفآت سجائر ، محابر ،

مناضد عرجاء ، أسرة غائرة ــ تكرارات » ·
أمسك بنفسه ، بكلتا يديه ، من الهواء ، كما لو من عارضة
سقف لا مرئى وظل هناك ، معلقا ·

شخص ما عابر ، برغيف خبز فى يديه
توقف برهة وسأله : « ما الذى يجرى ، يا صديقى ،
لماذا تسحق قدميك ، لماذا ترفع ذراعيك عاليا ؟ »
وقطع شريحة خبز وقدمها له ·

أخذها الآخر ، وضعها فى فمه ، نظر حوله مدهوشا
وهكذا ، مع امتلاء فمه ، بدأ الكلام
فى وضوح ، فى بساطة ، فى دفء ، وتقريبا فى بهجة ·

*** مشهد ريفى طبيعى**

منضدة فى برودة الغرفة ، ثلاثة مقاعد ·
عنب على المنضدة ، ماء مثلج ·
حمرة الطماطم فى مقابل الطبق الأبيض ،
رشح الملح على القطع فى لحمها ·
أسماء صغيرة لخضروات وفواكه تنتشر فى الصالة ·
فى المرآة على الجدار ، السماء · وخارج الباب
خس ، وكمثرى ، وفول أخضر ، وبامية ، وباذنجان ــ
حديقة الله الصغيرة · كيف يتمشى
الغدير فى خطوات قصيرة ، صغيرة متقافزة · نعمة ·
يد ترسم شارة الصليب ·
ظل اليد متواضع على الأكواب ·
مشهد طبيعى صغير ، جليل ، فى اتساق · بعد ذلك بقليل
ترمى يد القداسة الهائلة المعقودة

ظلها على الظهيرة الذهبيـــة ، البـاهرة .
الهى ، فلتكن مشيئتك ألا تسمح لنا برؤية ما أمامنا ولا ما فى الوراء .

* ظهـيرة

الشمس هنا لا تمزح ـ هذه الشمس الحانقة ، الجبارة .
بحاجبها المعقود ، بفكها القوى ،
بصدرها ذى الشعر الكثيف العارى من الكتفين حتى البحر .

شهر . شهران . شهور .
أحصيناهـم جميعا ، ظهور محملة بالحجر والفزع .
اصـــبع محنى ينقر كتف الابريـق
ليسمع صوت الماء بالداخـل ،
مثلما نسمع صوت المرأة خلف البـاب ،
أو مثلما تســمع المرأة صوت أصغر نجمة ،
أو مثلما تسمع النجمة ثغـاء الغســق .

ظهيرة مديـدة هنـــا ،
مديدة كيوم أحد فى الريف بلا أطفـال
ـ ظهيرة تدوم من الصــباح الى المساء .

لو كنا أقل عطشا، لما فكرنا فيها ،
لو كانت هناك شجرة على منحدر فى قمة الجزيرة ،
لو كانت هناك حفنة ظل ، مرارة أقل ، ظلم أقـل .

لا نتذكر شكل الشجرة ــ أربما
تشبه راية هائلة من ماء ؟
أتشبه « شكرا » سمعت منذ زمن بعيد ؟
أتشبه يدى حبيبة عثرت على يدك ؟

بعد غد سنغرس ألف شجرة .

* اعتياد

شمس من حجر ذهبت معنا
حارقة ريح الصحراء والأشجار الشوكية .
استرخى الأصيل على حافة البحر
مثل بصلة صفراء عارية فى غابة غامضة بالذاكرة .

لم يكن لدينا وقت لهذه الأشياء ــ ومع ذلك
فبين الحين والآخر كنا نرفع أبصارنا ، وهناك على بطاطيننا
مع الأقذار ، وبقع الزيت ونوى الزيتون
بقيت بضع أوراق من الصفصاف، وبضع أوراق من الصنوبر .

وحتى تلك التى كان لها وزنها ــ أنواع عادية من الأشياء ــ
ظل مذراة على الجدار نحو الغروب
وقع حوافر حصان فى منتصف الليل
مسحة وردية تتلاشى فى الماء
فتترك الصمت أكثر وحدة فى يقظته ــ
وفى الأسفل وسط القصب والبط البرى ، الأوراق المتساقطة
من القمر .

لا ، لا وقت لدينا ــ ما من شىء نحتفظ به ،
عندما تتخذ الأبواب هيئة الأيدى المعقودة
والطريق هيئة رجل يقول « لا أدرى شيئا » .

ومع ذلك ، عرفنا أن فى البعيد عند المفترقات العظيمة
كانت هناك مدينة يضيئها ألف نور ملون
حيث يحيى الرجال بعضهم بايماءة رأس بسيطة ـ
نتعرف عليهم من أيـــديهم
من الطريقة التى يقطعون بها الخبز
من الظلال التى يرمونها على مائـدة الغداء
عندما يزداد كل صوت نعاسـا فى عيونهم
وترسم نجمة وجيـدة صليبا على وسادتهم ٠

نعرفهم من الكفاح الذى يجعد جبينهم
بل الأكثر من ذلك ـ عندما تعمق سماء الليل فى الأعالى ،
نعرفهم بطريقتهم المتآمرة ، الرصينـة
وهم يفتحون قلبهم كمنشور سرى
تحت البـاب الموصـد للعـالم ٠

✽ غرفـة الشـــاعر

الطاولة السوداء المنقوشة ، والشمعدانان الفضيان ، وغليونه الأحمر ٠
يجلس ، غير مرئى تقريبا ، فى مقعـده الوثير ،
وظهره دائما الى النافـذة ٠
من وراء نظارة ضخمة يراقب ـ فى حذر ـ كل زائـر
يسقط عليه الضوء الكامل ، وهو ـ نفسه ـ مختبىء وسط كلماتـه ،
خلف أقنعته فى التاريـخ ، بعيدا ، منيعـا ،
وهو يشد الانتباه الى شرك الوهج الرهيف لخاتم من ياقوت فى اصبعـه :
انه على أهبة تذوق عباراتهم ، مثل مراهقين ساذجين
يبللون شفاههم فى تبـاه ـ بلسـانهم ٠

ويجلس هناك ، شرهـا ، شبقا ، ماكرا ،
امرؤ بـــلا اثـــم ،
متأرجحا ، بوجوده كله كدفتى ميزان فى يـد الله
متأرجحا بين نعم ولا ، بين الرغبـة والنـدم ،
فيما الضوء من النافـذة وراء رأسـه
يتوجه بتـاج المغفرة والطهارة ٠
« لو لم يكن الشـعر غفرانا » ــ يهمس لنفسـه ــ
فلا انتظار ــ اذن ــ لرحمة فى أى مكان » ٠

* لا ، لا

هذه الأشياء البطولية ، الفاتنة (ربما الساذجة ــ الفاتنة ، مع ذلك) ــ
الأحجار البيضاء الضخمة ، المطارق ، وهؤلاء العرايـا
فى الورشات (معظمهم مصارعون ، وملاكمون أشـداء)
وساقان انفرجتا فى توازن زائد ، لا ، لا ،
ذلك ليس شيئا مضحكا ــ يقول ، انه يتجاوز الأسى ، ــ
ذلك الكلب المهزول ، المغطى بالقراد والقروح ،
الذى يشرب ماء قذرا من دلو الغسـيل
المتروك بجوار التماثيـل شبه العارية للأبطال الموتى ٠

* آنئـذ والآن

كانت الآلهة دائما ما تتدخل فى اللحظة الأخيرة
لتمنع ما هو أسـوأ من الوقـوع ٠
فقبل أن ينهى الرسول الكلام ،
أو قبل أن يكتمل تشكيل صورة دمار السفينة فى ذهن الملك.
كانت أثينا تظهر على سطح المعبد ،
فتخاطب الملك البربرى واليونانيين الذين جذفوا بعيدا

فى زورقهم ذى الخمسين مجدافا : « المصير » ، أعلنت ،
« هو واحـد لكل من الآلهة والمخلوقـات ·
ولهذا فغضبك يا « ثاءوس » ، ليس مناسـبا ·
أما أنتم أيها الأخرون – أتمنى لكم ابحارا صحوا » ·
لكن الآن لم تعد هناك آلهة ، ونخاف الأسوأ –
ذلك الغضب المناسب – حتى ولو كانت سفينة أوريست
قد تحطمت بالفعل على الصخور فى الأسـفل ، حتى ولو لم يبـق منها
سوى لوح خشب وحيد طافيا ، منقوشـا بكلمة
الصـــمت ·

* المدينـــة الأخـــرى

هناك قفار كثيرة تتداخل – يقول – صعودا وهبوطا
وأخرى فى الوسـط ، قفار مختلفـة أو متشابهة ، بعضها اجبـارى ، ضرورى ،
وبعضها كأنه اختيارى ، كأنه حر – لكنها دائما متداخلة ·
مع ذلك ، ففى العمق السحيق ، عند المركز ، هناك قفر وحيد – يقول ،
مدينـــة جوفاء ، كرويـــة تقريبـــا ،
بلا اعلانـــات اليكترونيـــة متعـددة الألوان ، بلا بقـالات أو موتوســيكلات ،
وحده الضوء الأبيض الفـارغ للضـباب ،
تكسره ومضـات اشـارات غير مألوفـــة ·
فى هذه المدينة ، عاش الشعراء لزمن طويل ، طويل ·
يمشون بلا صوت ، أيديهم معقودة ،
يتذكرون مشـاهد وكلمات وأشياء منسية ، غامضـة ،
هم – الذين يمنحون العزاء للعالم – دائما بلا عزاء ،
فريسـة للكلاب والناس ، والعثة والفئران والنجوم ·

قريسة أيضا لكلماتهم ـ هم أنفسهم ـ التى نطقوهـا أو لم ينطقوهـــا ٠

❋ حفـــلة تنكريـــة

وسط الأقنعة الكثيرة فقد وجهه ، ينظر ـ
القناع الأحمر ، الأزرق ، الأسود ، الأصفر ، وذلك القناع .
البنفسجى مع الترتر حول الفـم والعينـين ،
أو هذا الآخر باللحية المتعجرفة الطويلة ـ انه أول ما ارتدى
عندما كان فى العاشرة ـ كان يناسبه تماما
(وثبت أنه كان حقيقيا بشكل كامل تقريبا بعد حوالى خمسين عامـــا) ،
والقناع الأبيض ، الجبسى ، بعينيه الحاويتين وبلا أنف ، كأنه يمثـل موتـــه ، ـ
كان يريحه ، ارتداه كثيرا ، ولم يكن سوى
رطوبة الجبس وذلك الغبـار الدقيـق ،
كان خائفا من أن يلتصق بجلده (آه ! هذا القناع كان وجهه حقـــا) ،
هناك على الجدار ـ انه هناك ، معلق ،
يدس غليون بحار بين أسنانه ، يضـع نظارات شمسية على عينيـــه ـ
عينين غائرتين ، عمياوين ، تحدقان فيه ،
تدفعـانه الى اختيـار جديد ـ مرة أخرى ، القناع الأحمر ، الأصفر ، الأزرق ٠

❋ ركـــود

تلك هى الكيفيـة التى اعتدت بها على كل شىء ـ قال ،
حتى تلك الأشياء التى ربما أدهشتنا ذات يوم ،
هى الآن عاديـة وباليـــة ٠

وليست المسألة فحسب أن الأشياء تذوى
فعيوننا أيضا تذوى ـ الآن يتجنبون النوافذ الملونة ،
والأضواء الصناعية القوية ـ يفضلون الآن الممرات المعتمة
أو الطرق السرية المتماثلة ـ تماثلها يشبه الأبد ٠
ولم تعد تراها غريبة أن تبدأ السماء فى الهطول عند الفجر ،
أو أن تدق ساعة مبنى البلدية الثانية عشرة فى الظهيرة ،
والساعات المتروكة بالخارج لا مبالية ، وحيدة ،
مكشوفة فى العراء ، غير مشبعة أبدا ٠
امرأة مجهولة تتجول فى المنزل ، شعثاء ،
وجواربها النايلون ترتخى راكدة ٠

* التناقضات المعتادة

الكلمات ـ قال ـ الكلمات التى لم تنطق ، رفقتنا الوحيدة ،
ندرسها ، نقيمها ، تقيمنا ـ يتعمق المشهد الطبيعى ،
لا تعثر فحسب على عظام ، بل أيضا على أجنحة وأجساد
جميلة ـ
تلائمك ، تلائمها ، تتلاشى ، ها قد رحلت ٠
يعثرون علينا خلف الأبواب ، الجدران العالية ، متحفظين ـ
تعرف ذلك ـ انها الوسائل الوحيدة للتواصل ٠
الحوائط الخشبية بين الغرف تتحول الى زجاج ٠
ترى الكلمات وهى تسقط على منضدة الطابق التحتى العارية
بصوت أجوف
مع حشرات الليل حول المصباح الخارج على القانون ٠

* ازدهار غير طبيعى

أراد أن يصرخ ـ لم يعد يستطيع الاحتمال ٠
ما من أحد كان هناك ليسمع ،

ما من احد اراد ان يسمع ·
هو أيضا كان خائفا من صوته ، فأغرقه بداخله ·
لا بد لصمته أن ينفجر ·
ولسوف تتناثر شظايا جسده في الهواء ·
سوف يلملمها بعناية ، بهدوء ،
يعيدها الى أماكنها ليسد الفجوات
واذا ما عثر بالصدفة على خشخاشة ، أو سوسنة صفراء
نحيلة ،
فسيلمها أيضا ، ويضعها في جسده ،
كأنها كانت جزءا منه ـ
هكذا كان ، مع امتلائه بالفجوات ، مزدهرا ، غرابة ·

* حفريات ١

٢٢٠٠ ق·م ، ١٩٦٥ ق·م ، ٨٢ م ـ زهريات فاتنة ،
معبد أبوللو ، الساحة العامة، أبعد في الأسفل النبع المقدس،
عملات ذهبية ، وفضية ، وبرونزية ، محفور على أحد وجهيها
« بيرين »
و « بيجاسوس » على الآخر ،
المنصة حيث وقف « بول » ليدافع عن نفسه أمام القنصل
« جاليو » ،
أجزاء من مبنى ، وأساسات ، وجدران ، وأجساد ساكنة من
حجر ،
سلالم بلا حصر ، سلالم بيضاء الى أعماق الأرض ·
« أنا ، عزيزتي أنا » ، تمتمت المرأة العجوز ·
« ما فائدة كل هذه السلالم ؟ ،
نصف خطوة الى أسفل فلا يمكنني العثور عليك في أي مكان» ·
واصل السيد « ويليامز » حفرياته الرائعة ·
وعلى أحد الأجناب بالخارج، كان جورج المراكبي يزرر بنطلونه ·

ومض مشبك حزامه في الشمس ـ
تماما مثل حزام بوسيدون الكورنثى ٠

⁂حفريـــات ٢

عليك بالمواصلة ، الى الأسفل أكثر ، أعمق ـ
ينقصك اصـبع ، يد ، ينقصك ضـلع ، والسيف ، والعنب الذابـل ـ فلتواصـل ٠
القديم يكملنا ٠ ما الذى يمكن أن يأخذوه فى الحاضر منك ٠
لكننا نحتفظ بالآخر ـ رفيقا سريـا ، مفيـدا فى التمشيات المنفردة
عنـد النزول الى الموانىء القـديمة فى ليشـايى وكينشيراى وكورنثـة
أو هنـا على شواطىء سـاموس ٠
فى أصـائل الصيف الحار يرتشف أهل سـيكيون الصودا المثلجة فى مقهى كياتو ،
الآخرون يصطادون السمك فى المرفأ بالصنارة ٠
نساء صامتات يحملن ماء الخلود فى جرار ملونـة رائعـة
تحت أشـجار الحور والليلك ٠
دع قمـة كورنثـة الى السيد « سترونجـا » ،
دعـه ينقب عن كنوز « كياميك » بك ٠
وستشعل محرقة الموتى ، فترمى بضوئها
على موكب التماثيل العارية التى نخبىء أنفسنا بينها ،
وبمفتاح ، كاعلان ، تندس قصيدة فى ابطنا ٠

⁂ مشـــهد

فى الرواق ، وقفت المرأة الحزينة ، والمحامى ، والحارس ٠
فى المكتب المجاور للبـاب يرن التليفون ٠ « فى الرابعة » . قالوا « القـارب » ٠

« فى الرابعة » ، قالوا ، « تماما » ٠
قرقعت البوابة الحديد من جديد ٠
كانوا يجيئون بمزيد من الناس الى الساحة ٠
« سأرسل لك سجائر » ، قالت المرأة ٠
« حان الوقت » ، قال الحارس ٠
على الجدار كان عنكبوت كبير يزحف ٠
انفتح الباب الثانى فجأة ــ انكفأ الرجل الميت على وجهه ٠
والآخر اختطف العنكبوت ، ودسه فى فمه ،
وهو يضحك وأسنانه منطبقة ٠
« تكلم » ، صرخوا فيه ٠ « تكلم » ٠
« تكلم » ، هددوه ٠ لم ينطق بكلمة ٠ كان يضحك ٠
جلست المرأة على البطاطين وأخفت وجهها فى يديها ٠

✻ أحجار

تأتى الأيام ، وتمضى ، بلا مجهود ، بلا دهشة ٠
والأحجار تغوص فى الضوء والذاكرة ٠
واحد يجعل من حجر وسادة ٠
آخر يضع حجرا فوق ملابسه قبل السباحة حتى لا تطير مع الريح ٠
وآخر يستخدم حجرا مقعدا له ،
أو ليحدد شيئا ما فى حقله ، فى المقبرة ، فى الحائط ، فى الغابات ٠

فيما بعد ، بعد الغروب ، عندما تعود الى البيت ،
فان أية حصاة من الشاطىء تضعها على منضدتك
هى تمثال صغير ــ « تنايكى » صغيرة أو كلب « أرتميس » صغير ٠

وتلك الأخرى ، التى وقف عليها شساب بأقدامه المبتلة فى الظهيرة ،
هى « باتروكلوس » ذو رموش طويلة مسدلة .

* متتالية الاحساس

غاصت الشمس أرجوانية ، فبرتقالية
والبحر معتم ، أخضر لازوردى .
وبعيدا ، هناك قارب ـ
علامة سوداء متأرجحة .
شخص ما نهض وصاح : « قارب ، قارب » .
ترك الآخرون ـ فى المقهى ـ مقاعدهم ، ونظروا .
كان هناك ـ بالتأكيد ـ قارب .
لكن الرجل الذى صاح ،
كما لو كان ـ الآن ـ مذ
نظر الى أسفل ، وقال :
« لقد كذبت عليكم » .

* لحظة خشوع

كانوا ينخلون الرمل على الشاطىء ، وحملوا :
فى الشمس الحارقة كانوا يقطرون عرقا
بعد الظهر ، خلعوا ثيابهم ، امتطوا جيادهم ومضوا الى البحر ،
مذهبين سمرا من الشمس الحارقة ومن شعر أجسامهم .
أطلق شاب صرخة وأسقط يده الى مفترق ساقيه .
أسرع الآخرون اليه ، حملوه ، أرقدوه على الرمل ،
وهم ينظرون اليه صامتين ، عاجزين عن الفهم ،
الى أن أبعد أحدهم اليد ـ فى خشوع ـ عن مفترق الفخذين ،
آنئذ ، رسموا جميعا ـ وهم يتحلقون حوله ـ شارة الصليب .

والجيـاد ، بليلـة ، ذهبية ، تنشـقت ،
ورؤوسها تشير بعيـدا الى الأفـق ٠

* ذنـب

أخـذ قبعتـه وخـرج ٠
ظلت عند المنضدة بالقرب من المصباح ٠
عندما أصبح وقـع خطواته بعيـدا ،
نظرت الى يـدها فى الضـوء ٠
« انها جميـلة » ، قالت ٠
بعد ذلك ، كما لو كانت تبرىء نفسها أمام شخص ما هناك ،
أخذت الخبز الى المطبخ وأطفأت النور ٠
فى الخارج مرت عربـات الكارو والقمر ٠

* اذعـان

فتحـت النافـذة ٠
أطلقت الريح ، فى هبـة مفاجئـة ، شعرهـا ،
كطائرين كبيرين ، على كتفيها ٠
أغلقت النافـذة ٠
كان الطائران على المنضـدة ينظران اليها ٠
أحنت رأسها بينهما
وبكت فى هـدوء ٠

* رحيـل

تلاشى فى نهايـة الطريـق ٠
كان القمـر عاليـا ٠

صرخ طائـر على الشـجرة ·
انها قصـــة عاديـة ، بسـيطة ·
لم ينتبـــه أحـــد ·
بين عمودى اضـــاءة الشـــارع
بقعـــة دم كبيرة ·

* سـباق الظـلال

عند انقلاب الصيف ، حينما كان شديد الحرارة ،
كنا نتمشى لساعات فى الطريق المقدس خارج جدران المدينة ·
تراب لا ينتهى ، وعـرق ، وشمس تعمى ·
المظلة البيضاء مرفوعة فوق رأسى اثنين من الكهنة
بيـد اثنين من ذريـة « اتيوبوتـادى » ،
وهم ينزون عرقا ، فى حالة يرثى لها ، متمسكين بعجرفتهم ·
كان يبدو كأن الشمس كلها قد تركزت
على هذه الخيمة البيضاء البـــاهرة المتحركـة ·
عندما وصلنا ، فى النهاية ، والصخور العارية تعمينـا ،
غطينا الأيقونـــة بالتراب ·
آنئـذ ، توقف العرق فى الحـــال ·
نـدى عـذب رطـب المظـلة ·
ظهرت غيوم خفيفة فوق قمم التلال· سقط ظل على الرموش·
ربما كان من انهاك هذا المسير · لكن لا ·
كان الشبان يخلعون ثيابهم ·
والمباريـات الرياضـية كانت تبـدأ ·

* بعـد الهزيمـة

بعد تدمير الأثينيين فى « أيجوسبوتامى » ، بعده بقليل ،
بعد هزيمتنـا النهائية · تلاشت المناقشات الحرة ، والمجـد البريكليسي ،

وازدهار الفنون ، والملاعب ، ومنتديات فلاسفتنا •
الآن الكآبـة ، صمت ثقيل فى الأسواق ،
وقـذارة الطغـــاة الثـلاثين •
كل شيء (حتى أخص ما يخصنا) يحدث باهمال
دون فرصة لشكوى ، أو دفاع ، أو تبرير ، أو حتى احتجاج شـــكلى •
أوراقنـا وكتبنـا أحرقت ، وشرف وطننـا يبـلى •
حتى اذا ما سمح لصديـق قديـم أن يمثل كشاهـد ،
فسوف يرفض مخافـة أن يقـع فى نفس المتاعب ـ
وسـيكون محقـا بالطـبع •
لهذا ، فمن الأفضـل أن نكون هنا ـ من يدرى ،
فربما يمكننا أن نحظى بتواصل حى مع الطبيعـــة ،
ونحن ننظر الى جزء من البحر ، والصخور ، والغابات
أو الى غيمة عند الغروب ، نائية ، بنفسجية ، ترحل ، خلف السلك الشـائك •
وربما يصل ذات يوم « كيمون » آخر ، يقوده فى السر نفس النسر ،
وسيحفر ويعثر على رأس حربتنـا الحديديـة ،
صدئـة ، متهالكـــة ،
فيمضى الى أثينـا ، ويرفعها فى موكب للعويل أو الانتصـار
مع الموسيقى وأكاليـل الغـــار •

* ونحكى عنـــهم •••

بالطريقة التى انحدرنا بها مع كلماتنا وأفكارنـا ،
لا يمكن أن تربكنا الأمجاد القديمـة أو اللاحقـــة ،
ولاكتب السيرة لأرسـتيديس ـ
وعندما يبدأ أحدنا ـ أحيانـا ـ فى تذكر احداث الشـلاثمائة أو المائتى عـــام ،

يقـــاطعه الآخرون على الفور بـازدراء ، أو ـ في الحـــد الأدنى ـ بريبة ٠

لكن أحيانا ـ مثل الآن ـ عندما يصفو الطقس ذات يوم أحد ،

ونحن نجلس تحت شـجر الأوكاليتـوس ، في هذا الضـوء العنيـــد ،

يطغى الحنين الى الأمجاد القديمة على أحدنـا

ـ لا يهم ان كنا نصـفها بأنها رخيصـــة ـ

عندما بدأ الموكب في الفجر ، نافخ البوق في المقدمة ، خلفه المركبات المحملة بأغصان الغار والآس ،

ثم الثور الأسود وفتيان يحملون جرار اللبن والنبيـذ

من أجل القرابين وقوارير زيت وعطر جميلة ـ

لكن أكثر ما كان يبهرنا ، في نهاية الموكب ،

حاكم « بلاتيآى » بكل ما يرتديه من أرجوان ،

وهو الذى لم يكن مسموحا له بقيـة العام بلمس الحديد

وعليه بالتزام الأبيض في كل ثيابـه ،

الآن يرتدى الأرجوان ويحمل سيفا طويلا ،

عابرا المدينة في مهابة ، نحو مقابر الأبطال ،

حاملا جرة من جرار الدولـة ٠

وبعد غسل شاهد المقبرة ، بعد الأضحيات السخية ،

يرفع كأس النبيذ ، يعلن وهو يريقه على المقـابر

« اننى أقدم هذا الكأس الى أشجع الرجال

الذين سـقطوا من أجـل حريـة اليونـانيين » ، ـ

وتمرق رعشة خـلال غابـات الغار القريبـة ،

رعشـــة تظـل ترفرف خـلال أوراق هذه الأوكاليبتوس

وخـلال هذه الثيـاب المرقعـة من كل الألوان

المعلقة كى تجف في الشمس ٠

* الرقصـــة الجديـــدة

ليست أعذارا فحسب ، بل دوافع أصيلة ، نتائج هامة ـ
أهواء، ومصالح ، ومخاطر، ومخاوف ـ باسيفاى، والمينوتور،
والمتاهة ، وأرياذنى ، وخيطها الشبقى الجميل
الذى لا يرتخى ، فيقوده فى الظلام الحجرى ·
ثم عودة « ثيسيوس » الظافرة ·
توقف فى ديلوس وهناك رقص « ثيسيوس » حول الكيراتون
(المذبح الشهير المصنوع بكامله من قرون الحيوانات)
مع فتيان أثينا الذين رافقوه ، رقصة جديدة خارقـة
بخطوات متقاطعة ترددت ـ ربما ـ فى ضوء الظهيرة القوى ،
وفى المنعطفات المظلمة للمتاهـــة ،
وربما من يدرى ـ صنعت الطيور وزيز الحصاد هذا الصخب العظـيم
فى غابـة الصنوبر الصغيرة القريبـة ـ
ما الذى لم تستطع اكتشافـه ، وكنت مشـــدوها
من الشمس والانعكاسات الصـادرة من البحر ،
زجاج دقيق مسحوق ، والحركات الباهرة للأجساد العارية ـ رقصـــة خارقـــة ·
وفيما بعد نسينا كل ما يتعلق بالمينوتورات والباسيفايـات والمتاهـــات
وحتى أريـاذنى البائســة التى تموت وحيـدة مهجورة فى ناكســوس ·
لكن الرقصة سرعان ما انتشرت فى البلد وما نزال نرقصها ·
منذ ذلك الحين ، واكليل السعف مقضى بأن يكون
رمزا تذكاريـا للمباريـات الرياضيـة فى « ديـلى » ·

* أفـــول الأرجـــو

الليلة ونحن نتحدث عن كيف تمر الأشياء وتشيخ ، تصبح رخيصـــة ـ

النساء الجميلات ، والمآثر البطوليـة ، والقصائـد ـ
تذكرنا السفينة الأسطورية عندما جاءت الى كورنثة ذات ليلة ربيعيـــة ،
وقد نخرها السوس ، متهالكة ، ومساند المجاذيف محطمة ،
مليئة بالترميمات ، والثقوب ، والذكريـــات ٠
الموكب الطويل عبر الغابة ، بالمشاعل، والاكاليل ، والنايات، ومباريات الفتيـــان ٠
كانت الأرجو القديمة هبة فاتنة الى معبد بوسيدون ٠
ليلة جميلة ، ترتيل الكهنة ، بومة تنعب من قوصرة المعبد ،
الراقصون يقفزون ـ بخفـــة ـ على السـفينة
يقلدون الفعل العنيف بتكشيرة غير مهذبـــة ،
حركة المجاذيف غير الموجودة ، والعرق ، والدم ٠
آنئذ ، بصق بحار عجوز عند قدميه ومضى الى الغابة الصغيرة ليبـــول ٠

* يـــأس بنيـــلوب

لم تكن المسألة أنها لم تستطع التعرف عليـه
فى الضوء الكابى للنيران ،
لم تكن أسمال المتسول ، وتنـــكره ٠
لا ٠
كانت هناك علامات واضحـــة :
النـدبة فى مقدمـة الركبـــة ،
جسده المفتول العضلات ، ونظرته الماكرة ٠
حاولت ـ فى رعبها ، وهى تستند على الجدار ـ
أن تجد تبريرا ما ، مهلة ما ، كى تتفادى الرد ،
حتى لا تخـون أفكارهـــا ٠
أكان من أجله أن ضيعت عشرين عامـــا ،
عشرين عامـا من الانتظـار والحلـم

من أجل هذا البائس ، الغارق فى الدماء ، بلحيته البيضاء ؟
انهارت على المقعـــد بلا كلمـــة ،
أمعنت النظر فى الثيـــاب الذبيحـــة على الأرض ،
كما لو كانت ترى رغبـــاتها القتيلـــة ٠
قالت : « أهـــلا » ،
فتســـمع صوتها كأنـــه يجىء من بعيـــد ،
كأنـــه صـــوت شـــخص غريب ٠
والنول — فى الركن — يرمى بظله كقفص على الســـقف ،
والطيور التى نسجتها بخيوط حمراء زاهيـــة وسط الأخضر
تتحول الآن الى الرمـــادى والأســـود
وترحل مرفرفة خفيضـــة فى السماء الفـــاترة
لحنتها الأخـــيرة ٠

※ اثيـــــنا ١٩٧٠

فى هذه الشـــوارع
يمشى النـــاس ،
يهرع النـــاس ، يتعجلون
أن يبتعـــدوا ، أن يفروا (ممـــن ؟) ،
أن يذهبوا (أين ؟) — لا أعرف — لا وجـــوه —
منظفات للفراغ ، أحـــذية ، صناديـــق —
يهرعـــون ٠

فى هذه الشـــوارع ، فى زمن آخر —
مروا بأعـــلام كبيرة ،
وكان لهم صـــوت (أذكر ، سمعته) ،
صـــوت مســـموع ٠

الآن ،

يمشون ، يهرعون ، يجـرون ،
سـاكنين فى هـرولتهم ـ
يأتى القطـار ، يركبون ، يتدافعون ،
ضـوء أخضر ، أحمـر ،
البواب خلف الفاصـل الزجـاجى ،
البغى ، الجنـدى ، الجزار ،
الحائـط رمـادى ،
أعلى من الزمـن ٠

حتى التماثيـل لا تستطيع أن تـرى ٠

* تحذيـرات

ربما سـيكون عليـك أن تظـل متمالكا لصوتـك ، ـ
غـدا ، بعـد غـد ، بعض الوقت ،
وعنـدما يهتف الآخرون تحت الأعـلام ،
سيكون عليك ـ أنت أيضـا ـ أن تهتف ،
لكن تأكد أنك تسـدل قبعتـك على عينيـك ،
الى أسـفل ، أسـفل تمامـا ،
حتى لا يروا الى أين تنظر عينـاك ،
ولا يهم ان كنت تعرف أن هؤلاء الذين يهتفون
ينظرون الى اللامـكان ٠

* ذنب سرى

الاثم والبراءة ـ قلنا ـ شىء واحد فى نفس الليـلة ٠
الآخر أقسم ألا يقول ٠ لكن من يـدرى ـ

فأنت لا تستطيع أبدا أن تتأكد ما اذا كان وكم من الوقت
سيظل صامتا ، وستظل صامتا ، ـ
وربما ستندفع بحماقة لتسبق الآخر ،
وأنت تنظر الى المطر يقطر
أسفل الزجاج المضاء للمطعم ،
حينما يسمع المقعد وهو يسقط فى الزحام ،
والكوب يتهشم ،
وهو ، والطعنة فى جنبه ، دامى العينين ،
يمد ذراعه الكبيرة ، المفتولة
ويشير اليك .

* وظيفة الشاعر

فى الممر ، المظلة ، والحذاء المطاطى ، والمرآة ،
فى المرآة ، النافذة أقل سكونا ،
فى النافذة ، بوابة المستشفى عبر الشارع ،
هناك ، طابور طويل من المتبرعين بالدم :
المألوفين ، ذوى الصبر النافد ـ
أوائلهم شمروا أكمامهم
بينما المصابون الخمسة فى الغرف الداخلية ميتون .

* رسام تجريدى

رسام ـ ذات أصيل ـ رسم قطارا .
هربت العربة الأخيرة من الورقة .
عادت الى المخزن بنفسها .

فى هذه العربة ـ بالذات ـ كان يجلس الرسام .

* ايضاح ضرورى

هناك مقطوعات معينة ـ وأحيانا قصائد بكاملها ـ
لا أعرف معناهـــا ٠
انه ما لا أعرف هو الذى يحملنى على الصمت ٠
فأنت محـق فى أن تســألنى ٠
لكن لا تســـألنى ٠
فأنا لا أدرى ، أقول لك :
ضوءان متوازيان يأتيـان من نفس المركز ٠
صـوت الماء المتسـاقط فى الشـتاء
من ماسورة صرف المياه الزائـدة ،
أو صوت قطرات الماء وهى تسـاقٌ
من زهرة فى حديقـــة مرويـــة ،
بطيئـــة ، بطيئـــة على مســـاء ربيـــعى
كنشـــيج طائـر ٠
لا أعرف ما يعنيـه هذا الصـــوت ،
ومع ذلك ، فـاننى أقبـــل بـــه ٠
فأيا ما كان ما أعرف ، فقـد أوضحتـــه لك ٠
لســـت متجاهـــلا ٠
لكن هذه ـ أيضـا ـ تضيف الى حياتنـــا ٠
فاننى ألاحظ ـ عنـدما نامت ـ
كيف شـكلت ركبتاهـا زاويـة على الملاءة ـ
لم تكن ـ فحسب ـ مسألـة حب ٠
فقـد كان هذا الركن ملتقى العذوبـــة ،
وشـذى الملاءة ، والنظافـــة ،
والربيـع المكمل لذلك الشىء المستعصى على التفسير
الذى حاولت ـ دون جـدوى مرة أخرى ـ
أن أفسره لك ٠

* لحظـــة

حى بحـارة منبـوذ · الأضـواء ناعسـنـة ·
حانات البيرة البائسـة مصفوفة فى طابور كنساء معدمات ،
ينتظرن بلا أمـل أمام المستشفى القروى ·
الشـارع مظلم · الجميع قرروا النوم مبـكرا ·
لكن فجـــأة
تضـاء الحانـات حتى مقاعدهـا الأخيرة
بالضحكة البيضاء الناصعة لأحـد الشبان ·
وبعدهـــا مبـــاشرة
جاء صوت البحر اللانهائى ، المنتظم ، الذى لا يقهر ·

* تطـــابق

هذا التمثال البرونزى اتخذ وضـعا وفق هواه فى منتصف الشـتاء ،
تلك الخطوة العملاقـة للحصـان
كأنه يقفز على الرياح العكسية الجبـارة ،
حتى لو كانت سيماء الفارس المتكبرة ، المتعاليـة
قد تعادلت مع الهطول والغيوم والعواصف المرعـدة
عندما حولت ومضات البرق العنان الى شعلتين نحيلتين ثابتتين
حتى أنك لا تستطيع أن تقول ما اذا كان العواء
قد صـدر من الريـح على طول الشوارع العـارية
أم من الفـم المفتـوح للتمثـال ·
لكن الآن ·
مع هذا الربيـع ، المسترخى ، المتساهل ، المتسامـح ،
مع هذا الضوء الناسى ، هذا الضوء ذى المزاج الطيب
(ربما بسبب الجبن ، أو منهكا من الحـر)
الذى تربط به أشعة الشمس المتاحة ورقة الشجر بالأخرى ،

الشـجرة بالأخرى أو بالبيوت ،
النظرة بالأخرى أو بالشـفاه ـ
مزاج التمثال أصبح الآن فوق الاحتمال، مستفزا ، غير لائق ،
الى حد أن الفارس البرونزى ـ نفسه ـ قد ترجل عنه ،
نادى ثلاثة عاطلين كانوا ينتظرون فى الحديقة العامة بالمعاول،
وبدأ ـ وهو ينز عرقا ، راضيا ـ فى تحطيم تمثالـه ٠

* مدرج مسرحى قديـم

عندما وقف شـاب يونانى ـ حوالى الظهيرة ـ
فى مركز مدرج مسرحى قديـم دون أن يرتـاب ،
ووسـيما مثلما كانـوا ،
أطلق صيحة (لا من الاعجاب ، فلم يحس أبدا بالاعجـاب
وحتى اذا كان قد أحسه ، فلم يكن ـ بالتأكيد ـ ليظهره) ،
صيحة بسـيطة ، ربما من فرح لم يروض بشـبابه
أو ببسـاطة ـ ليجرب خصائص السماع بالمكان ٠
فى الجهة المقابلة ، عاليـا فوق الجبل المندفع ، رد الصدى ـ
الصـدى اليونانى ، الذى لا يقلد ولا يكرر
لكنه يتواصـل ـ ببسـاطة ـ الى ارتفـاع بلا حدود
الصيحـة الخالـدة للقصـيدة الحماسـية ٠

* شـجرة

تجذرت هذه الشجرة فى الجانب الأقصى من الحديقة ،
طويـلة ، نحيـلة ، وحيـدة ـ
ربما خان ارتفاعها فكرة سرية عن الاقتحـام ٠
لم تنتـج ثمرة ولا زهـرة ،
بل ظلا طويلا ـ فحسب ـ يقسـم الحديقة الى اثنتين ،
وقياسا على التعارض مع الأشجار المحنية ، المحملة ٠

كل مســاء ، بعد ما يتــلاشى الغروب المجيــد ،
يجثم طائر برتقالى اللون ، غريب ، صامتــا وسط أوراقها
كأنــه ثمرتها الوحيــــدة ــ
مثل جرس ذهبى صغير فى برج هائل ، أخضر ٠
عندما قطعت الشجرة، رفرف الطائر حولها بصرخات وحشية،
قصــيرة ،
وهو يرســـم دوائر فى الهواء ، يرســـم فى الغروب
شكل الشجرة الذى لا ينفد ، وذلك الجرس الصغير
دق فى الأعلى دون أن يرى ،
بل وأعلى من ارتفــاع الشــجرة الأصــــلى ٠

* صعـــود

جلس طوال أيــام فى حقــل أحــد الغربــاء ،
وهو يخطط دائما لتسلق شــجرة التين الجرداء ذات يوم فى
السر
كى ينظر الى العالم من أعلى ، باحساس ورقــة شجر
أو باحســـاس طائــر ،
لكن دائما ما كان يمر شــخص ما ،
فاستمر بذلك ــ دائما ــ فى التأجيـــل ٠
ذات غسق ، تلفت فى حذر حوله ــ ما من مخلوق ــ
وتســلق بمشــقة الى أعلى غصن ٠
آنئذ ، سمع أصواتــا وسط الأدغـــال :
« ما الذى تفعله عاليـــا هناك ؟ »
أصوات عالية ، ورد : « تينــة ، كانت هنــا تينية أخيرة » ٠
انكسر الغصن ٠
أنهضـــوه ٠
أطبقوا باحكام على يــده اليمنى :
عندما أجبروه على فتــح أصابعــه ، لم يجدوا شيئا ٠

* اعـــادة تشـــكيل

ذلك الذى تسميه سكينة أو انضباطا ، رحمة أو لا مبالاة ،
ذلك الذى تصــفه بأنه فم مغلق على أســنان مطبقـة ،
يكشف الصمت العذب للفم ، يخفى الأســنان المطبقـة ،
هو ـ فحسب ـ تحمل المعدن تحت المطرقة النافعة ،
تحت المطرقة الرهيبـة ـ ذلك ما تعرف :
أنك تعبر من اللاشــكل الى الشــكل ٠

* أرضنـــا

تســلقنا التـل لنلقى نظرة على أرضــنا :
حقول قليــلة وفقيرة ، صخور ، أشجار زيتون ٠
مزارع كروم تمتد الى البحر ٠
بجوار المحراث نار صغيرة ترســل الدخــان ٠
صنعنا من ثياب الرجل العجوز خيال مآتة لمواجهة الغربان ٠
وأيامنا تتقدم نحو خبز قليــل وشمس كبيرة ٠
تحت أشجار الحور تلتمع قبعــة من قش ٠
الديك فوق الســياج ٠
البقرة صفراء ٠
كيف توصلنــا الى تنظيم بيتنا وحياتنــا
بيـــد من حجـــر ؟
وثمة ســناج ـ حتى عتبــة النافــذة ـ
من شموع عيــد الفصــح ، عاما بعــد عــام :
صلبــان صغيرة سوداء رسمها هنــاك
الموتى العائــدون من صــلاة النشور ٠
هذه الأرض مفتونــة بالصبر والكرامة ٠
كل ليـــلة ،
تشرئب التماثيل من البئر الجاف فى حذر ،
وتتســلق الأشـــجار ٠

* العـــودة

في البدايـة ، رحلت التماثيـل ٠
وبعد قليـل ، الأشـجار والناس والحيوانات ٠
أصبحت الأرض ـ بكاملها ـ مهجورة ٠
هبت الريـح ٠
تجمعت الجرائد والأشواك في الشوارع ٠
في الغسق ، انطفأت الأنوار من تلقـاء نفسها ٠
عاد رجـل وحـده ، نظر حواليـه ،
أخرج مفتاحـه ، وغرسـه في الأرض
كأنه يسـلمه الى يـد تحت الأرض
أو كأنـه يزرع شـجرة ٠
ثم صـعد السـلالم الرخاميـة
وحـدق أسـفله في المدينـة ٠
في حذر ، واحدا وراء الآخر ، عادت التماثيـل

★★★

أعمال ريتسوس الشعرية باليونانية حتى عام ١٩٨٠

١٩٣٤ : تراكتورات
١٩٣٥ : أهرامات
١٩٣٦ : ابيتافيوس
١٩٣٧ : أغنية أختي
١٩٣٨ : سيمفونية الربيع
١٩٤٠ : مسيرة المحيط
١٩٤٢ : مازوركا قديمة على ايقاع المطر
١٩٤٣ : محاولة
١٩٤٥ : رفيقنا
١٩٥٢ : الرجل ذو القرنفلة (نيقوس بيلويانيس)
١٩٥٤ : سهر
١٩٥٥ : نجمة الصباح
١٩٥٦ : سوناتا ضوء القمر
١٩٥٧ : تأريخ
وداع
الجرة
شفافية الشتاء
وقت حجري
(ماكرونيسيوتيكا)
جيران العالم
١٩٥٨ : عندما يأتي الغريب
مدينة بلا خضوع
معمار الأشجار
فيما وراء ظل أشجار السرو
١٩٥٩ : العجوز والبحر
امرأة بجوار البحر
١٩٦٠ : النافذة
١٩٦١ : القديس الأسود
(باتريس لومومبا)
قصائد ، الجزء الأول
قصائد ، الجزء الثاني
١٩٦٢ : البيت الميت
تحت ظل الجبل
١٩٦٣ : شجرة السجن والمرأة
شهادات ــ ١
١٢ قصيدة الى كافافي
١٩٦٤ : قصائد ، الجزء الثالث
ألعاب مرحة للسماء والماء
١٩٦٥ : فيلوكتيت
١٩٦٦ : روميوسيني
أوريست
شهادات ــ ٢
١٩٦٧ : أوسترافا
١٩٧٢ : أحجار وتكرارات وقضبان
هيلين
ايماءات
البعد الرابع
عودة ايفيجيني
كريسوثيميس
ايسمين

١٩٧٣ : ١٨ أغنية قصيرة الى الوطن
المريـــو
الممر والسلالم
جراجـــاندا
١٩٧٤ : وعـــاء السخام
بـــرج الكنيســة
الحائـط فى المرآة
ورقيـــات
محـــاولات
١٩٧٥ : سـيدة الكروم
القرن الأخير قبل الانسانية
أشتغار ظرفيـة
ملحق المجـد
(آريس فيلوشيوتيس)
يوميـات المنفى
النسوة المبعوثات
قصائد ، الجزء الرابع

١٩٧٦ : الحراسـة
١٩٧٧ : البعيـــد
ملائـــم
١٩٧٨ : عســكرى المرور
البوابـــة
الجســد والدم
امرأة مونيمفاسـيا
الرائعــة الرهيبـة
فيــــدرا
اذن ؟
مطرقـة البـاب
١٩٧٩ : كتابـة الأعمى
١٩٨٠ : شـفافيـــة
آلات ذات وتر واحـد
ايروتيـكا
محاكاة تهكمية

* * *

المراجــــع

رفعت سلام ، يانيس ريتسوس : قصائد من دم وحجر ، مقدمة (يانيس ريتسوس : اللــذة الأولى ، ترجمة وتقديــم ، الملحقيــة الثقافية اليونانية ، القاهرة ١٩٩٢) ٠

ريتســـوس ، القصيدة فعــل جمالي متكامل (حوار) ، ترجمة ضــياء نافع ، مجلة الأقلام (بغداد) ، يونيو ١٩٨٧ ٠

Edmund Keely, Ritsos in Parentheses, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, U.S.A.

Gérard PIERRAT, La Longue Marche d'un Poéte, in : Yannis Ritsos, AVANT L'Homme, Flammarion, Paris, 1975.

Peter BIEN, Introduction, in : Yannis Ritsos, Selected Poems, Efstathiadis Group S.A. Athins, 1993.

C. CAPRI-KARKA, Doorman's Booth ;

Peter BIEN, ORESTES, Cow ;

William SPANOS, Yannis Ritsos' Romiosini, Style as Historical Memory ;

Yannis RITSOS, By way of Introduction to the Testimonies ; Upon Reading Again the Collections The Wall In The Mirror and Doorman's Booth ;

in

The CHARIOTEER, Speciel Double Issue (20-30), 1987-1988. Pella Publishing Company, New York.

تعريف بالمترجم

★ شاعر ومترجم

★ تخرج من كلية الآداب / قسم الصحافة ، بجامعة القاهرة ١٩٧٣ ·

★ صدر له خمسة دواوين شعرية ، وكتابان فى الدراسات ، وخمسة كتب فى الترجمة ·

★ منح شهادة تقدير من « لجنة كفافيس الدولية » عن ترجمته لقصائد ريتسوس التى صدرت عام ١٩٩٢ ، بعنوان « اللذة الأولى » ·

★ ترجمت أشعاره الى الفرنسية الانجليزية والايطالية واليونانية والكرواتية ·

★ منح جائزة « كفافيس » الدولية فى الشعر ، عام ١٩٩٣ ، عن دوره المتميز فى الشعر المصرى والعربى ·

★ صدر ــ عن تجربته الشعرية ــ كتابان نقديان ، للدكتور محمد عبد المطلب أستاذ النقد الأدبى بجامعة عين شمس ، والدكتور على البطل رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب / جامعة المنيا ، بالاضافة الى عشرات الدراسات النقدية ، وفصول فى بعض رسائل الماجستير الدكتوراه ·

★ شارك فى العديد من المهرجانات الشعرية العربية والدولية ·

للمترجم

شعر : **وردة الفوضى الجميلة** : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧ .

اشراقات رفعت سلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٢ .

انها تومىء لى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٣ .
سلسلة (نوافذ) ، القاهرة ١٩٩٦ .

هكذا قلت للهاوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣ .

كرغوة على جسدى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٧ .

دراسات : **المسرح الشعرى العربى** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ .

بحثا عن التراث العربى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .
دار الفارابى ، بيروت ١٩٩٠ .

ترجمة : **الغجر .. وقصائد أخرى** ، بوشكين ، دار ابن خلدون ، بيروت ١٩٨٢ .

غيمة فى بنطلون .. وقصائد أخرى ، ماياكوفسكى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٨٥ ،
المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٧ .

الابداع القصصى عند يوسف ادريس ، كربرشويك ، دار شهدى ، القاهرة ١٩٨٧ .
دار سعاد الصباح ، القاهرة ١٩٩٣ .

الشيطان .. وقصائد أخرى ، ليرمونتوف ، اتحاد أدباء وكتاب الامارت ، الشارقة ١٩٩١ .

اللذة الأولى .. وقصائد أخرى ، يانيس ريتسوس ، الملحقية الثقافية اليونانية ، القاهرة ١٩٩٢ .
دار الينابيع ، دمشق ١٩٩٦ .

اقرأ فى هذه السلسلة

برتراند رسل
احلام الاعلام وقصص اخرى

ى· رادو نكاياوم جابوتنسكى
الالكترونيات والحياة الحديثة

آلدس هكسلى
نقطة مقابل نقطة

ت· و· فريمان
الجغرافيا فى مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

ج· فوربس و ا· ج· ديكستر هوز
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٢ ج

ليسترديل راى
الأرض الغامضة

والتر آلن
الرواية الانجليزية

لويس فارجاس
المرشد الى فن المسرح

فرانسوا دوماس
آلهة مصر

د· قدرى حفنى وآخرون
الانسان المصرى على الشاشة

اولج فولكف
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة

هاشم النحاس
الهوية القومية فى السينما

ديفيد وليام ماكدوال
مجموعات النقود · صيانتها تصنيفها — عرضها

عزيز الشوان
الموسيقى تعبير نغمى ومنطق

د· محسن جاسم الموسوى
عصر الرواية

ديلان توماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الانسان ذلك الكائن الفريد

جول ويست
الرواية الحديثة · الانجليزية والفرنسية

د· عبد المعطى شعراوى
المسرح المصرى المعاصر أصله وبدايته

انور المعداوى
على محمود طه الشاعر والانسان

بيل شول وادينيت
القوة النفسية للاهرام

د· صفاء خلوصى
فن الترجمة

رالف ئى ماتلو
تولستوى

فكيتور برومبير
ستندال

فيكتور هوجو
رسائل وأحاديث من المنفى

فيرنر هيزنبرج
الجزء والكل « محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية »

سدنى هوك
التراث الغامض · ماركس والماركسيون

ف· ع· ادينكوف
فن الادب الروائى عند تولستوى

هادى نعمان الهيتى
ادب الاطفال « فلسفته ، فنونه ، وسائطه »

د· نعمة رحيم العزاوى
احمد حسن الزيات كاتبا وناقدا

د· فاضل احمد الطائى
اعلام العرب فى الكيمياء

جلال العشرى
فكرة المسرح

هنرى باربوس
الجحيم

د· السيد عليوة
صنع القرار السياسى فى منظمات الادارة العامة

جاكوب برونوفسكى
التطور الحضارى للانسان

د· روجر ستروجان
هل نستطيع تعليم الاخلاق للاطفال ؟

كاتى ثير
تربية الدواجن

ا· سبنسر
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة

د· ناعوم بيتروفيتش
النحل والطب

جوزيف داهموس
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى

د· ليتوارد تشامبرز رايت
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر

د· جون شندلر
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة

بيير البير
الصحافة

د· غبريال وهبة
اثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلى

د· رمسيس عوض
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها

د· محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير

فرانكلين ل· باومر
الفكر الأوروبى الحديث ٤ ج

شوكت الربيعى
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى

د· محى الدين احمد حسين
التنشئة الأسرية والأبناء الصغار

ج· دادلى اندرو
نظريات الفيلم الكبرى

جوزيف كونراد
مختارات من الأدب القصصى

د· جوهان دورشنر
الحياة فى الكون كيف نشأت واين توجد

حلقة من العلماء الأمريكيين
مبادرة الدفاع الاستراتيجى حرب الفضاء

د· السيد عليوة
ادارة الصراعات الدولية

د· مصطفى عنانى
الميكروكمبيوتر

مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء والمحدثين
مختارات من الأدب اليابانى « الشعر — الدراما — الحكاية — القصة القصيرة »

جابرييل باير
تاريخ ملكية الأراضي في مصر الحديثة

أنطوني دي كرسبني وكينيث مينوج
أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

دوايت سوين
كتابة السيناريو للسينما

زافيلسكي ف. س
الزمن وقياسه (من جزء من البليون جزء من الثانية وحتى ملايين السنين)

مهندس ابراهيم القرضاوي
أجهزة تكييف الهواء

بيتر رداي
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي

جوزيف داهموس
سبعة مؤرخين في العصور الوسطى

س. م. بورا
التجربة اليونانية

د. عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة في مصر الإسلامية

رونالد د. سمبسون ونورمان د. أندرسون
العلم والطلاب والمدارس

د. أنور عبد الملك
الشارع المصري والفكر

والت ويتمان روستو
حوار حول التنمية الاقتصادية

فريد . س. هيس
تبسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد علي

آلان كاسبيار
التذوق السينمائي

سامي عبد المعطي
التخطيط السياحي في مصر بين النظرية والتطبيق

فريد هويل وشاندرا ويكراما سينج
البذور الكونية

حسين حلمي المهندس
دراما الشاشة (بين النظرية والتطبيق) للسينما والتليفزيون ٢ ج

روي روبرتسون
الهيروين والإيدز وأثرهما في المجتمع

دوركاس ماكلينتوك
صور افريقية . نظرة على حيوانات افريقيا

هاشم النحاس
نجيب محفوظ على الشاشة

د. محمود سري طه
الكومبيوتر في مجالات الحياة

بيتر لوري
المخدرات حقائق نفسية

بوريس فيدروفيتش سيرجيف
وظائف الأعضاء من الألف إلى الياء

ويليام بينز
الهندسة الوراثية للجميع

ديفيد الدرتون
تربية أسماك الزينة

أحمد محمد الشنواني
كتب غيرت الفكر الإنساني

جون . ر. بورر وميلتون جولدينجر
الفلسفة وقضايا العصر ٣ ج

ارنولد توينبي
الفكر التاريخي عند الإغريق

د. صالح رضا
ملامح وقضايا في الفن التشكيلي المعاصر

م. هـ. كنج وآخرون
التغذية في البلدان النامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

د. السيد طه السيد أبو سديرة
الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي

جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ٣ ج

اريك موريس وآلان هو
الإرهاب

سيريل الدريد
اخناتون

ارثر كيستلر
القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم

ب. كوملان
الأساطير الاغريقية والرومانية

د. توماس ا. هاريس
التوافق النفسي - تحليل المعاملات الإنسانية

لجنة الترجمة ،
المجلس الأعلى للثقافة
الدليل الببليوجرافي
روائع الآداب العالمية ج ١

روي آرمز
لغة الصورة في السينما المعاصرة

ناجاي ميتشيو
الثورة الإصلاحية في اليابان

بول هاريسون
العالم الثالث غدا

ميكائيل البي وجيمس لفلوك
الانقراض الكبير

آدامز فيليب
دليل تنظيم المتاحف

فيكتور مورجان
تاريخ النقود

محمد كمال اسماعيل
التحليل والتوزيع الأوركسترالي

أبو القاسم الفردوسي
الشاهنامة ٢ ج

بيتون بورتر
الحياة الكريمة ٢ ج

جاك كرابس جونيور ،
كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر

محمد فؤاد كوبريلي
قيام الدولة العثمانية

توني بار
التمثيل للسينما والتليفزيون

تاجور ، شين يي بنغ وآخرون
مختارات من الآداب الأسيوية

ناصر خسرو علوي
سفرنامة

ناتين جورديمر وبيرس اوبوث وآخرون
سقوط المطر وقصص أخرى

أحمد محمد الشنواني
كتب غيرت الفكر الإنساني ٧ ج

جان لويس بوري وآخرون
في النقد السينمائي الفرنسي

السينمائيون في أوروبا
بول كراز

موريس بير براير
صناع الخلود

زيجمونت هبز
جماليات فن الإخراج

جوناثان ريلى سميث
الحملة الصليبية الأولى وفكرة
الحروب الصليبية

الفريد ج. بتلر
الكنائس القبطية القديمة فى
مصر ٢ ج

ريتشارد شاخت
رواد الفلسفة الحديثة

ترانيم زرادشت
من كتاب الأفستا المقدس

الحاج يونس المصرى
رحلات فارتيما

هربرت شيلر
الاتصال والهيمنة الثقافية

برتراند راسل
السلطة والفرد

بيتر نيكولز
السينما الخيالية

ادوارد ميرى
من النقد السينمائى الأمريكى

نفتالى لويس
مصر الرومانية

ستيفن أوزمنت
التاريخ من شتى جوانبه ٣ج

مونى براح وآخرون
السينما العربية من الخليج الى
المحيط

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر ٢ ج

جابر محمد الجزار
ماستريخت

د. ابرار كريم الله
من هم التتار

ج. س. فريزر
الكاتب الحديث وعالمه
٢ ج

سوريال عبد الملك
حديث النهر
من روائع الآداب الهندية

لوريتو تود
مدخل الى علم اللغة

اسحق عظيموف
الشموس المتفجرة
أسرار السوبر نوفا

مارجريت روز
ما بعد الحداثة

د. بيارد دودج
الأزهر فى ألف عام

ستيفن رانسيمان
الحضارة البيزنطية

هـ. ج. ولز
معالم تاريخ الانسانية
٤ ج

جوستاف جرونيباوم
حضارة الإسلام

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيرتون الى مصر والحجاز
٣ ج

جلال عبد الفتاح
الكون ذلك المجهول

ارنولد جزل وآخرون
الطفل من الخامسة الى العاشرة
٢ ج

بادى أونيمود
افريقيا - الطريق الآخر

د. محمد زينهم
فن الزجاج

برنيسلاو مالينوفسكى
السحر والعلم والدين

آدم متز
الحضارة الاسلامية

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
يوميات رحلة فاسكو دا جاما

ليفرى شاتومان
كوننا المتمدد

موندارى
الفلسفة الجوهرية

مارتن فان كريفلد
حرب المستقبل

فرانسيس ج. برجين
الاعلام التطبيقى

عبده مباشر
البحرية المصرية من محمد على
للسادات

ج. كارفيل
تبسيط المفاهيم الهندسية

توماس ليبهارت
فن المايم والبانتوميم

ادوارد دى بونو
التفكير المتجدد

وليام هـ. ماثيوز
ما هى الجيولوجيا

كريستيان ساليه
السيناريو فى السينما الفرنسية

بول وارن
خفايا نظام النجم الأمريكى

جورج ستاينر
بين تولستوى ودستويفسكى
٢ ج

يانكو لافرين
الرومانتيكية والواقعية

محمود سامى عطا الله
الفيلم التسجيلى

جوزيف بتس
رحلة جوزيف بتس

ستانلى جيه سولومون
انواع الفيلم الأمريكى

هارى ب. ناش
الصخور والتيض والنعود

جوزيف م. بوجز
فن الفرجة على الأفلام

كريستيان ديروش نوبلكور
المرأة الفرعونية

جوزيف نيدهام
موجز تاريخ العلم والحضارة
فى الصين

ليوناردو دافنشى
نظرية التصوير

ت. ج. هـ. جيمز
كنوز الفراعنة

رودولف فون هابسبرج
رحلة الأمير رودلف الى الشرق
٣ ج

مالكوم برادبرى
الرواية اليوم

وليم هارسون
رحلة ماركو بولو ٣ ج

هنرى بيرين
تاريخ اوربا فى العصور الوسطى

ديفيد شنيدر
نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر

اسحق عظيموف
العلم وآفاق المستقبل

رونالد دافيد لانج
الحكمة والجنون والحماقة

كارل بوبر
بحثا عن عالم أفضل

نورمان كلارك
الاقتصاد السياسى للعلم
والتكنولوجيا

السيد نصر الدين السيد
اطلالات على الزمن الآتى

ممدوح عطية
البرنامج النووى الاسرائيلى والأمن القومى العربى)

د. ليوبوسكاليا
الحب

ايفور ايفانس
مجمل تاريخ الأدب الانجليزى

هيربرت ريد
التربية عن طريق الفن

وليام بينز
معجم التكنولوجيا الحيوية

الفين توفلر
تحول السلطة ٢ ج

يوسف شرارة
مشكلات القرن الحادى والعشرين والعلاقات الدولية

رولاند جاكسون
الكيمياء فى خدمة الانسان

ت. ج. جيمز
الحياة أيام الفراعنة

جرج كاشمان
لماذا تنشب الحروب ٢ ج

حسام الدين زكريا
انطون بروكنر

ازرا ف. فوجل
المعجزة اليابانية

ونفرد هولمز
كانت ملكة على مصر

جيمس هنرى برستد
تاريخ مصر

بول دافيز
الدقائق الثلاث الأخيرة

جوزيف وهارى فيلدمان
دينامية الفيلم

ج. كونتنو
الحضارة الفينيقية

ارنست كاسيرر
فى المعرفة التاريخية

كنت أ. كتشن
رمسيس الثانى

جان برل سارتر وآخرون
مختارات من المسرح العالمى

روزالند ، وجاك يانسن
الطفل المصرى القديم

نيكولاس ماير
شرلوك هولمز

ميجيل دى ليبس
الفئران

جوسيبى دى لونا
موسولينى

الويز جرايتر
موتسارت

على عبد الرءوف اليمبى
مختارات من الشعر الاسبانى

روبرت سكولز وآخرين
آفاق أدب الخيال العلمى

ب. س ديفيز
المفهوم الحديث للمكان والزمان

س. هوارد
اشهر الرحلات الى غرب افريقيا

و. بارتولد
تاريخ الترك فى آسيا الوسطى

فلاديمير تيمانيانو
تاريخ اوربا الشرقية

جابرييل جارسيا ماركيز
الجنرال فى المتاهة

هنرى برجسون
الضحك

د. مصطفى محمود سليمان
الزلازل

م. و. ثرنج
ضمير المهندس

ا. ر. جرنى
الحيثيون

ستينو موسكاتى
الحضارات السامية

د. البرت حورانى
تاريخ الشعوب العربية

محمود قاسم
الأدب العربى المكتوب بالفرنسية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٤٨٣٨

ISBN — 977 — 01 — 5171 — 8

أحس بأنى ما أزال طفلاً يافعاً، وأن عمرى يمتد إلى ملايين السنين. وكل عام يمر، أزداد فتوةً بما أكسب، أى بما أفقد. لقد عبرتُ ميتات كثيرة، وسأموت أخيراً وأنا أحمل بعض الأبدية. والنهار الذى يمر ليس نهاراً أخسره من حياتي، إنما هو جديد لا يشبه الذى مضى. إنه نهار غير مُعبر عنه يضاف إلى حياتى. فما أكتشفه اليوم كنت أجربه بالأمس. هكذا يغتنى شبابى الروحى. إننى أقيس الحياة بالمعرفة المدهشة للحياة. فالزمن الذى يمر هو إضافة لى: «إننى شِختُ شباباً لا يشيخ». أجل، أنا متفائل. لقد خرجتُ من أحلك الظلمات. خرجتُ حيًا من الأمراض، ومن جلسات التعذيب. ويمكننى القول أننى خرجتُ من أغوار الموت. والتفاؤل ليس سهلاً، وليس وسيلةً سهلةً لتجاوز الصعوبات أو تجاهلها. تفاؤلى لا يتزعزع، وهو راسخ لأنه ينجم ـ تحديدًا ـ عن اليأس.

٥٥٠ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب